خطب المناسبات

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: خطب المناسبات زاد الخطيب والداعية
تأليف الأخ الفاضل: أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٩٨٨٩.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٤٤٤ .
القياس: ١٧X٢٤.
تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ /عادل المسلماني

٢٠١٩

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦
المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفى - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

خطب المناسبات السنوية

تقديم فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن أحمد العنسي الذماري

تأليف أبي عبد الرحمن

موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ الفاضل محمد العنسي

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم على علم وبصيرة.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والداعية الناجح في دعوته بإذن الله هو من يدعو كما دعا الأنبياء وأتباعهم بداية بتوحيد الله، وتحقيق عبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء : ٢٥] .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله** » وفي رواية للبخاري : « **إلى أن يوحدوا الله تعالى** » .

ومن طرق الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ نشر العلم النافع تعليماً وتدريسًا وكتابة وتصنيفا وخطابة، وكذلك المحاضرات، والندوات العلمية ،والاجتماعات السلفية .

ومن باب المشاركة في هذا العمل العظيم فقد جمع أخونا المفضال الداعية إلى

الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة موفق بن أحمد بن علي الفاضلي جملة من الخطب العلمية النافعة بإذن الله، التي نرجو أن ينفع الله بها، ورتبها ترتيبا حسنًا على المناسبات وشهور العام ،وضمنها تنبيهات حسنة وفوائد طيبة ،فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع به وثبتنا وإياه على السُّنَّة حتى نلقاه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومما امتازت به هذه الخطب أنها تضمنت نصحًا وتوجيها وإرشادًا وصراحة في الحق ، وهذا نادر، وهذا شأن أهل السُّنَّة والجماعة المتمسكين بالكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح ، أنهم ناصحون محبون الخير للمسلمين .

فالله أسأل أن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأن يجنبنا وإياه الفتن، ومنها الحزبية المساخة ،إنه على كل شيء قدير ،وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو عبد الله

محمد بن أحمد العنسي الذماري

مقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع البلاد، لا تتوهمه القلوب بالتصوير، ولا تدركه القلوب بالتفكير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أما بعد:

فهذا كتاب بعنوان: «**خطب المناسبات**» استعنت بالله فجمعت فيه ما يسر الله من المواعظ وبعض الأحكام والمسائل مدعمة بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف وأهل العلم من المفسرين للآيات والشرّاح للأحاديث، وجعلته خاصا بالمناسبات والأحداث التي تحصل في السَنَة كالأعياد والآيات الكونية والعبادات المؤقتة في مواسم معينة يخطب منه الخطباء حسب الأحداث والمناسبات.، ولي كتاب آخر في الخطب جعلته عامًا يخطب فيه الخطباء على مدار السَنَة، بعنوان: «سلاح الخطيب وزاد الداعية».

وقد التزمت في كتابي هذا وجميع كتبي بحمد الله ذكر ما صح عن النبي ﷺ معتمدا في تخريجها على تحقيقات العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو ما رواه الشيخان الجليلان البخاري ومسلم أو أحدهما سائلا المولى جَلَّ وَعَلَا أن ينفع بهذا العمل الإسلام والمسلمين وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يرزقنا الثبات على الدين حتى الممات.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين

المؤلف ١ محرم ١٤٣٩ هـ

توجيهات مهمة للخطيب والداعية

نوجه أنفسنا أولاً، وإخواننا الخطباء والدعاة إلى الله ثانيًا بالإخلاص لله في دعوتهم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم ،فإنه تعالى يجعل البركة والقبول في العمل الخالص ، وأما ما كان فيه شرك أورياء ، فإنه يكون هبًاء منثورًا ، ويذهب أدراج الرياح، ولا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة.

هذا وإن مقام الدعوة إلى الله مقام عظيم، إذ يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣] ، وهذا في حق من دعا بإخلاص، وعلم وبصيرة، وعمل بما يدعو إليه ولم يخالف أقواله بأفعاله.

ومما أنصح به إخواني الخطباء والدعاة إلى الله تعالى أن يختاروا الأساليب النافعة في خطاباتهم ومحاضراتهم ، وأن يتحروا الأساليب التي تجذب انتباه السامعين، وأن يجتنبوا الأساليب المملة والكلمات المنفرة للسامعين، فعلى الخطيب والداعية أن يختار الكلمات الجذابة والبليغة والمؤثرة بدون تكلف، مقتبسا ذلك من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام السلف، وأن يكون كلامه فصيحا واضحا غير ملتبس على السامع، وليحذر من التلكؤ بالكلام وليطرح الخجل جانبا لأنه يضعف معنوية الخطيب ومن ثَمَّ يضعف الخطبة، بينما الشجاعة وقوة الشخصية تجعل الخطبة قوية ومؤثرة وتورث إيجابيات في الخطابة، وعلى الخطيب أن يراجع الموضوع مسبقًا ويحضره بإتقان، سواء خطب عن ظهر قلب أو من الكتاب مباشرة، فعليه أن يراجعه مرتين أو أكثر،

وأن يتقن الآيات والأحاديث أكثر ويولي اهتمامه بالشكل لا سيما الآيات والأحاديث وأن يدعم خطبته بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأن تكون خطبته مشتملة على ذكر الله بعيدًا عن السياسات المصادمة للسياسة الشرعية إذ أن الذكر في الخطبة ركن من أركانها لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩]، وأن يركز في خطبته على الأهم فالأهم وأن يقصر خطبته ولا يطيلها ، فإن رأى أنها ستطول فليقتصر على الأهم منها ، ويحذف ما كان مكررًا إلا إذا كان في التكرار فائدة ؛ لتوكيد المعنى وتقريره.

هذه هي سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، لما ثبت في صحيح مسلم عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لسِحْرًا**» .

ومعنى « **مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ**» :أي علامة من فقهه.

ومن الأساليب النافعة في الخطابة رفع الصوت والحماس فذلك له وقع في النفوس واستمالة للقلوب وقرع للأسماع، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: « **صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**» .

وليستعن الخطيب بالله ولا يعجز ولا يتكاسل ولا يفتر عن الخطابة فإن لها شأنًا عظيماً وهي من الجهاد في سبيل الله، إذ أن الجهاد جهادان جهاد بالسيف والسنان وجهاد بالحجة والبرهان، ومقام الدعوة من القسم الثاني، وأول من يقوم في هذا الجانب هو الخطيب والداعية فلا يلتفت إلى المخذلين والمثبطين فهم كثر –لا كثرهم الله– وعلى رأسهم إبليس وجنوده من الجن والإنس.

وعلى الخطيب أن يتعلم الخطابة بكثرة الممارسة وأن يتقن خطبته ويتعلم النحو فإنه أمر مهم في باب الخطابة فإن النحو للكلام كالملح للطعام.

ونحث الخطيب والداعية على لزوم السُّنَّة في خطبه ودعوته ، وأن يبتعد عن البدع والمحدثات في الخطابة والدعوة ، ليجعل الله البركة والقبول في دعوته ويفوز بالأجر والمثوبة والسعادة في الدارين بإذن الله رب العالمين .

وكما قال الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « التمسك بالسُّنَّة نجاة » اهـ

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « السُّنَّة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » .اهـ.

وهكذا السُّنَّة من تمسك بها نجا ، ومن تركها هلك وغوى، فالسُّنَّة نور والبدعة ظلام، وذلك في جميع جوانبها الاعتقادية والقولية والعملية ومنها الدعوية.

وليحذر الخطيب والداعية من مداهنة العوام، ومخالفة السُّنَّة في سبيل إرضائهم على حساب السُّنَّة، إلا ما كان موافقا للسنة فيتحفهم به، وعليه أن يحبب إليهم السُّنَّة وأن يقدمها لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والطرق النافعة، والمعاني الجذابة، وينتقي العبارات الموجزة، والجمل الواضحة، والألفاظ العذبة والكلمات الجميلة والأساليب البليغة، وأن يتجنب التكلف كما يفعل بعض الخطباء فليس ذلك من السُّنَّة فإن البركة من الله عَزَّوَجَلَّ ، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « **نهينا عن التكلف**»، ذكره البخاري في صحيحه.

ونحيل الخطيب والداعية لمعرفة مزيد من التوجيهات والإرشادات إلى كتاب شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري –حفظه الله تعالى– في كتابه القيم «أحكام الجمعة وبدعها » فقد حذَّر فيه من كثير من البدع والمحدثات فجزاه الله خيرًا.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يثبتنا وإياكم على الدعوة إلى الله، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص والقبول في القول والعمل، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

١
استقبال العام الجديد
اغتنام الأوقات بالباقيات الصالحات (١)

الخُطبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلاَ هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَة فِي النَّار .

عباد الله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٤].

فإننا في هذه الأيام نستقبل عامًا هجريًا جديدًا ونودع عامًا آخر، فكيف

(١) تلقى هذه الخطبة في آخر جمعة من ذي الحجة أو في أول جمعة من محرم.

سنستقبل هذا العام؟ ، وماذا قدمنا في العام المنصرم؟ ، أما العام الجديد فيتدارك بالتوبة ، والاستعداد بالأعمال الصالحة، وأما العام الذي مضى فلا يتدارك إلا بالتوبة والاستغفار ، والندم على ما فات من التقصير.

فأيام الناس على ثلاثة أقسام: يوم مضى، ويوم حاضر، ويوم آت .

فأما اليوم الماضي فكما تقدم يتدارك بالتوبة والاستغفار مما تقدم من الذنوب، والدعاء بأن يتقبل الله صالح الأعمال، وأما اليوم الحاضر فيستعد له بالطاعات من ذكر الله وشكره وحسن عبادته، وأما اليوم الآت –ولعلك لا تدركه– فتستعد له بالنية الصالحة وذلك أن تصلح ما بينك وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مستقبلاً.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ الله تعالى : « **إِنَّ الله كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ** » الحديث. وهذا لما يستقبل من الزمان.

وفي الصحيحين عن عمربن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى** » الحديث .

أيها الناس:

إننا نشاهد في هذه الأيام تقارباً في الزمان ومرور الأيام والشهور والأعوام سريعًا، وهذا مؤذن بقرب قيام الساعة، كيف لا؟! ونبينا ﷺ يقول كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :« **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ** » . وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى .

فبعثته ﷺ أول علامات الساعة فإذا كان هذا قبل أربعة عشر قرنًا فكيف

بزماننا ؟، فالساعة قريبة ولا شك ، قال الله تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾[القمر:١] .

وقال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ ﴾ [الأنبياء:١-٣] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ الله، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَاب السَّاعَة وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلِهَا. اهـ

ومن علامتها سرعة الأيام وقلة البركة فيها، فقد روى الترمذي عَنْ أَنَس ابْن مَالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْر، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَة، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْم، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَة، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَة بالنَّار**» . وقوله : «**كَالْجُمُعَةِ**» أي:كالأسبوع،وقوله : « **كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ** » أي:كاحتراق السعفة.

ومن علامات قرب قيام الساعة كثرة الفتن ، ورفع العلم ، وكثرة القتل، ففي الصحيحين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ** » قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: « **الْقَتْل**» .

الشُّحُّ هو : البُخل.

الشاهدمن هذا، كيف نستقبل ما بقي من أعمارنا في هذا الزمان؟، ونحن سائرون إلى الله ومسافرون إلى الدار الآخرة ، وكل يوم ونحن نقترب من الآخرة ونبتعد من الدنيا .

عباد الله:

أعمالنا قليلة وأعمارنا قصيرة وآجالنا قريبة وآمالنا طويلة وأسفارنا بعيدة...

فما المخرج؟ ليس لنا إلا مخرج واحد ألا وهو العودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واغتنام ما بقي من أعمارنا في طاعة الله وشكره وحسن عبادته وذكره، ومحاسبة أنفسنا على مافرطنا ومداركة ذلك بالتوبة النصوح.

فاغتنموا هذه اللحظات والساعات وما بقي من الأيام والسنوات بطاعة رب الأرض والسماوات والابتعاد عن المعاصي والبدع والمحدثات، فإن الدنيا أيام قلائل لا تساوي شيئًا أمام الآخرة، فإن المفرطين يأتون يوم القيامة يقسمون الأيمان المؤكدة بأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا الساعات المعدودة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم:٥٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤].

أي وإن لبثتم فيها مئات السنين على تقدير ذلك فهي قليلة بمقابل الآخرة وكما قيل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

قال ابن كثير: أي: هو تعالى لا يَعجَل، فإن مقدار ألف سَنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج:٤٨] اهـ.

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ

سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾[المعارج:٤-٦]. فهذا اليوم هو يوم القيامة على الصحيح بدلالة سياق الآيات، ومقداره خمسون ألف سَنة.

فكل هذه الآيات تدل على طول الآخرة وقصر الدنيا وحقارتها، فاجعل أملك بالآخرة ولا تجعله بالدنيا فإن الدنيا قصيرة وعمر الإنسان فيها أقصر، فاجعل هذا العمر القصير ذخرا للعمر الطويل الذي لا نهاية له، فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**» .

فانظر واعقل، فإن عمر الإنسان في الدنيا مابين الستين إلى السبعين، لكنه في الآخرة مخلد في الجنة أو النار، فمن عمل قليلاً أجر كثيرًا ، ومن فرط في القليل خسر الخسران المبين ، نسأل الله العافية والسلامة.

ومع كون العمر قصيرًا لكن بإمكان العبد أن يتذكر فيه ويعبد الله ويغتنمه بالباقيات الصالحات ، ليفوز بجنةٍ عرضها الأرض والسموات .

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر:٣٧] .

فمن ضيع عمره في اللهو واللعب فلا عذر له، لا سيما من بلغ الستين من عمره ، وهو لا يزال في لهوه وغفلته.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ --صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- قَالَ: « **أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً** » أي :زال عنه العذر فلا عذر له إن لقي الله بعيدًا عن طاعته وقد أمده بهذا العمر .

وهكذا كل مكلف يلقى الله بعيدًا عن دينه فلا عذر له وإن كان شابًا لكن يتأكد في حق الشيخ الكبير أكثر، فطوبى لمن قضى عمره في طاعة الرحمن،

وخاب وخسر من ضيع وقته في اللهو واللعب والعصيان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :من لم يجعل وقته كله لله فالموت خيره له من الحياة. اهـ

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الفوت أشد من الموت.اهـ

مصداق ذلك ما ثبت عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: « يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: **مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ،** قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ **قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُه**» . رواه الترمذي وأحمد رحمهما الله تعالى.

فيا أيها الإنسان إنه لن تتحرك قدمك يوم القيامة إلى الجنة ولا إلى النار -والعياذ بالله - إلا بعد أن تسأل عن أربعة أسئلة وهي: عمرك وشبابك ومالك وعملك.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ، فِيمَا أَبْلَاهُ**» ، وفي رواية: « **وَعَنْ شَبَابِهِ فِيما أَبْلَاه** » .

والشباب داخل في العمر وهو من باب عطف الخاص على العام، وهذا يدل على أهمية الشباب ولأنه جوهرة العمر ولهذا فإن الشاب الصالح العابد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » .

الشاهد « **وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ** » ، فاغتنم شبابك في طاعة الله أيها المسلم

قبل الهرم وقبل أن تضعف عن العمل فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس:٦٨] .

أي نضعف حواسه وقدرته فلا يستطيع التزود من الأعمال الصالحة التي لا يقوم بها إلا الشباب كالصيام والقيام والجهاد والحج ونحو ذلك.

واغتنم وقتك قبل الندم والحسرات فإن المغبون هو الذي يضيع وقته وفراغه فيما يسخط الله و في غير مرضات الله و في اللهو واللعب .

ففي صحيح البخاري عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ** » .

والغُبن هو الندم والحسرة ،كرجل غبن في سلعة باعها بثمن بخس، فأصيب بالغبن، أو اشترى سلعة بأضعاف ثمنها فلما تبين له قيمتها الحقيقة غُبن ، وأصيب بالحسرة والندامة، فهذا في سلعة دنيوية، فكيف بأغلى سلعة على الإطلاق وهي جنة عرضها السماوات والأرض؟! .

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴿٩﴾ ﴾[التغابن : ٩] .

« **أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّة** » . ثبت هذا عن النبي ﷺ عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

فاغتنم فراغك في طاعة الله واعلم أن الفراغ أقسام ثلاثة: فراغ القلب وفراغ اللسان وفراغ الجوارح ، فلا تَدع لسانك فارغًا من ذكر الله تعالى، ولا تدع قلبك فارغًا من حب الله تعالى وخشيته والإنابة إليه، ولا تَدع جوارحك فارغة من طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، فاجعل حياتك كلها لله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من استعمل فراغه بطاعة الله فهو المغبوط ومن استعمله في معصية الله فهو المغبون. اهـ بمعناه.

والمغبوط: هو الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة فغبطه الناس، أي: يتمنون أن يكون لهم مثل هذه النعمة دون تمني زوالها كحديث: « **لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ** » متفق عليه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

فيا أيها الناس إن الوقت ثمين ونعمة سنحاسب عليه وسنندم ونغبن، إن فرطنا فيه ،ولم نغتنمه بذكر الله وطاعته وطاعة رسوله والصلاة عليه، فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « **مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ** » .

وروى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُر الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ** » ومعنى ترة: أي :خسارة ونقص أو تبعة وحسرة.

وفي الحديث إشارة إلى اغتنام الأوقات حال القيام والقعود، والسير والاضطجاع،ولهذا امتدح الله أولي الألباب بأنهم يغتنمون أوقاتهم حال قيامهم وقعودهم ورقودهم وفي جميع أحوالهم فقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وإن أهل الجنة يوم القيامة ليتحسرون على الأوقات التي لم يغتنموها، وإن دخلوا الجنة .

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ** » .

ولأهمية الأوقات وعظمتها أقسم الله بها في كثير من الآيات والله عظيم، له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة الدالة على عظمته فأقسم بالأوقات لعظمتها ولما اشتملت عليه من العبادات العظيمة المشروعة فيها فأقسم بالفجر والليالي العشر فقال: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [الفجر:١-٢] ، والفجر يشتمل على صلاة الفجر والليالي العشر هي أيام عشر ذي الحجة ومن المعلوم أن الأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، وأقسم الله بالضحى المشتمل على سبحة الضحى، وأقسم بالليل المشتمل على قيام الليل فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضُّحى:١-٢] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ ﴾ [الليل : ١] ، ثم بين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾ [المزّمل:٦] .

ومعنى ناشئة الليل:أي :صلاة الليل.

وأقسم الله بالعصر المشتمل على صلاة العصر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾[العصر:١] .وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالعصر في هذه السورة هو: صلاة العصر.

وذكر كثير من المفسرين أن المراد بالعصر في هذه السورة: الزمان، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم.اهـ.

فيجب على المسلم أن يعظم هذه الأوقات كما عظمها الله تعالى وأن يغتنمها بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فقد روى الحاكم عَن ابْن عَبَّاس، رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْس: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**» . أي افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء تعقبها، فاغتنم الشباب قبل الهرم والشيخوخة، فإنها إذا جاءت ضعف العبد عن العمل .

واغتنم الصحة قبل المرض فإنك إن مرضت عجزت عن بعض الأعمال .

واغتنم الغنى بالصدقات والانفاق في أبواب الخير، فإنه إذا جاء الفقر لا تجد ما تنفق منه، واغتنم الفراغ قبل أن تشغل بشيء من أمور الدنيا، فإنك إن شغلت لا تستطيع التفرغ للعبادات وطلب العلم وغير ذلك .

قال عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تفقهوا قبل أن تسودوا.اهـ. أي: قبل أن تشغلوا بالسيادة والرعاية وغير ذلك .

واغتنم الحياة قبل الموت فإنه إذا جاء الموت انقطع عملك وطويت صحيفة ديوانك فلا سبيل إلى العمل والرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات، كما قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾** ﴾ [المؤمنون:٩٩].

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد ، اللهم اعمر أوقاتنا بذكرك وشكرك وحُسن عبادتك ، ووفقنا لكل خير.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ،وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،الداعي إلى رضوانه، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس إنه لا بد من محاسبة الأنفس ولومها على تقصيرها فالمؤمن اللبيب والرجل العاقل هو الذي يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، فإن أهل الدنيا من أهل الأموال و التجارات، يحاسبون أنفسهم على تقصيرهم في باب المكاسب، ويندمون إذا حصل فيها نقص غاية الندم ، ويخصصون أوقاتًا للحساب كل يوم من ليل أو نهار ، بل ويجعلون في رأس كل سَنة حصرا لتجاراتهم لمعرفة ماذا قدموا وماذا أخروا ، وماذا كسبوا وكم خسروا ، ليتداركوا ما فاتهم ويعوضوا ما خسروا، أليس من باب أولى أن يحاسب العبد نفسه على تجارة الآخرة ، التي فيها الفوز السرمدي والنجاة من العذاب الأبدي ؟، فلماذا ما يجعل العبد لنفسه ساعة كل يوم يحاسب نفسه فيها ماذا قدم وماذا أخر؟، فإن عمل خيرًا سأل الله الإخلاص والقبول ، وإن عمل شرًا استغفر وتاب ، وأصلح ما أفسد .

فإنه ما من عبد إلا وسيحاسب على الصغير والكبير ، وعلى النقير والقطمير، فالمؤمن يحاسب الحساب اليسير ، والكافر يحاسب الحساب العسير، قال

تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق:٧-١٢] .

فأين لوم النفس على تقصيرها وتدارك ما فات بإصلاح العمل؟، فإن كل نفس تأتي يوم القيامة تلوم صاحبها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم بالنفس اللوامة لكثرة لومها لصاحبها يوم القيامة فإن كان صاحبها مقصرا تلومه على التقصير وإن كان صالحا تلومه على عدم الإكثار من الخير قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة: ١-٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت ﴿ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت ، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: تَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَقُولُ لَوْ فَعَلْتُ وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْسَ مِنْ نَفْس بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا، إِنْ كَانَتْ عَملَتْ خَيْرًا قَالَتْ: هَلَّا ازْدَدْتُ، وَإِنْ عملت شرًا قالت: لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَالله مَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ مَا أَرَدْتُ بِكَلَامِي مَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَمْضِي قُدُمًا لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ ولا يعاتبها. قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ النَّفْسُ الْكَافِرَةُ تَلُومُ نَفْسَهَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَرَّطَتْ فِي أَمْرِ الله فِي الدُّنْيَا.اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر نحوا من هذه الأقوال: قَالَ ابْنُ جَرِير الطبري: وَكُلُّ هَذه الْأَقْوَال مُتَقَارِبَةُ المعْنَى، الْأَشْبَهُ بظَاهر التَّنْزِيل أَنَّهَا الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَتَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. هذه هي النفس اللوامة

وبقي قسمان في الأنفس ، وهما النفس الامارة بالسوء ، والنفس المطمئنة ، ولا تعارض ، فإن نفس المؤمن مطمئنة ولوامة ، فأما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تأمر صاحبها بالسوء والمعاصي.اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان. اهـ.

قال تعالى عن امرأة العزيز: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وأما النفس المطمئنة فهي النفس التي اطمأنت بربها وسكنت بحبه وصدَّقت بوعده وارتاحت بجانبه وآمنت بدينه وانقادت لشرعه ورضيت بأقداره وفازت بثوابه وجنته قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٢٨].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَهِيَ السَّاكِنَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ فَيُقَالُ لَهَا:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أَيْ: إِلَى جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ أَيْ: فِي نَفْسِهَا ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللهِ وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، ﴿ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ ﴾ أَيْ: فِي جُمْلَتِهِمْ، ﴿ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ هَاهُنَا.اهـ.

فيا أيها المسلمون الحذر من ضياع الأوقات في اللهو واللعب والعصيان، فإن كثيرًا من الناس قد ذبحوا أوقاتهم في المحادثات والقيل والقال وأكل القات وأمام المسلسلات والخوض في البدع والمحدثات وضيعوا أعمارهم في السياسة

والتحليلات إلا ما رحم رب البريات وغفلوا عن اليوم الذي تنزل فيه عليهم السكرات وتتوالى عليهم الحسرات ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

فهذه اللحظات والساعات والأيام التي تمر هي من عمرك يا أيها الإنسان ولن تعود إلى قيام الساعة فادخرها لذلك اليوم .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يا ابن آدم إنما أنت أيام ، فكلما مر يوم فقد مر بعضك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كل يوم يصبح ينادي: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد ولن أعود إلى يوم القيامة.اهـ .

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ما ندمت على شيء ندمي على يوم اقترب فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي.اهـ

فابدأ عامك بخير واندم على ما فرطت فيما مضى واعدد نفسك من الموتى، لعلك تموت من عامك هذا، كم من إخوان لنا فارقناهم، وقد عاشوا معنا العام الماضي، وفي هذا العام صاروا من المفقودين، أين ذهبوا؟ وماذا حصل لهم؟إنه الموت فاجأهم، فقطع آمالهم، وانقضت آجالهم ،﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

فيا عباد الله :إن الأعوام والسنين تمر سريعًا ، فهذا ينصرم وهذا يقترب حتى يشرف العبد على الدار الآخرة ويلاقي ربه ، فانتقلوا بخير مابحضرتكم، فيوشك أن تصلوا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانشقاق : ٦] .

فأعمالكم الصالحة هي رأس أموالكم، وآخرتكم هي مستقبلكم الحقيقي ، فلا تغتروا بالدنيا ولا تنخدعوا بها.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ [فاطر : ٥].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] ﴿ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾ أي : الحياة الحقيقية.

وقال الشاعر:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيها

اللهم وفقنا لفعل الطاعات ، وترك ا لمنكرات ، والثبات على الدين حتى الممات ، إنك قريب مجيب الدعوات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢

حادثة هجرة المصطفى ﷺ (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس:

بمناسبة دخول عام هجري جديد نذكر أنفسنا وإياكم بذلك العام الذي

(١) تلقى هذه الخطبة في الجمعة الأولى أو الثانية من شهرالله المحرم، فإذا ناسب يوم عاشوراء في الجمعة الثانية، فتكون هذه في الثالثة، ويصلح أن تكون في أي وقت لكن الأفضل أن تكون في بداية السَنَة الهجرية.

أشرق فيه فجر الإسلام، وقويت فيه شوكته، وأظهر الله فيه دينه، وهو عام الهجرة : العام الذي هاجر فيه المصطفى ﷺ وصاحبه إلى دار الهجرة، وهي المدينة النبوية.

ولذلك جعل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك العام تأريخًا للمسلمين ولا يلتفت إلى غيره من التواريخ ، كتأريخ ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه تأريخ اليهود والنصارى ولا يجوز التشبه بهم .

وجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تأريخ المسلمين من أول الهجرة ، ولم يجعله من أول البعثة : لأن شوكة الإسلام قويت من ذلك العام ، وكسرت شوكة المشركين وانقمع الشرك، أما قبل ذلك فقد كان المسلمون مستضعفين لا يستطيعون إقامة دينهم.

لكن لا يشرع الاحتفال ببداية العام الهجري الجديد، فإن هذا الفعل محدث لم يفعله نبينا ﷺ ولا صحابته الكرام، إذ أن هذه الاحتفالات من أعمال اليهود والنصارى والتشبه بهم حرام لا يجوز، فقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « **وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** » .

ولكن يكفي أن نتذكر تلك الحادثة العظيمة وما حصل فيها من الأحداث والعبر والمعجزات العظيمة لنبينا ﷺ وكيف تكالب المشركون عليه وعزموا على قتله، فأخرجه الله من بينهم سالما ، فصار يقتل صناديدهم ويغنم أموالهم ويسبي نساءهم بعد ذلك ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠** ﴾[الحج:٤٠] ، وقال تعالى:﴿ **وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وكان سبب الهجرة ماحصل لنبينا ﷺ وصحابته الكرام مما لا يخفى على مسلم من الأذى والاضطهاد والقتل والتعذيب، وذلك لأنهم آمنوا بالله رب العالمين وتركوا عبادة الأصنام والأوثان !﴿ **وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ**

ﭐلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج : ٨].

فلاقوا ألوانا من الأذى والتعذيب ، ليتركوا دينهم وليرجعوا إلى عبادة الأوثان ، فمن ذلك أنهم ربطوا بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فطرحوه على الرمضاء في حر الظهيرة ووضعوا عليه الحجارة وهو لا يزيد عن قوله: (أَحَدٌ أَحَدٌ، أَحَدٌ أَحَدٌ).

ومر رسول الله ﷺ بعَمَّار وأهله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم يعذبون، فقتلوا أمه سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ طعنوها بسهم في فرجها ، ففاضت روحها إلى بارئها، وما نقموا منها إلا أن آمنت بربها، فكانت أول شهيدة في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فقال رسول الله ﷺ: « **أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ** » . والحديث رواه الحاكم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فلما كان كذلك شرع الله الهجرة لمن لم يستطع إقامة دينه، وأذن الله لنبيه بالهجرة، فهاجر كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الحبشة مرتين، فلا والله ما هاجروا من أجل دنيا أو من أجل تجارة، وإنما هاجروا فرارا بدينهم ليعبدوا الله وهم آمنون.

والهجرة باقية إلى قيام الساعة ، فقد روى أبو داود عن معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** » .

والهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، بخلاف ما عليه كثير من المسلمين في هذا الزمان إذ صاروا ينتقلون من بلاد الإسلام إلى بلد الكفار لغير ما ضرورة ولا حاجة، وإنما من أجل لعاعة الدنيا والتكثر منها.

وقد روى أبوداود والترمذي عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا** » .

قال الحربي: « **لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا** » :أي:لاَ يُقِيمُ مُسْلِمٌ بِمَوْضِعٍ يَقْرُبُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا أَوْقَدُوا وَأَوْقَدَ الْمُسْلِمُ رَأَتْ نَارُهُ نَارَ الْمُشْرِكِ .اهـ

وقد جعل أهل العلم شروطًا للمسافر إلى بلاد الكفار لمن احتاج إلى ذلك.

وهي:

* أن يكون عنده دين يتقي به الشهوات ، فهناك تكثر الشهوات والفواحش والمحرمات.

* وأن يكون عنده علم يتقي به الشبهات، فإنهم أصحاب شبهات .

* وأن يسافر لضرورة أو حاجة لا توجد في بلاد المسلمين كعلاج ونحوه.

أما لغير ذلك فلا يجوز السفر والإقامة في بلاد الكفار حتى وإن كان فيها مسلمون من أهلها.

عباد الله:

إنه لما هاجر من هاجر إلى المدينة من الصحابة رضوان الله عليهم، ورجع من رجع من الحبشة ولحقوا بإخوانهم في المدينة، تآمر المشركون على نبينا محمد ﷺ ، واشتد عليه الأذى ،وقد كان رسول الله ﷺ أريَ دار الهجرة في منامه وهي المدينة.

فقد روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: « **إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ** » وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: « نَعَمْ » فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ

رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَق السَّمُر وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُر» . ومعنى قوله:وهما الحرتان. أي: « ذات حجارة سوداء كثيرة». وقوله : «**عَلَى رِسْلِكَ**»: أي :تمهل.

فاشتد الحصار على نبينا ﷺ حتى اجتمعوا بدار الندوة، فخططوا خططاً شيطانية ومكائد عظيمة، فأبرموا أمرا بقتله أو بسجنه أو بإخراجه ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ** ﴾[الأنفال:٣٠] ، وكان ذلك بعد موت عمه أبي طالب إذ تجرأوا عليه ، وقد كان يذود عنه ويدافع عنه في حياته، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يضيعه.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٣٠** ﴾ [الأنفال:٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: روى محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي وذكر بسنده إلى ابْن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْش مِنْ أَشْرَاف كُلِّ قَبِيلَة، اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَة، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَة شَيْخ جَلِيل، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ نَجْد، سَمِعْتُ أَنَّكُمْ اجْتَمَعْتُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَلَنْ يُعْدِمَكُمْ رَأْيِي وَنُصْحِي. قَالُوا: أَجَلْ، ادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ فَقَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُل، وَالله لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُوَاثِبَكُمْ فِي أَمْرِكُمْ بِأَمْرِه. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ فِي وِثَاق، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِه رَيْبَ الْمَنُون، حَتَّى يَهْلِك كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاء: زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ، إِنَّمَا هُوَ كَأَحَدهمْ، قَالَ: فَصَرَخَ عَدُوُّ الله الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ فَقَالَ: وَالله مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَالله لَيُخْرِجَنَّهُ رَبُّهُ مِنْ مَحْبِسه إِلَى أَصْحَابه، فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَثِبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، فَيَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ، فَمَا آمَنُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلَادكُمْ. قَالَ: فَانْظُرُوا فِي غَيْر هَذَا. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْن أَظْهُرِكُمْ تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ لَنْ يَضُرَّكُمْ مَا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ، إِذَا غَابَ عَنْكُمْ

أَذاهُ وَاسْتَرَحْتُمْ، وَكَانَ أَمْرُهُ فِي غَيْرِكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَالله مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَلاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلَاوَةَ لِسَانِهِ، وَأَخْذَ الْقُلُوبِ مَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَالله لَئِنْ فَعَلْتُمْ، ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْعَرَبَ، لَيَجْتَمِعَنَّ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَيَأْتِيَنَّ إِلَيْكُمْ حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ. قَالُوا: صَدَقَ وَالله، فَانْظُرُوا بَابًا غَيْرَ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، لَعَنَهُ الله وَالله لَأُشِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مَا أَرَاكُمْ تَصْرِمُونَهُ بَعْدُ، مَا أَرَى غَيْرَهُ. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلَامًا شَابًّا وَسِيطًا نَهْدًا، ثُمَّ يُعْطَى كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا فَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْوَوْنَ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا. فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ، وَاسْتَرَحْنَا وَقَطَعْنَا عَنَّا أَذَاهُ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَالله الرَّأْيُ. الْقَوْلُ مَا قَالَ الْفَتَى لَا رَأْيَ غَيْرُهُ، قَالَ: فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ. فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهُ أَلَّا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَكْرِ الْقَوْمِ. فَلَمْ يَبِتْ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَذِنَ الله لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْخُرُوجِ وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة [الأنفال] ، يذكر نعمته عليه وبلاءه عنده: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٠]. وأنزل الله في قولهم: « تربصوا به ريب المنون » حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ،﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الطور: ٣٠] ، وكان ذلك اليوم يسمى «يوم الزحمة » للذي اجتمعوا عليه من الرأي .

وعن السُّدِّيّ نحو هذا السياق، وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٦] . اهـ

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ ﴾ [النمل:٥٠-٥١].

فإنهم لما تآمروا على نبيهم ليقتلوه فخرج من بين أيديهم سالمًا ، فما لبث إلا سَنَة حتى قتل صناديدهم وكسر شوكتهم في وقعة بدر ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ وأورث الله رسوله ﷺ مكة فدخلها عنوة وقهر أهلها ، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ ﴾ [الإسراء:٧٦] .

فكان من أمره ﷺ أن تجهز هو وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخروج والهجرة إلى المدينة، فكان هذا الخروج هو بداية الفرج، وأول النصر، وفرح أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالهجرة مع رسول الله ﷺ فرحاً شديداً فكان هو صاحبه ورفيقه وأنيسه ومناصره، في يوم أشتد حنق الكفار وغيضهم عليه، فأظهر الله فيه نبيه وكبت أعداءه، كما ذكر الله في القرآن الكريم، وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ ﴾ [التوبة : ٤٠].

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم قالت: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَالله مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، – وفي رواية – قالت:

لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ، لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: « **أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**» . قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « **الصُّحْبَةَ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: « قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ» .

فانظروا إلى كرم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسخائه وبذله في سبيل الله ومواساته لرسول الله، وانظروا إلى عفة رسول الله ﷺ، فنعم المعطي وأنعم بالمعطى له .

هذا هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صديق رسول الله ﷺ وصاحبه في القرآن الذي صدقه ونصره وهاجر معه، هذا الذي قال عنه رسول الله ﷺ: « **إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا** » . والحديث في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن أساء إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أساء إلى رسول الله ﷺ وعصاه، ومن ترضى عن أبي بكر فقد أطاع المصطفى ﷺ.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى

يَأْتِيهِمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ» .

فبينما هم كذلك إذ بعث كفار قريش في طلبهما وجدوا في الطلب وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس بل بذلوا المئات من الإبل لمن قتلهما أو ردهما.

ففي صحيح البخاري عن سراقة بن جعشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ

أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْر يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْض، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْن، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لأَثَر يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاء مِثْلُ الدُّخَان، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَم، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْس عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْن، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيم، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

ولما رجع النبي ﷺ من الطائف أخرجت الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: «**يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ**»، فبايع رسول الله ﷺ وأسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا شيء أراده الله لسراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو له خير، إذ أراه بعض الآيات والمعجزات، فجعل ذلك سببًا لهدايته وإسلامه ثم أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامه.

وذكر بعض أصحاب السير أن النبي ﷺ وعده بتاج كسرى فأخذه في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أظهره الله على الفرس، فنادى عمر: أين سراقة بن مالك؟، هذا ما وعدك به رسول الله ﷺ.

إنها الثقة بالله وبنصره، انظروا إلى رسول الله ﷺ وصاحبه وهما في هذه الحالة مطاردون في البراري خائفون، ثم يَعِدُ سراقة بتاج كسرى عظيم الفرس!.

وانظروا كيف يقلب الله القلوب ويحول الأحوال، فقد كان سُراقة يطارد النبي ﷺ وصاحبه ويريد قتلهما، فما هي إلا لحظات حتى صار مدافعًا وذائدًا

عنهما.

ففي أول النهار عدو لهما يريدهما بسوء وفي آخر النهارصديق لهما يدافع عنهما، في أول النهار وليٌّ للكافرين وفي آخر النهار وليٌّ لله ورسوله والمؤمنين.

فسبحان مقلب القلوب ومصرفها!فأكثر ياعبد الله من قولك: « **اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِيْنِكَ، ويا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي على طَاعَتِك**» ، فقد كان النبي ﷺ يكثر من هذا الدعاء، كما ثبت ذلك عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعند الترمذي عن أُم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وجاء في الصحيحين عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَت الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالك، فَقُلْتُ: أُتينا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: « لاَ تحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا » فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَارْتَطَمَتْ به فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا – أُرَى – في جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، – شَكَّ زُهَيْرٌ – فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا» .

فكان لا يرى أحدا في طريقه يبحث عن رسول الله ﷺ وصاحبه إلا رده وقال: قد كفيتكم هذا الوجه، وهذا من فضل الله عليهما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[يوسف:٢١] .

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ [البقرة : ١١٧] .

وبينما هما في الغار إذ يمر الكفار من باب الغار فأعمى الله أبصارهم فلم يروهم قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة:٤٠] .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق حدثه قال: « نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: « **يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا** » .

فهذا شيء أراده الله ليظهر دينه ويعلي كلمته ولو كره الكافرون ، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة :٣٢] .

أما ما جاء أن العنكبوت غزلت خيوطًا على باب الغار، وأن الحمامة باضت على باب الغار ، فهاتان قصتان ضعيفتان يردهما الحديث المتقدم: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ**...» ، فدل على أنه لا يوجد خيوط للعنكبوت ولا بيض للحمام . وقد قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : القصة موضوعة أي مكذوبة.

فلا ينبغي الاعتماد على القصص الضعيفة والمكذوبة، ويكفينا ما ثبت منها وصح، فلا يجوز التحدث بها وعندنا غنية عنها ، والله المستعان.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإنه لما سكن الطلب عن رسول الله ﷺ وصاحبه من قِبَل المشركين بعد أن مكثوا في الغار ثلاثة أيام وقد بحثوا عنهما من جميع الجهات واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم الأمر فنجاهما الله، انطلق نبينا ﷺ وصاحبه قافلين نحو المدينة وأشرقت المدينة بقدومهما، وكان أهل المدينة ينتظرونهما بفارغ الصبر شوقا للقائهما واستضافتهما ومناصرتهما، وكلٌ يريد أن ينزلا في داره إكرامًا لهما.

ففي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلمينَ، كَانُوا تجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بالمدينَة مخْرَجَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاة إِلَى الحَرَّة، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَة، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتهمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْه، فَبَصُرَ برَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بهمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلك اليَهُوديُّ أَنْ قَالَ بأَعْلَى صَوْته: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَح، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بظَهْرِ الحَرَّة، فَعَدَلَ بهمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ» . الحديث.

فكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ أن بنى مسجدا ثم آخا بين المهاجرين والأنصار فأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه ﷺ وركب راحلته حتى بركت عند المسجد فقال ﷺ حين بركت راحلته: « هذا المنزل إن شاء الله» . فبناه مسجدا فطفق ينقل مع أصحابه اللبن وهو يقول: « هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ » ، وَيَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ » . والحديث في صحيح البخاري.

وأما قصة أن الأنصار استقبلوا رسول الله ﷺ بأبيات: طلع البدر علينا... فهي قصة منكرة وضعيفة، وعلى تقدير صحتها فإنه لم يذكر ضرب الدف فيها لكن القصة ضعيفة من أصلها.

فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل المدينة، جعل سراقة بن مالك يقص على الناس ما رأى وشاهد من أمر رسول الله ﷺ، وما كان من قصة جواده ، فخاف رؤساء قريش معرته ،وخشوا أن يكون سببًا في إسلام كثير منهم، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل لعنه الله إلى بني مدلج: إني أخاف سفيهكم سراقة... فرد عليه سراقة بأبيات شعرية هذا نصها:

أبا الحكم والله لو كنت شاهدًا ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمدًا ... رسول وبرهان فمن ذا يقاومه

عليك فكف القوم عنه فإنني ... أخال لنا يومًا ستبدوا معالمه

إلى آخر ما ذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

هذه خلاصة هجرة المصطفى ﷺ لنتذكر ونعتبر ما فيها من العبر والعظات ولنعرف كيف عانى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في سبيل تبليغ دين الله وإيصاله إلينا، فما علينا إلا أن نلزم هديه ونقتفي أثره ونعمل بسُنَّته

فإنه أوصلها إلينا طرية، بيضاء نقية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

اللهم ثبتنا عليها حتى المات، اللهم انصر السُّنَّة وأهلها واخذل البدعة وأهلها اللهم من أراد بالسُّنَّة وأهلها كيدا فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره، اللهم أحينا عليها وتوفنا عليها واحشرنا في زمرة صاحبها عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

٣
فضل يوم عاشوراء وشهر الله المحرم (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا

(١) تلقى هذه الخطبة في شهرالله المحرم قبل يوم عاشورا.

كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص:٦٨].

فإن مما اختاره الله وفضله على غيره لهو يوم عاشوراء، إذ فضله الله على كثير من الأيام وجعل للصيام فيه مزية وفضلا عظيما ورتب عليه أجرا كريما، وجعله كفارةً للسَنَة.

ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه، وأغرق فرعون وقومه .

ولذلك كانت اليهود تصوم هذا اليوم وكان أهل الجاهلية يصومونه، ولما جاء الإسلام أقر صيامه ورغب في صيام يوم قبله مخالفة لليهود.

وقد كان صيام يوم عاشوراء مفروضًا على المسلمين قبل فرضية صيام رمضان ، فنُسِخَ صيامُ يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب فمن شاء صام ومن شاء ترك.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ: « **مَنْ كَانَ لَمْ يَصُمْ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ كَانَ أَكَلَ، فَلْيُتِمَّ صِيَامَهُ إِلَى اللَّيْلِ**» .

وروى مسلم أيضًا عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « **كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْمُرُ بصيامه قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ، كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ**» .

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « **كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لاَ يَصُومُهُ**» .

كل هذه الأحاديث تدل على أن صوم يوم عاشوراء كان واجبًا فنسخ إلى الاستحباب وفرض صوم رمضان.

وفي الصحيحين عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ - لِهَذَا الْيَوْمِ - «**هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَلَمْ يَكْتُبِ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ**».

فهذا اليوم العظيم هو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه وأهلك فرعون وقومه في البحر.

ففي صحيح مسلم عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدِمَ المدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟**» فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**».

فصامه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بصيامه وأمر بمخالفة اليهود بصيام يوم قبله. لأن اليهود كفار، فكان المسلمون أولى بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليهود كما قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة:٧١].

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

إلا أنه مات عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتي العام المقبل فصار صيام يوم قبله سنة. وروى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -موقوفًا- أَنَّهُ قَالَ:

«**صُومُوا التَّاسِعَ وَالعَاشرَ وَخَالِفُوا اليَهُودَ**» .

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ مَا هَمَّ بِهِ مِنْ صَوْم التَّاسِع يَحْتَمِلُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيْهِ بَلْ يُضِيفُهُ إِلَى الْيَوْم الْعَاشِر إِمَّا احْتِيَاطًا لَهُ وَإِمَّا مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُوَ الأَرْجَحُ. اهـ فإن قال قائل: ها نحن نتشبه باليهود بصيام يوم عاشوراء.!

أجيب عنه بأنه ليس في ذلك تشبه لأن الذي شرع صيامه هو رسول الله ﷺ ثم إنه حث على صيام يوم قبله مخالفة لليهود فيستحب صيامه وصيام يوم قبله،، وكل ما فعله النبي ﷺ فهو سُنَّة سواء فعله اليهود والنصارى أم لم يفعلوه ما دام أن النبي ﷺ هو الذي سَنَّه وشرَّعه.

ويجوز إفراد يوم عاشوراء وحده لكنه خلاف الأفضل وبعضهم كره ذلك.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَعَلَى هَذَا فَصِيَامُ عَاشُورَاءَ عَلَى ثَلَاث مَرَاتِبَ أَدْنَاهَا أَنْ يُصَامَ وَحْدَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ مَعَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

وصيام يوم عاشوراء يكفر الله به ذنوب سَنة من الصغائر، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْم عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ** » وفي رواية: « **وَصِيَامُ يَوْم عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه**» .

قال بعض أهل العلم: والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة وصيام يوم عاشوراء: هي الصغائر وأما الكبائر فتحتاج إلى توبة فإن لم يصادف صغيرة؛ يرجى أن يكفر الكبائر.

فينبغي للمسلم أن يحرص على صيام هذا اليوم العظيم رجاء فضله وثوابه فقد كان النبي ﷺ يصومه يتوخى فضله، لما روى الطبراني عَن ابْن عَبَّاس رَضِي اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَمْ يَكُنْ يَتَوَخَّى فَضْلَ يَوْمٍ**

عَلَى يَوْم بَعْدَ رَمَضَانَ إِلَّا يَوْمَ عَاشُورَاءَ» . أي كان يتحرى صيام هذا اليوم رجاء فضله وثوابه.

وروى الإمام مسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: « **مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ**» . يَعْنِي رَمَضَانَ.

فهذا الذي ثبت في فضل عاشوراء ، أما ما يحدثه بعض الناس في هذا اليوم من البدع والمحدثات والاحتفالات والنياحة من ضرب الخدود وشق الجيوب فما أنزل الله بهذا من سلطان، فإن خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار.

فنعوذ بالله من البدع والضلالات والنار و نسأل الله أن يعيننا على طاعته وعلى ذكره وشكره وحسن عبادته والعمل بسنة نبيه ﷺ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ،وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،إمام الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين وشفيع رب العالمين ،بعثه الله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو البشير النذير ،والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن مما فضله الله على غيره من مخلوقاته لهو شهر الله المحرم، وأضافه إلى نفسه لتبيين فضله وشرفه ،وهو من الأشهر الحرم التي شرفها الله وفضلها على غيرها ،وجعل الظلم فيها أقبح من غيرها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[التوبة:٣٦] .

وهذه الأربعة الحرم قد بينها النبي ﷺ بأنها ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، كما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ** » .

فالعمل الصالح في هذه الأشهر أعظم أجرًا ، والمعاصي فيها أعظم وزرًا.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرًا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيما. اهـ

والظلم يشمل الشرك والمعاصي وظلم الغير بالاعتداء على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم فإنه حرام في هذه الأشهر وفي غيرها إلا أنه في الأشهر الحرم أعظم حرمة ، ومن هذه الأشهر شهر الله المحرم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لأنها آكد وأبلغ في الإثم. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْله:﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ إنَّ الظُّلم فِي الْأَشْهُر الْحُرُم أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْم فِيما سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيماً، وَلَكِنَّ الله يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. اهـ

فيا عباد الله:

إن من الأعمال التي يضاعف أجرها في هذا الشهر لهو الصيام، فإنه يستحب الصيام في شهر الله المحرم وإنه لا يخفى عليكم فضل الصيام، فإنه لا مثل له وإنه لله وهو يجزي به، بمعنى أنه لا يعلم بمقدار ثوابه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ» .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فيه تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّهُورِ لِلصَّوْمِ وَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنْ إِكْثَارِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنْ صَوْمِ شَعْبَانَ دُونَ الْمُحَرَّمِ وَذَكَرْنَا فِيهِ جَوَابَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَعَلَّهُ إِنَّمَا عَلِمَ فَضْلَهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ .

وَالثَّانِي: لَعَلَّهُ كَانَ يَعْرِضُ فِيهِ أَعْذَارٌ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا. اهـ

وإضافة النبي ﷺ هذا الشهر إلى الله تعالى بقوله: « شهر الله» . فهي إضافة تشريف.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وقد سمى النبي ﷺ المحرم شهر الله وإضافته إلى الله تعالى تدل على شرفه وفضله ، فإن الله لا يضيف إلا خواص خلقه. اهـ

فينبغي اغتنام هذا الشهر المبارك بالصيام، فيستحب صيامه كله لمن قدر عليه، ومن لم يستطع فليصم ما تيسر له كالاثنين والخميس، ففيهما ترفع الأعمال، وصيام الثلاثة الأيام البيض من هذا الشهر ، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فصيامها يذهب وحر الصدر، أي: غله وغمه. وصيامها كصيام الشهر كله ، لأن الحسنة بعشر أمثالها.

فقد روى الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» . وأصله في صحيح مسلم.

وروى النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**» .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِثَلَاثٍ: « **صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ**» .

وروى أبو داود عَنْ عَبْدِ الملك بْنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُنَا بصِيَامِ الْبِيضِ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ، وَيَقُولُ: « **هو كصَوْمُ الدَّهْرِ أَوْ كَهَيْئَةِ صَوْمِ الدَّهْرِ**» .

أيها المسلمون:

إن شهر الله المحرم هو أول أشهر السَنَة فقد ابتدأت السَنَة بشهر حرام وختمت بشهر من أشهر الحرم وهو ذو الحجة، فينبغي على العبد أن يبدأ عامه بخير وأن يختمه بخير.

فيا عبد الله ابدأ عامك بطاعة الله من صيام وقيام وذكر لله عَزَّوَجَلَّ ، وابتعد عما يغضب الله، وعود نفسك على ذلك، فإن النفس على ما عودت عليه، فإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، وكما قال الشاعر:

النفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم حول أحوالنا إلى أحسن الأحوال، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

والحمدلله رب العالمين.

٤

التحذير من التشاؤم عمومًا و بشهر صفر خصوصًا (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فهناك عادات سيئة واعتقادات باطلة لا يزال بعض الناس عليها، يعتقدونها

(١) تلقى هذه الخطبة عند دخول شهر صفر في أول جمعة منه إن أمكن وإلا ففي الجمعة الثانية.

ويعملون بها وهي من عادات الجاهلية، وقد حذر الله منها في كتابه ونبيه ﷺ في سُنَّته ألا وهو التشاؤم.

فبعض الناس لا يزال يتشاءم ببعض الذوات وبعض الطيور والحيوانات وبعض الأيام والشهور كشهر صفر، ويتشاءمون بمجالسة الجنب أو المرأة الحائض ، وربما يعافون الأكل من فعلها، ويتشاءم بعض التجار بالدين صباحًا زعما منهم أن ذلك يمحق بركة البيع سائر النهار، ويتشاءمون في هذه الأمور يظنون أنها :نحس! تسبب لهم الخسارة والمرض والتعب والمصائب، فهذا كله من الشرك ، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

فقد حذر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الشرك عمومًا ومن الطيرة خصوصًا لما في ذلك من ضرر على العبد في عقيدته وفي دينه ودنياه ، ولما يترتب على الشرك من عقائد باطلة ، وأضرار جسيمة تعود على العبد بالضرر في دنياه وآخرته.

ولست متكلمًا في هذا اليوم عن أضرار الشرك عمومًا ، وإنما أقتصر على التحذير من نوع واحد من أنواع الشرك وهو التطير.

فقد روى أبو داود ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** » والطيرة هي التشاؤم..

وسمي التشاؤم بالطيرة لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بزجر الطير، فيزجرأحدهم الطير فإن ذهب يمينًا، أقدم على عمله ،وإن ذهب شمالًا تشاءم وتوقف عن عمله، فسمي التشاؤم تطيرًا، ولا يزال بعض الناس يتشاءم بالطيور وبأصواتها إلى يومنا هذا ، والعياذ بالله.

والتطير شرك ينافي التوكل، لأن المتطير علق قلبه بغير الله من المخلوقات ، وجعله سببًا لحصول الضر أو الشر فصار مشركًا .

وأماالمتوكل فإنه يعلق قلبه بالخالق ويعلم أن الخير والشر مقدران من عند الله، فصار موحدًا.

وحكم الطيرة قد يكون شركًا أكبر وقد يكون أصغر وذلك على حسب ما يقوم في القلب من الاعتقاد، فقد ذكر أهل العلم أنه يكون شركًا أكبر إذا اعتقد المتشائم أن هذا الشيء يحدث الشر بنفسه، ويكون التطير شركًا أصغر إذا اعتقد المتشائم أن هذا الشيء سبب لحصول الشر أو علامة عليه وإنما المقدر له هو الله فصار شركًا أصغر لأنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا لا كونا ولا شرعا.

فهو لا يزال واقعا في المحظور حتى وإن اعتقد أن الله هو المقدر لهذا الشر لأنه علق قلبه بشيء وهمي لا حقيقة له، فهذا اليوم الذي تشاءم به أو الشهر أو الطير أو الشخص وغير ذلك من الأمورهي مخلوقة مربوبة مسخرة بتسخيره مأمورة بتسبيحه لا تملك من الأمر شيئًا . وليس لها علاقة بالمقادير، ولم يطلع الله هذه الأشياء على شيء من علم الغيب.

فمن وقع في هذه الخرافات واعتقد أن هذه الأشياء سبب لحصول الشر فقد أشرك بالله، ومن ذهب إلى الكهنة والمنجمين ومن كان على شاكلتهم وسألهم عن هذه الأشياء وصدقهم فأخبروه أن هذه الأمور فيها نحس أوهي سبب للشر أوسبب للسعادة فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ.

فقد روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أن رَسُول اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَته، فَقَدْ أَشْرَكَ**» .

وروى البزار عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » . وسواء كان التطير بالمرئيات أو

بالمسموعات أو بالمعلومات فالحكم واحد وهو الشرك.

فالتطير بالمرئيات مثل التشاؤم بالرجل الأقرع أو الأسود أو الأعرج، أو التشاؤم بالمرأة ذميمة الخِلقة، أو التشاؤم بالثعلب أو الأرنب أوالبوم، ونحوها من الطيور.

والتشاؤم بالمسموعات كالتشاؤم بأصوات الحمير ،أو الكلام ،أو أصوات الطيور ونحو ذلك.

والتشاؤم بالمعلومات كالتشاؤم بشهر صفر أو شوال ،أو التشاؤم بيوم الأربعاء، أو يوم السبت ونحو ذلك، كل هذا من الشرك ويدل على حماقة وجهل المتشائم ، إذ لا دخل لها بأقدار الله.

فالشرع نفى ذلك كله وأبطله وأثبت التفاؤل وهو الكلام الطيب، وشرع ركعتي الاستخارة إذا التبس على العبد شيء ،فلم يدرِ هل الخير في فعله أم في تركه ، فيقوم يصلي ركعتين ويدعو الله بدعاء الاستخارة بإخلاص فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سييسره له إن كان فيه خير ويهديه إليه، وإن كان فيه شر فسيصرفه عنه، وهذا مجرب بحمد الله.

ودعاء الاستخارة هو:كما في حديث جَابر بْن عَبْدِ الله ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : « **كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُور كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآن يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأَمْر فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْن مِنْ غَيْر الْفَرِيضَة ثُمَّ لِيَقُل اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعلْمكَ وَأَسْتَقْدرُكَ بقُدْرَتكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلكَ الْعَظيم فَإِنَّكَ تَقْدرُ ، وَلاَ أَقْدرُ وَتَعْلَمُ ، وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لي في ديني وَمَعَاشي وَعَاقبَة أَمْري ، أَوْ قَالَ عَاجل أَمْري وَآجله – فَاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي ثُمَّ بَاركْ لِي فيه وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ – فَاصْرِفْهُ عَنِّي**

وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَه» . رواه البخاري .

أما التشاؤم ففيه ضرب من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وفيه اعتقاد النفع والضربالمخلوق، وهذاهو الشرك بالله رب العالمين .

قال الشيخ سليمان النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير كان يجلب لهم الأمن أو يدفع عنهم الضر وإذا عملوا بموجبه فإنهم شركوه مع الله. اهـ

والتشاؤم هو من صفات المشركين أهل الجاهلية ومن صفات الأمم المكذبة لرسلهم فقد كانوا يتشاءمون بأنبيائهم ويعتقدون أنهم سبب المصائب النازلة بهم.

وقد وجد في هذه الأزمان من يتشبه بهم فيتشاءم بالصالحين ويعتقدون أنهم سبب نزول المصائب على الناس، وهذه عقائد باطلة.

وقد رد الله على أولئك الأقوام المتشائمين بأنبيائهم: فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١** ﴾ [الأعراف:١٣١] .

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ما أصابهم هو من الله بسبب كفرهم.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : طَائِرُهُمْ مَا قَضَى الله عَلَيْهِمْ وَقَدَّرَ لَهُمْ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: شُؤْمُهُمْ عِنْدَ الله وَمِنْ قِبَلِ الله، أَيْ: إِنَّمَا جَاءَهُمُ الشُّؤْمُ بِكُفْرِهِمْ بِالله. اهـ.

وتشاءم قوم ثمود بنبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿ **قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧** ﴾[النمل:٤٧].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ مَا يُصِيبُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عِنْدَ الله بِأَمْرِهِ وَهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ ... ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : الشُّؤْمُ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِ الله لِكُفْرِكُمْ. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي ما أصابكم إلا بذنوبكم. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أي يجازيكم على ذلك. اهـ

وتطير أصحاب القرية بأنبيائهم الثلاثة فقال الله عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ [يس:١٨] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. اهـ أي: تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بسبب أننا ذكرناكم بالله؟!! .

وهكذا نقول لمن يتشاءمون بالعلماء والصالحين :ما نزل بكم من المصائب فهي بسبب ذنوبكم ، ليست بسبب العلماء والصالحين ، فأما العلماء والصالحون فإنهم سبب للخير ونزول البركات، والمفسدون في الأرض هم سبب نزول العذاب.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠] .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ** » ، وفي رواية لمسلم: « **وَلاَ نَوْءَ وَلاَ غُولَ** » .

فالنبي ﷺ نفى تأثير هذه الأشياء وإن كانت موجودة بذاتها لكنها لا تؤثر بنفسها وليست علامة على الشر، فنفى العدوى بأنها لا تعدي بنفسها، وأنها لا تنتقل من شخص لآخر إلا بإذن الله، ولا مانع من الابتعاد عن مجالسة المريض

مرضا معديا من باب فعل الأسباب.

فقد روى البخاري عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ** » . لكن لا يعتقد أنه يعدي بنفسه.

ونفى ﷺ تأثير الطيرة، وبين أن الخير خير الله وأن الطير طير الله والأمور كلها بيد الله، ثم نفى تأثير الهامة وأنه لا يجوز أن يتطير العبد بالهامة وهي طير البوم ولا يزال بعض الناس يتشاءمون بها إذا رأوها أو سمعوا صوتها كما كان أهل الجاهلية يتشاءمون بها.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وفسرت الهامة بتفسيرين:

الأول: أنها طير معروف يشبه البومة، أو هي البومة، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل، صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه. التفسير الثاني: أن بعض العرب يقولون: الهامة هي الطير المعروف، لكنهم يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت، قالوا: إنها تنعق به ليموت، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله، وهذا كله -بلا شك- عقيدة باطلة. اهـ

وربما وجد الأمران فيعتقدون في البوم هذا وهذا وكلاهما باطل.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا أنكر بعض السلف على من إذا سمع البومة تنعق قال: « خيرًا إن شاء الله » فلا يقال خير ولا شر ...، قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير.

فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار لئلا يعتقد تأثيره من الخير والشر وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل فإذا نظر ذكر

النار تشاءم وإذا نظر ذكر الجنة تفاءل، وقال :هذا فأل طيب، فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام. اهـ.

ومن الأمور التي يتشاءم بها الناس شهر صفر، فيعتقدون فيه الشر والفقر، والمرض والموت، فصار بعضهم يسميه شهر الطفر، يعني: الفقر، وبعضهم إذا تشاءم بشيء كبيت أو عمارة أو سيارة يقول: هذا صفر يعني أنها مشؤومة كشهر صفر بزعمه، وهذه من عادات الجاهلية إذ كانوا يتشاءمون بشهر صفر.

وشهر صفر كغيره من الشهور، يحصل فيه الخير والشر بإذن الله لا علاقة له بشيء من هذه الأمور، ولهذا قال النبي ﷺ: « **ولا صفر** » .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : شهر صفر كان العرب يتشاءمون به لاسيما في النكاح يعني لا يتزوجون فيه وقوله: « **ولا صفر** » : أي لا شؤم فيه وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير والشر وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر، آخر ذلك يقول: انتهى شهر صفر الخير وهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة والجهل بالجهل فهو ليس شهر خير ولا شهر شر. اهـ.

وبعضهم يتشاءم بشهر شوال فلا يتزوج فيه، والبعض يتشاءم بيوم الأربعاء ويوم السبت وغير ذلك، وربما كان السبب أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدر شيئًا في ذلك الشهر أو في ذلك اليوم فيتشاءمون به، فتصير عقيدة يتوارثونها جيلاً بعد جيل، وهذا سبب الجهل أما الأماكن التي توجد فيها الدعوة إلى التوحيد فسرعان ما تضمحل هذه العقائد بفضل الله تعالى.

قال الشيخ عثمان التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال العلامة ابن رشد المالكي: أصل تطير الناس من يوم الأربعاء ما جاء أنه أول الأيام النحسات التي أهلك الله فيها عادا وأصل تطيرهم من يوم السبت أن بني إسرائيل لما عدوا فيه مسخهم

قردة وخنازير... وأما تشاؤمهم في شهر شوال فقد قيل: إن ذلك طاعون وقع في شهر شوال فمات فيه كثير من العرائس فتشاءموا بذلك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وأدخلت عليه في شوال فأي نسائه كانت أحظى عنده مني» . اهـ وهذا الحديث رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وقوله ﷺ: « ولا غول»: نفى تأثيرها وهي شياطين كان العرب يعتقدون أنها تهلكهم وتضلهم عن الطريق، فبين النبي ﷺ أنها لا تضر من كان متوكلا على الله معلقا قلبه بالله ، وقد تتسلط على من كان قلبه معلقا بها خائفا منها بعيدًا عن الله غير معتمد عليه.

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يمينا وشمالا تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة، فتدخل في قلوبهم الرعب والخوف، فتجدهم يكتئبون ويستحسرون عن الذهاب إلى هذا الوجه الذي أرادوا، وهذا لا شك أنه يضعف التوكل على الله، والشيطان حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المجادلة: ١٠] .

وهذا الذي نفاه الرسول -ﷺ - هو تأثيرها، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقا بها، أما إن كان معتمدا على الله غير مبالٍ بها، فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده. اهـ

ونفى رسول الله ﷺ تأثير الأنواء وهي النجوم فقال: « ولا نوء»: وذلك أنهم كانوا يعتقدون الخير والشر بحركات النجوم ويعتقدون فيها السعود أو النحوس وكانوا يستسقون بها وينسبون نزول المطر إليها ولا تزال هذه العقيدة

موجودة إلى زماننا هذا عند بعض الناس، ويوجد من المنجمين من يرصد حركات النجوم ويستدل بها على حوادث الأرض وهذا من الشرك .

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْم ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ**) رواه أبو داود عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فنسأل الله أن يبصرنا في ديننا ، وأن يرزقنا العقيدة الصحيحة ، وأن يثبتنا عليها.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه..

أما بعد:

فقد حذر النبي ﷺ من الطيرة لما فيها من خلل في العقيدة وسُوء ظن بالله رب العالمين ، ولما تشتمل عليه من أمور وهمية لا حقيقة لها.

وحث النبي ﷺ على التفاؤل لما فيه من اعتماد على الله وحُسن ظن بالله واستبشار بالخير بخلاف الطيرة التي فيها التشاؤم بالشر وتوقع حدوثه وفيها توكل واعتماد على غير الله.

فقد كان النبي ﷺ يتفاءل بالكلمة الطيبة فيحب أن يسمع الكلام الطيب ويتفاءل بالأسماء الحسنة ، مثل راشد ونجيح وسهل وسهيل ونحو ذلك.

فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبنِي الْفَأْلَ قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ ؟ قَالَ : كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ** » .

وروى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ سَمِعَ كلمةً فأعجبتْه فقال: « **أخذْنا فَأْلَكَ مِن فِيك** » .

وعند الترمذي عَنْ أَنَس بْنِ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ.

وفي صلح الحديبية تفاءل النبي ﷺ باسم أحد وفود المشركين وهو سُهيل ابن عمرو فلما رآه قال: « ما أرى الأمر إلا قد سهل » .

فحصل الاتفاق على الشروط وتم الصلح المعروف بصلح الحديبية الذي كان سببًا لفتح مكة ونشر الدعوة الإسلامية .

فكل هذه الأحاديث تدل على استحباب التفاؤل بالكلام الطيب لأن فيه استبشارا بالخير ولا ينافي التوكل .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَالله سُبْحَانَهُ قد جعل فِي غرائز النَّاس الْإِعْجَاب بِسَمَاع الإسم الْحسن ومحبته وميل نُفُوسهم إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ جعل فِيهَا الِارتياح والاستبشار وَالسُّرُور باسم السَّلَام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز وَالظفر وَالْغنم وَالرِّبْح وَالطّيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها. اهـ

والفرق بين الطيرة والتفاؤل: أن في الطيرة سوء ظن بالله تعالى وفي التفاؤل حسن ظن بالله وفي الطيرة اعتماد على غير الله من المخلوقات بينما التفاؤل فيه اعتماد على الله والطيرة فيها تشاؤم واعتقاد الشر بالشيء بينما التفاؤل فيه استبشار بالخير واعتقاده من الله. والطيرة تكون سببًا لفعل الشيء أو تركه عند المتشائم كما في الحديث: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك. بينما التفاؤل لا يكون سببًا لفعل الشيء ولا لتركه فالمتفائل قادم على الشيء ومتوكل على الله في تحقيقه، وإنما يزداد نشاطًا بتفاؤله بالشيء والله أعلم.اهـ

وهناك إشكال عند بعض الناس وهو في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ ﴾[القمر:١٩].

فقد يقول قائل: هذا يوم نحس وشؤم عليهم!

الجواب: أن هذا من باب الإخباروليس من باب التشاؤم، فأخبر الله أن هذا اليوم وقع فيه عذاب عليهم بسبب كفرهم ، ومثلها قوله تعالى عن لوط: ﴿ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾[هود:٧٧] أي: شديد.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[فُصِّلَت:١٦] ، أي شديدات متتابعات.

ويستشكل بعض الناس حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو في الصحيحين أن النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ** » .

فصار بعض الناس يتشاءم بالنساء وبعض البيوت والمراكب، علماً بأن هذا الحديث ليس فيه إثبات للطيرة.

وإليكم توجيهات أهل العلم حول هذا الحديث:

قال الحافظ المازري في معنى هذا الحديث: أي: أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر من غيرها. أ هـ . أي: غالب ما يتشاءم الناس بهذه الثلاث .

وقال الشيخ عثمان التميمي: وقالت طائفة أن النبي ﷺ لم يجزم بالشؤم في هذه الأشياء بل علق على الشرط ، فقال: إن يكن الشؤم في شيء ففي المرأة والدابة والدار. وفي رواية: « لا شؤم فإن يكن ففي ثلاثة» . أ هـ

ويؤيد هذا القول ما رواه الترمذي وابن ماجه عن حكيم بن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، يَقُولُ : « **لاَ شُؤْمَ ، وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي ثَلاَثَةٍ : فِي الْمَرْأَةِ ، وَالْفَرَسِ ، وَالدَّارِ** » .

ففي هذا الحديث أثبت النبي ﷺ عكس الشؤم وهو اليُمن وبين في حديث آخر أن التشاؤم في هذه الأمور من عادات أهل الجاهلية.

فعند البيهقي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : قال النبي ﷺ: « كان أهل الجاهلية يقولون: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار» .

والحاصل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقدر لبعض الناس نساءً أو أولادًا أو بيوتًا ،

تتعب صاحبها من ضيق في البيت أو سوء خلق في المرأة أو نفور في الفرس أو عصيان في الأولاد ، فيتشاءم صاحبها منها وإلا فهي أعيان كغيرها يقدر الله فيها الخير والشر ، ولا علاقة لذلك العين ، ولم يجعلها سببًا للخير والشر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإخباره بالشؤم أنه يكون في هَذِه الثَّلَاثَة لَيْسَ فِيهِ إِثْبَات الطِّيرَة الَّتِي نفاها وَإِنَّمَا غَايَته إن الله سُبْحَانَهُ قد يخلق مِنْهَا أعيانا مشؤمة على من قاربها وسكنها وأعيانا مباركة لَا يلْحق من قاربها مِنْهَا شُؤْم وَلَا شَرّ وَهَذَا كَمَا يُعْطي سُبْحَانَهُ الْوَالدين ولدًا مُبَارَكًا يريان الْخَيْر على وَجهه وَيُعْطي غَيرهمَا ولدا مشؤوما يريان الشَّرّ على وَجهه فَكَذَلِك الدَّار وَالمرْأَة وَالْفرس. اهـ

وقال العلامة يحيى الحجوري: الشؤم في المرأة سوء خلقها ويزيد الشؤم إذا ارتكبت الفواحش، والشؤم في الدار في ضيقها وسوء جيرانها وخلوها من الطاعات وقراءة القرآن فربما سكنها الجن فيؤذون ساكنيها، والشؤم في الدابة والمركبة صعوبتها وصعوبة ركوبها وإتعابها لصاحبها. اهـ ملخصاً.

فهذا ما يتعلق بالحديث المتقدم الذي استشكله بعض الناس، وأما اعتقاد الشؤم والتطير في هذه الأشياء أوفي غيرها فلا يجوز، لأن الخير والشر مقدران من عند الله تعالى، فإن حصل الخير فعلى العبد أن يحمد الله، وإن حصل الشر فعليه الصبر والإيمان بأقدار الله والاحتساب للأجرعند الله ، فإنما هو ابتلاء وتمحيص، وعلى العبد أن يراجع ذنوبه فهي سبب للمصائب.

ولا يجوز الاعتقاد في هذه الأشياء ولا في غيرها أنها هي السبب للضر والشر فإن هذا من ضعف التوحيد وعدم التوكل على الله.

نسأل الله أن يرزقنا الإيمان بأقداره وحُسن التوكل عليه ، وأن يملأ قلوبنا من توحيده ومحبته ورجائه وخشيته ، والحمد لله رب العالمين.

٥
التحذير من بدع رجب (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِيْ النَّارِ .

أيها المسلمون عباد الله...

يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى

(١) تلقى هذه الخطبة في أول رجب أو قبل دخوله بيوم أو يومين.

﴿ كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ ﴾ [التوبة:٣٦] .

بيَّن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه الأية الكريمة أن السَّنة اثنا عشر شهرا، وبين أن فيها أربعة حرم فضلها على غيرها ، وهي شهر رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم، فيجب تعظيمها كما عظمها الله.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قَالَ: « **الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَوَات وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، منْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَاليَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالُمحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ** » .

فإن الظلم والعصيان محرم في سائر الشهور لكنه أعظم في الأشهر الحرم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [التوبة:٣٦] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية : ﴿ **فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ** ﴾ أي: في هذه الأشهر المحرمة لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصًا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملاً بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها. اهـ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة:٢].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ: لَا تُحِلُّوا مَحَارِمَ الله الَّتِي حَرَّمَهَا تَعَالَى؛ وَلِهَذَا

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ تَحْرِيمَهُ وَالاعْتِرَافَ بِتَعْظِيمِهِ، وَتَرْكَ مَا نَهَى الله عَنْ تَعَاطِيهِ فِيهِ مِنَ الابْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ وَتَأْكِيدَ اجْتِنَابِ المَحَارِمِ. اهـ

فالشاهد من هذا أنه لم يثبت شيء في فضل شهر رجب إلا أنه من الأشهر الحرم التي عظمها الله فيثبت فيه ما يثبت في غيره ويحرم فيه ما يحرم في غيره فشأنه كشأن سائر الأشهر الحرم، أما ما ورد من الأحاديث في فضل شهر رجب وفضل العبادات فيه فلم يثبت منها شيء فهي أحاديث ضعيفة ومكذوبة على رسول الله ﷺ لا يجوز العمل بها فقد أحدث كثير من الناس عبادات ومخالفات اعتمادا على هذه الأحاديث.

وفي هذا اليوم نذكر بعض هذه الأحاديث لبيان ضعفها وعدم ثبوتها ونذكر بعض البدع والمخالفات التي أحدثها بعض المسلمين للتحذير منها، لأن البدع أخطر على المسلمين من المعاصي.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ :البدعة أحب إلى إبليس من المعصية.

والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد نهانا عن البدع والمحدثات وأمرنا أن نعبده كما أمرنا في كتابه وفي سُنَّة رسوله ﷺ، وبين أن من عبد الله بالأهواء والبدع فإن الله لا يقبل منه ذلك العمل ويأثم على مخالفته للشرع المحمدي والوحي الذي نزل من عند ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، والسُنن الشرعية كثيرة ؛ لمن أراد أن يتقرب إلى ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ .

فمن هذه الأحاديث الباطلة والمكذوبة على نبينا محمد ﷺ في فضائل شهر رجب: (خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله، مَن عظّم شهر الله رجب؛ عظم أمر الله...) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا حديث موضوع. أي: مكذوب على النبي ﷺ.

ومنها حديث: (رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام

يوماً من رجب؛ فكأنما صام سَنَة ...) قال المحدث الألباني: هذا حديث موضوع.

ومنها حديث: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث موضوع.

ومنها حديث: (فضل شهر رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الأذكار). قال الحافظ: حديث موضوع.

ومنها حديث: (من فرج عن مؤمن في رجب كربة، أعطاه الله في الفردوس الأعلى قصرًا مد بصره). قال الحافظ ابن حجر: لا أصل له.

ومنها حديث: (رجب شهر الله ،وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي). قال الألباني: حديث ضعيف. وغير ذلك من الأحاديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يثبت عن النبي ﷺ في فضل شهر رجب حديث بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبي ﷺ كلها كذب. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يرد في فضل شهر رجب ولا صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح. اهـ

وقد ألَّف رسالة بعنوان :(تبيين العجب بما ورد في شهر رجب). حذر فيها من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة في فضائل رجب وحذر من البدع التي أحدثت في شهر رجب.

فمن أراد أن يعبد الله ويتقرب إليه بأنواع من القربات والعبادات فليتعبد له في أي وقت دون تخصيص لوقت من الأوقات بغير دليل، فإن تخصيص عبادة من العبادات في زمن معين أو في مكان معين بغير دليل بدعة محرمة ومردودة على صاحبها لأن ذلك افتراء على الشرع واعتداء.

فنرى في هذا الشهر من يخصص فيه عبادات كالصيام والصلاة والزيارات والاجتماعات وغير ذلك، فهذا غير مشروع فإن رجب كغيره من الشهور يشرع فيه ما يشرع في غيره ويمنع فيه ما يمنع في غيره من البدع والمحدثات وغيرها، ويشرع فيه صيام الاثنين والخميس وصيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر وقيام الليل وغيرذلك من العبادات المشروعة في غيره، أما تخصيصه بشيء من العبادات أو الصيام فهذا ليس من السُّنَّة.

فمن الناس من لا يصوم إلا في شهر رجب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما صيام رجب بخصوصة فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة. اهـ

وقال تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى وقد نهى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذين يصومون في رجب وأمرهم بالفطر. اهـ

وقال كثير من أهل العلم ببدعية تخصيص الصوم في شهر رجب، منهم شيخ الإسلام وابن رجب وابن حجر والألباني رحمهم الله جميعا.

ومن هذه البدع التي أحدثت في شهر رجب تخصيصه بالزيارات والضيافة والاحتفالات فيحتفلون في هذا اليوم ويتزاورون ويستضيفون ويصلون أرحامهم ومن لم يصل رحمه في جمعة رجب خصوصًا أو في رجب عموما فقد قطع رحمه وقصر وفرط.

وفي جمعة رجب يلبسون الثياب الجديدة ويستعدون لها من يوم الخميس بالاغتسال والحناء وربما اعتقدوا أن ذلك سبب لذهاب بعض الأمراض وهذه خرافات واعتقادات شركية وأعمال بدعية لا تجوز.

وبعضهم ينادي ويقول :(يا خميس رجب أذهب عنا الحصبة والجرب) وهذا شرك لأنه دعاء لغير الله عياذا بالله.

وبعضهم يصوم هذا اليوم ويخص جمعة رجب بصيام، وهذا وقع في محذورين: الأول أنه خصص أول جمعة من رجب، والمحذور الثاني أنه صام يومًا نهى النبي ﷺ عن صيامه مفردًا أو مخصصاً.

وقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**».

وفي هذا اليوم يصلون صلاة الرغائب وهي اثنا عشر ركعة وذلك بين المغرب والعشاء وهذه بدعة منكرة لم يفعلها النبي ﷺ فقد نقل شيخ الإسلام الاتفاق على أنها بدعة.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما ما يسمى بصلاة الرغائب وهي ألف ركعة في أول ليلة من رجب أو في أول ليلة جمعة منه فأيضًا لا صحة لها وليست مشروعة. اهـ

وفي جمعة رجب يخصص بعض الناس زيارة مسجد الجند في تعز فيحصل في ذلك الاجتماع مخالفات من اختلاط الرجال مع النساء ومضغ شجرة القات في المسجد ويحصل امتهان للمسجد ولشعائر الله.

ومن تلك المخالفات ما يحدث من الاجتماعات واللقاءات في بعض المساجد في جمعة رجب، وكل هذا من البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن البدع في رجب تخصيص زيارة المسجد النبوي فيه، ولا شك أن زيارة المسجد النبوي قربة عظيمة والصلاة فيه بألف صلاة لكن لا يجوز تخصيص الزيارة في وقت من الأوقات بل يشرع زيارته في أي وقت دون تخصيص.

ومن البدع في رجب تخصيص زيارة القبور والقول في هذا كالقول السابق في زيارة المسجد النبوي بإنه بدعة، بل ولا يجوز تخصيص يوم أو شهر لزيارة

المقابر ،ولكن يشرع زيارتها في كل الأوقات، لأن التخصيص ليس من السُّنَّة ، ولم يفعله السلف الصالح.

ومن الاعتقادات البدعية في شهر رجب الاعتقاد بأن دعوة المظلوم مستجابة، وهذا اعتقاد باطل ، وهو من اعتقاد أهل الجاهلية إذ كانوا يعتقدون أن دعوة المظلوم مستجابة في شهر رجب، ومن المعلوم بالشرع أن دعوة المظلوم مستجابة بدون تخصيص إلا ما جاء مخصصًا في بعض الأوقات، فإن الاستجابة فيها تكون أحرى، كآخر الليل وبين الأذان والإقامة وفي السجود وغير ذلك، أما في رجب فلم يأت دليل من الكتاب والسُّنَّة على أن رجب من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء.

ومن بدع رجب تخصيص العمرة فيه، وقد عُلم من الشرع أن العمرة في رمضان أفضل من غيره، ولم يأت تفضيلها أو تخصيصها في رجب والعمرة في رجب جائزة لكن بدون تخصيص.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: « **فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي**» .

ومن التخصيصات المخالفة للشرع أنهم يخصصون إخراج الزكاة في شهر رجب لفضيلة رجب زعموا، وهذا خلاف السُّنَّة فالمشروع في الزكاة أنه متى حال عليها الحول وبلغت النصاب أخرجت سواء حال عليها الحول في رجب أو في شعبان أو في رمضان، فمتى ما بلغت النصاب ودارت عليها السَنَة تعلقت بالذمة ووجب إخراجها واستحقها الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها. والله المستعان .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، الحمد لله على نعمائه وآلائه المتوالية، الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان ، الحمد لله على نعمة السُّنَّة ونسأله المزيد من فضله.

أما بعد:

فالبدع كثيرة جدا وهي في هذا ا لشهر أكثر بسب أهل البدع والأهواء۔ لا كثرهم الله .

قال بعض السلف وهو حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سُنَّتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»رواه الدارمي » .

وإننا نشاهد كثيرًا من الناس مقبلين على البدع داعين إليها معرضين عن السُّنن زاهدين فيها -إلا من رحم الله- ، بل بعضهم يحارب السُّنَّة وأهلها ، ويحذر منها ومن أهلها الداعين إليها ، والله المستعان.

ومن هذه البدع التي أحدثت في شهر رجب بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج، اعتقادا منهم أن ليلة الإسراء والمعراج هي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا دليل عليه ، وقد اختلف أهل العلم في تحديدها بما حاصله أنه لم يثبت أن ليلة الإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين، وعلى تقدير ثبوت ليلة الإسراء والمعراج في ليلة معينة من الليالي ، فإنه لا يجوز الاحتفال بالإسراء والمعراج لعدم احتفال السلف بذلك، ولو كان ذلك خيرًا لسبقونا إليه، فلم يحتفل النبي عليه الصلاة والسلام ولا صحابته الكرام ولا التابعون الأعلام بليلة من الليالي وجعلوها ليلة الإسراء والمعراج.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وأما الإسراء والمعراج الذي اشتهر عند كثير من الناس أوأكثرهم أنه في رجب وفي ليلة السابع والعشرين منه، فهذا لا صحة له إطلاقا وأظهر الأقوال أن الإسراء والمعراج كان في ربيع الأول، ثم إن إقامة الاحتفالات ليلة سبع وعشرين من رجب بدعة لا أصل لها. اهـ

ومن بدع رجب تخصيص ذبيحة تذبح في رجب تسمى الرجبية، وكان أهل الجاهلية يخصصون ذبيحة يذبحونها في رجب ويسمونها العتيرة فنفاها النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ** » .

والعتيرة هي ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب ، يعظمون شهر رجب لأنه أول الأشهر الحرم . قال بعض أهل العلم: كانوا يذبحونها في العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية. اهـ

هذه أبرز البدع وأظهرها في هذا الشهر ،وغيرها كثيرمن البدع والاعتقادات الباطلة والمخالفات الحاصلة في هذا الشهر وفي غيره، وقد اقتصرنا على أهمها وأكثرها شيوعًا في شهر رجب.

فالواجب على العباد أن يتقيدوا بالسُّنَّة، وينضبطوا بالضوابط الشرعية والتوجيهات النبوية ،وألَّا يخالفوا السُّنَّة الغراء، وعليهم أن يعملوا بالشرع الحنيف بلا زيادة ولا نقصان ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا أن نستقيم على كتابه وعلى سُنَّة نبيه ﷺ على ما أراده، وأراده رسوله ﷺ ، لا على ما أراد العبد نفسه، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢] .

وأخبر أن من شرَّع في الدين فقد شارك الله في التشريع ، ومن أخذ شرعًا من غير الكتاب والسُّنَّة ، فقد جعل شريكًا مع الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى:٢١] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ: هُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ الله لَكَ مِنَ الدِّين الْقَوِيم، بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْس، مِنْ تَحْرِيم مَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ، مِنَ الْبَحِيرَة وَالسَّائِبَة وَالْوَصِيلَة وَالْحَام، وَتَحْلِيل الْمَيْتَة وَالدَّم وَالْقِمَار، إِلَى نَحْو ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالَات وَالْجَهَالَة الْبَاطِلَة، الَّتِي كَانُوا قَد اخْتَرَعُوهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيم، وَالْعِبَادَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْفَاسِدَةِ. اهـ

وأخبر النبي ﷺ أن الله تعالى لا يقبل عملا يخالف سُنَّته كما في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ** » .

وفي رواية لمسلم: « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» . أي: مردود على صاحبه ومحبوط غير مقبول.

وبيَّن النبي ﷺ أن البدع ضلالات والضلالات مؤداها إلى النار وأصحابها ضُلَّال. فقد ثبت عند الترمذي عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالَةٌ** » وفي رواية النسائي: « **وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**» .

نعوذ بالله من البدع و المحدثات والضلالات ، والنار اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين ، وعلى نهج سيد المرسلين محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٦
كيف نستقبل شعبان وذكر بعض ما ورد فيه (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله...

فإنه لا يخفى على مسلم أننا ودعنا شهرا ونستقبل شهرا من الأشهر الهجرية، ودعنا شهر رجب ونستقبل شهر شعبان ثم يأتي بعده خير الشهور وهو شهر

(١) تلقى هذه الخطبة عند دخول شهرشعبان

رمضان المبارك وعلمنا أنه لم يثبت في شهر رجب شيء يخصص به أو يميز به على غيره من الشهور إلا أنه من ضمن الأشهر الحرم التي عظَّمها الله في كتابه، وأما شهر شعبان فإنه قد ثبت فيه مزية على بعض الشهور وخصَّه النبي ﷺ بكثرة الصيام فيه، وثبت فيه فضائل سيأتي ذكرها، ويثبت فيه أيضًا ما يثبت في غيره من الشهور من أنواع القربات والعبادات كصيام الاثنين والخميس والأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر .

وخص شعبان بكثرة الصيام فيه لحكم عظيمة :

منها : استعدادا لرمضان وتوطين النفس لصيام رمضان.

ومنها : أن الناس يغفلون فيه فكان للصيام فيه فضيلة عظيمة.

ومنها : أن الأعمال ترفع فيه وغير ذلك.

فقد روى النسائي عن أُسَامَة بْن زَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: « **ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ** » .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : وكل شهر فيه يغفل الناس يكون فاضلًا لقلة القائمين فيه . اهـ

وقال بعضهم: يغفل الناس فيه لأنه بين شهرين عظيمين، شهر رجب وشهر رمضان.

فكل زمان أو مكان يحصل فيه غفلة فالأعمال فيه فاضلة، كالانشغال بالأعمال الصالحة أيام الفتن ،والناس مشغولون بالفتن، مثال ذلك فضل دعاء السوق ،فإن فيه أجورًاعظيمة ومضاعفة، وذلك لغفلة الناس وانشغالهم بدنياهم وبيعهم وشرائهم، وغير ذلك.

ومن فضائل شهر شعبان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفر لجميع خلقه إلا من شاء الله.

فقد روى الطبراني عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ : « **يَطَّلِعُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ ، أَوْ مُشَاحِنٍ** » .

قال المناوي: أي مخاصم. اهـ، وقال بعضهم: أي: مبتدع ، فلا يغفر لهما.

ففيه خطر التخاصم والتهاجر، وخطر الابتداع في الدين ، وخطر الشرك ، وأنها تحول بين العبد وبين مغفرة الذنوب ،حتى يترك البدعة أو يترك الشحناء ويترك الشرك.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا** » .

قال أبو داود: فإذا كان الهجر لله فليس من هذا شيء، فإن النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يومًا ، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات. اهـ

فمن هجر فاسقا أو مبتدعا لبدعته فلا يدخل في الحديث، ولا يأثم من هجره، فإن البدعة من موانع المغفرة والتوبة.

فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رسول الله ﷺ: « **إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**» .

قال بعض أهل العلم: أي :لا يوفق للتوبة.

ومن خصائص شهر شعبان أن النبي ﷺ كان يخصه بكثرة الصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

« كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ » .

وفي رواية عند أحمد: « **وَكَانَ أَحَبُّ الصَّوْمِ إِلَيْهِ فِي شَعْبَانَ** » .

وعند الترمذي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلاَّ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ. وفي رواية عند النسائي: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ لَا يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلَّا شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ» .

وروى النسائي أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ الصِّيَامِ، فَقَالَتْ: « **إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، وَيَتَحَرَّى صِيَامَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ** » .

فهذه الأحاديث تبين مشروعية الصيام في شهر شعبان، ففي بعضها أنه ﷺ كان يصوم الشهر كله، وفي بعضها أنه كان يصوم أكثر الشهر، وجمع بعض أهل العلم بين هذه الأحاديث، فقالوا :كان أحيانا يصوم شعبان كله وأحيانا يصوم أكثره وأحيانا يصوم بعضه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان كله: أي غالبه. وقيل كان يصوم شعبان كله في وقت ويصوم بعضه في سَنَة أخرى. اهـ.

وأما الحكمة من صيام شعبان فقد قال بعض أهل العلم: تعظيماً لرمضان فيشبه سُنَّة الفرض للصلاة تعظيما لحقها.

أو توطين النفس وتهيئتها للصيام لتكون مستعدة لصيام رمضان ليسهل عليها أداؤه.

ولهذا كان ﷺ يحث غيره على الصيام في شعبان لا سيما في وسطه فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِرَجُلٍ: « **هَلْ صُمْتَ مِنْ سَرَرِ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا؟** » قَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **فَإِذَا أَفْطَرْتَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصُمْ يَوْمَيْنِ مَكَانَه** » .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والسرر هو الوسط أي وسط شعبان وهي الأيام البيض وسميت بذلك لاستسرار القمر فيها. اهـ

وأيام البيض هي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، وسميت بالأيام البيض لأن لياليها بيضاء مقمرة، وذلك لأن القمر فيها مكتملة أو شبه مكتملة في بعضها.

وفي هذا الحديث جواز قضاء النافلة لمن فاتته، قال بعض أهل العلم: قد علم النبي ﷺ من هذا الرجل أنه كان يداوم على صيام النافلة، فلما لم يصم أذن له بالقضاء.

وفيه فضيلة الصيام في شعبان ولذلك أمره بالقضاء بعد رمضان.

وأما حديث :(إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)، فقد قال الإمام أحمد: هذا حديث منكر.اهـ

وعلى تقدير ثبوته فإن النهي محمول على التخصيص لا سيما آخر الشهر أو محمول على النهي بصيام قبل رمضان بيوم أو يومين أو النهي عن تخصيص النصف الثاني من شعبان.

فقد روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ** » .

بمعنى أنه لا يجوز استقبال شهر رمضان بصيام يوم أو يومين إلا أن يكون العبد معتادا صيام ذلك اليوم فوافق مجيئه قبل رمضان بيوم أو يومين، كصيام الاثنين والخميس أو وافق نذر أو كفارة أو قضاء فيجوز صيامه لهذا الغرض ولو قبل رمضان بيوم أو يومين.

والحكمة من هذا النهي، قال أهل العلم كما ذكره الحافظ ابن حجر: لئلا يختلط الفرض بالنفل.

وقال بعضهم: لأن حكم الصيام معلق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم.

وذكروا أشياء غير هذا، فالذي يلزمنا هو الانقياد والامتثال، فنقف عند النهي بالاجتناب وعند الأمر بالامتثال، سواء علمنا الحكمة أم لم نعلمها، فما علينا إلا السمع والطاعة، وأن نقول سمعنا وأطعنا.

وأما تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام أو يوم النصف من شعبان بالصيام فإنه لم يثبت في ذلك حديث ، فإن الحديث في ذلك موضوع ومكذوب على رسول الله ﷺ ، وهو حديث: « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا فَإِنَّ الله تَعَالَى يَنْزِلُ فيهَا لغُرُوب الشَّمْس إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا حَتَّى يطلعَ الْفَجْر » قال العلامة الألباني : موضوع اهـ .

ولم يثبت شيء في تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام .

وأما الحديث المتقدم « أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » فإنه حسن حسنه العلامة الألباني، لكن ليس فيه تخصيص عبادة أو الحث عليها ولم يأمرنا أن نتعبد لله في هذه الليلة بخصوصها. وإنما فيه أن الله يغفر لعباده المؤمنين فيها إلا المشرك والمشاحن.

فالحاصل ياعباد الله أنه يشرع الصيام مطلقًا في هذا الشهر، فلا يفوتنكم صيامه ما استطعتم إلى ذلك سبيلا، فمن لم يستطع فلا يبخل على نفسه بصيام الاثنين والخميس منه، ففي هذين اليومين تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فقدروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ** » .

وَفي رواية مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ : « **تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْم خَميس وَاثْنَيْن، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلكَ الْيَوْم، لكُلِّ امْرِئ لَا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيه شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا** » .

فمن لم يستطع صيام الاثنين والخميس فليظفر بصيام الثلاثة الأيام البيض من الشهر وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فإنها تذهب وحر الصدر،دون أن يعتقد تخصيصها كما يفعله بعض الناس، إذ يخصونها بصيام لفضلها زعموا، وربما أوجبوا صيامها، لاسيما الذين قد اعتادوا صيامها، ويسمونها بالشعبانية، لكن لابأس من صيامها دون تخصيصها من الشهر.

فالصيام في هذا الشهرعموما مستحب وليس بواجب، لكن لا ينبغي للمؤمن التفريط فيه لأننا في هذه الدنيا في ميدان سباق إلى الدار الآخرة .

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ [الزلزلة:٧] .

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ في صيام أيام البيض: « **صَوْمُ ثَلاَثَةِ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**» .

وقوله: «**صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**» لأن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام ثلاثة أيام بثلاثين يوما، فصيامها في الشهر كصيام الشهر كله، ومن داوم على ذلك كل شهر فكأنما صام الدهر كله أي: عمره كله.

وروى النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْرٍ** » .

ومعنى وحر الصدر: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : غله وغشه وحقده وغيظه أو نفاقه بحيث لا يبقى فيه رين أو العداوة أو أشد الغضب...، وشرع الصوم كسرًا لشهوات النفوس وقطعًا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء. اهـ

والصيام من أفضل العبادات التي لا يعدلها شيء فقد كان من وصايا النبي ﷺ لأبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : « **عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ ، عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ**» . رواه النسائي

فنسأل الله أن يعيننا على طاعته.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه .

أما بعد:

فينبغي على المؤمن أن يكون طائعا لله في كل زمان ومكان، في ليله ونهاره وفي سره وجهاره وفي حضره وسفره وفي خلوته وجلوته قال النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا**» . رواه الترمذي

وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾** ﴾ [مريم:٣١] .

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

فالإنسان كله لله، فيجب عليه أن يجعل حركاته وسكناته من أجل الله وأن يكون عابدًا لله في كل وقت وحين، وأن تكون عباداته على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان.

ولكن هناك أوقات وأماكن فضلها الله على غيرها ، وجعل فيها مزية وفضيلة على غيرها ، لحكم يعلمها هو، فجعل أوقاتًا وأماكن مباركة ، وجعل الأجور فيها مضاعفة، واختص فيها أعمالا بمزيد فضل، وبالمقابل فهناك أوقات وأماكن نهى عن العبادات فيها، فيجب التقيد بما شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ،

لأنه أعلم بما يصلح عباده فيشرعه لهم، وما يفسدهم فينهاهم عنه، فشرع لهم ما فيه صلاحهم، وحرم عليهم ما فيه سبب فسادهم، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠] .

واختار لهم أشياء تنفعهم ومنعهم من أشياء تضرهم، وكل ذلك بمقتضى حكمته ، فلا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ولا اعتراض على أقداره : ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد : ٤١] ، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨] .

ومما اختاره الله لنا من القربات لهو الصيام في شهر شعبان والاجتهاد بالعبادات في شهر رمضان فينبغي للعبد أن يغتنم مثل هذه الأوقات والمواسم الخيرية بالتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنواع من العبادات وأن يوطن نفسه للعبادات في هذا الشهر ، لاستقبال شهر رمضان الذي هو خير الشهور، وفيه ليلة هي خير ليالي السَنة على الإطلاق، فينبغي التفرغ في هذا الشهر وتخفيف الأشغال فيه وتفريغ القلب والبدن لذكر الله ولعبادته وأن يقبل العبد على الله بالالتجاء إليه والدعاء بأن يعينه على الطاعات وترك المعاصي والاستعداد للعبادات في شهر رمضان المبارك.

وليتق الله الذين يستقبلون شهر رمضان بالمعاصي من تجهيز المسلسلات وأجهزة التلفاز ، والدشوش المدمرة للقيم والأخلاق ، وتجهيز مجالس القات وزرع هذه الشجرة الخبيثة ، التي جعلت كثيرًا من الناس يبيتون يجاهرون الله بالمعاصي في ليالي رمضان أمام هذه الأجهزة ، فينظرون إلى الكاسيات العاريات ويستمعون الأغنيات الماجنات، فصار كثير من المسلمين يجهزون هذه المعاصي من شهر شعبان ، فيستقبلون بها شهر رمضان المبارك ، وإلى الله المشتكى.

ومما ننبه عليه أن من كان عليه صيام شهر رمضان السابق فليبادر بالقضاء قبل أن يدخل رمضان الآخر فإنه لا يجوز تأخير قضاء رمضان إلى ما بعد رمضان الآخر إلا من كان معذورًا ، فمن دخل عليه رمضان الآخر وعليه صوم من رمضان الأول فهو آثم، لأنه قصر وفرط وعليه التوبة والاستغفار، والصوم لا يزال في ذمته فيجب عليه القضاء ولو بعد رمضان الآخر.

والأفضل على من كان عليه صوم من رمضان رجالاً ونساءً أن يبادروا بالقضاء بعد رمضان مباشرة، فإن خير البر عاجله، ويجوز تأخيره إلى شعبان لحاجة فقد كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان ، لأنها كانت مشغولة برسول الله ﷺ.

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالتُ: « **كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَهُ إِلَّا فِي شَعْبَانَ، الشُّغْلُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَوْ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معصيتك، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٧

كيف نستقبل شهر رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ لله،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله

---

(١) تلقى هذه الخطبة قبل دخول رمضان .

وإياكم وجميع المسلمين من البدع والضلالات والنار.

أيها المسلمون...

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص:٦٨] .

فإنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق أعياناً وأزماناً وأمكنةً وفضل بعضها على بعض، ففضل الرسل على غيرهم وفضل الأنبياء على من دونهم، وفضل أهل العلم على سواهم وهكذا، وخلق أماكن وشرف بعضهاعلى بعض، ففضل المساجد على غيرها ففضل الثلاثة المساجد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى على غيرها من المساجد، وفضل المسجد الحرام على المسجد النبوي والمسجد الأقصى، وجعل الصلاة فيه مضاعفة بمائة ألف صلاة، وخلق الأزمان ففضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الأيام والليالي على بعض، ففضل من الشهور شهر رمضان وفضل من أيام الأسبوع يوم الجمعة، وفضل من سائر الأيام أيام عشر ذي الحجة ، وجعل الأعمال فيها مباركة والأجور فيها مضاعفة، وفضل يوم عيد الأضحى على أيام السَنَة، وفضل ليالي العشر الأواخر من رمضان على سائر الليالي، وفضل ليلة القدر على سائر ليالي السَنَة، وهكذا ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ .

فإن مما فضله الله من الشهور واختاره على غيره لهو شهر رمضان المبارك الذي سنستقبله في الأيام القريبة بمشيئة الله تعالى.

وموضوعنا في هذا اليوم كيف نستقبل هذا الشهر المبارك.

فيا عباد الله...

إنه ينبغي على كل مسلم أن يجود بالخير في هذا الشهر المبارك، فيجود بالكرم والصدقة ويجود بالذكر وقراءة القرآن ويجود بالصيام والقيام ويجود بالتوبة

والاستغفار، كما كان نبينا ﷺ يجود في شهر رمضان بالخيرات ويسارع فيها أكثر من غيره من الشهور.

فقد ثبت في الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: « **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ** » . الحديث.

فكان ﷺ أجود الناس في سائر حياته وكان يكثر جوده في رمضان، فحري بنا أن نقتدي به فهو أسوتنا وقدوتنا، ولأن شهر رمضان موسم من مواسم الخيرات، فحري بالعباد أن يكثروا فيه من الطاعات لتنزل عليهم الرحمات، وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، ويقيد فيه الشيطان، ويعتق الله فيه عبيدًا من النيران، والدعوات فيه مستجابات وتتنزل فيه البركات، فشمر يا أيها المسلم واستعد للعبادات في هذا الشهر المبارك، وتعلم أحكام الصيام وسائر العبادات لتعبد الله على بصيرة، فيكون صومك صحيحًا ومقبولًا بإذن الله تبارك وتعالى.

فإن أول ما يجب على المسلم في استقبال شهررمضان، أن يتعلم أحكام الصيام ومبطلات الصيام وما ينقص ثواب الصيام ليتجنبها، وذلك بسؤال أهل العلم وحضور حلق العلم، ولا عذر لأحد أن يبقى جاهلاً ؛ والعلماء وطلاب العلم ومراكز العلم وحلق العلم والذكر بين يديه.

يقول تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٤٣].

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

ويجب على الصائم في هذا الشهر وفي غيره أن يجاهد نفسه على الإخلاص فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل من الأعمال إلا أخلصها قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البيِّنة:٥] .

فمن صام رياءً، أو قام الليل أو تصدق رياءً، فإن الله لا يقبل منه، وعمله مردود لأن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

وينبغي على العبد في هذا الشهر أن يكثر من التوبة والاستغفار، وإن كان باب التوبة مفتوحًا إلى أن تطلع الشمس من مغربها في رمضان وفي غيره ، لكنها في رمضان آكد لأن الشياطين فيه مقيدة وأبواب الجنة مفتحة وأبواب النار مغلقة، فمن لم يتب في رمضان فلا يرجى منه التوبة في غيره إلا أن يشاء الله.

فحاجتنا إلى التوبة ياعباد الله أكثر من حاجاتنا إلى الطعام والشراب، فقد كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام يتوب إلى الله في يومه أكثر من مائة مرة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بالمذنبين منا؟! و كان ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ويقوم حتى تتفطر قدماه وهو أول من يدخل الجنة وهو صاحب الوسيلة ـ أعلى درجة في الجنة ـ، فكيف بنا؟.

فياعباد الله: إن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أكرمنا بهذا الشهر المبارك وجعله كفارة للسنة فلا يفوتنكم خيره، وإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ شرعه لحكم كثيرة.

منها: تحقيق التقوى: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة:١٨٣] ، فمن لم يتق الله في رمضان فهو أبعد عن الله في غير رمضان،ومن لم يغفر له في شهر رمضان فقد خاب وخسر.

ومما ينبغي على الصائم معرفته :هو أن يتعلم معاني الصيام .

فلا تظن أيها المسلم أن الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع فقط. فإن هناك أمراً لا بد منه مع ما تقدم من الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ ـ وهو تحقيق الصيام بمعناه اللغوي والشرعي.

فالصيام لغة وشرعاً: هوالإمساك عن الطعام والشراب والجماع، وإمساك الجوارح عن المعاصي، وإمساك العينين عن النظر إلى الحرام، وإمساك الأذنين عن استماع الحرام، وإمساك اللسان عن الكلام المحرم، وإمساك اليد عن البطش المحرم وأخذ الشيء المحرم، وإمساك الرجلين عن المشي إلى الحرام، وهلم جرا.

فقد روى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، أَوَجَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ** » .

فإن من الناس من يصوم عن الأكل والشراب والجماع ولا يصوم من المخالفات والمعاصي، فترى بعض الصائمين يكذب ويلعن ويقول الزور، وترى بعضهم ينظرإلى المسلسلات التي قد ملأت بصورالنساء الكاسيات العاريات والمسرحيات المشتملة على الكذب والزور، وترى بعضهم يستمع إلى الأغنيات، وترى بعضهم يأكل الحرام وغيرذلك. فأي صيام عند هؤلاء؟! وأي مغفرة يرجونها؟!.

فهؤلاء صومهم ناقص ويخشى على صومهم من حرمان الأجر والثواب، وربما خرج رمضان ولم يحضوا بمغفرة الذنوب.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** » .

وفي رواية عند النسائي: « **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** » .أي لا يريد الله هذا الصيام .

وروى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله-صَلَّى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- : « **رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﷺ: (**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ**): قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل: هو الذي يفطر على حرام أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام. اهـ.

وقال ابن بطال في قوله ﷺ: « **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** » : قال المهلب: فيه دليل على أن حكم الصيام الإمساكَ عن الرفث وقول الزور كما يمسك عن الطعام والشراب وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه. اهـ

واعلموا عباد الله : أن الناس أقسام في استقبال شهر رمضان :

قسم ينتظرون شهر رمضان بفارغ الصبر، مشتاقون لقدومه، ويحنون للقائه، ويئنون على فراقه، ويدعون الله أن يبلغهم إياه، ويدعون الله أن يتقبله منهم، فيفرحون به، ويستعدون له، لعلمهم أنه شهر مبارك تضاعف فيه الأجور، وتنزل فيه الرحمات والبركات، وتفتح فيه أبواب الجنات، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، فيجتهدون فيه بالعبادات، ويغتنمون فيه سائر الأوقات والساعات بالذكر وقراءة القرآن والدعاء والاستغفار، وهؤلاء هم المؤمنون، الصادقون، المخلصون، المسارعون في الخيرات، فحري بك أيها المسلم أن تكون من هذا الصنف.

وقسم آخر يستقبل شهررمضان بالمعاصي، ولا يبالون بالطاعات، وإن صاموا فصوم الغافلين، ففي نهارهم نيام، وفي ليلهم عكوف على الأفلام !، فربما جهزوا أجهزة الفساد من شعبان وربما أعدوا أماكن القيل والقال ومجالس القات، وربما ادخروا مالاً لشراء القات أو السجائر من شهر شعبان، فيبيتون

يجاهرون الله بالمعاصي من القيل والقال ومشاهدة النساء الكاسيات العاريات واستماع الأغنيات ، وفي آخر الليل يعمدون إلى لعب الورق والشطرنج والنرد وغيرها من الملهيات.

وقد قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم عن بُرَيْدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ** » .

قال النووي :قَالَ الإمام مَالِكَ وَالإمام أَحْمَد :الشطرنج حَرَام . وقَالَ مَالِك هُوَ شَرّ مِنْ النَّرْد وَأَلْهَى عَنْ الْخَيْر وقاسوه على النرد ....، وَمَعْنَى (صَبَغَ يَده فِي لَحْم الْخِنْزِير وَدَمه فِي حَال أَكْله مِنْهُمَا) وَهُوَ تَشْبِيه لِتَحْرِيمِهِ بِتَحْرِيمِ أَكْلهمَا . وَاللَّهُ أَعْلَم ..اهـ.

فهؤلاء لا صامت ألسِنَتهُم عن القيل والقال والطعن في أعراض الناس، ولا صامت آذانهم عن استماع الأغنيات، ولا صامت أعينهم من النظر إلى النساء المتبرجات، وربما ناموا عن الصلوات وإن صلوا فصلاة الساهين يؤخرونها عن أوقاتها أو ينقرونها ولايخشعون فيها، ولا يهتمون بالجمعة ولا الجماعة، فأي صوم عندهم وأي مغفرة يرجونها؟!

فأين الصيام إيمانًا واحتسابًا كما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأين تحقيق التقوى التي من أجلها شرع الصيام ؟أين التقوى الذي هو من ثمار الصيام؟أين امتثال الأوامر واجتناب النواهي والزواجر والوقوف عند حدود الله؟هذا هو التقوى، هذا هومعنى قوله تعالى : « لعلكم تتقون» .

فهؤلاء الغالب أنهم لا يوفقون بل ربما يخذلون، فما إن يخرج شهر رمضان إلا ونكصوا على أعقابهم .

فإياك يا عبد الله أن تكون من هذا الصنف ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وقسم آخر يفرحون بقدوم شهررمضان ؛ لأنه شهر تكثر فيه الأطعمة

والمأكولات فيستقبلون رمضان بكافة أنواع الأطعمة وربما دخلوا في باب الإسراف، فصارهمهم ماذا سيأكلون وكيف يتحصلون على المال لشراء هذه الوجبات، وكأن رمضان شهر أكلات ووجبات، فتكثر عندهم التخمة وتزيد السمنة ويضعف الكثير عن القيام، بل بعضهم لا يصلي صلاة العشاء من الشبع، وإن صلى مع الناس استعجل عليهم بالصلاة وآذاهم بالروائح الكريهة كالثوم والبصل.

وربما استدان هذا الصنف الأموال لشراء ألوان من الأطعمة التي لا داعي لها فيقعون في الإسراف، وإن كان الأصل فيها الإباحة لكن لا يجوزالإسراف، فترى كثيرًا من الأطعمة في شهر رمضان تلقى في المزابل والله تعالى يقول: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

ولقد كان كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يجدوون ما يفطرون به فضلا عن تنويع الأطعمة، والأصل أن شهر رمضان جعله الله موسما للعبادات، وتكفيراً للذنوب والسيئات، ولا شك أنه يحصل فيه الخير والبركات، لكن ما هو إلا بسبب تقوى الله والإقبال على الطاعات.

وقسم آخرمن الناس لا يعرف الله إلا في رمضان فلا يصلي ويتقي ويزكي إلا في رمضان، وهذا متبع لهواه وعلى خطر عظيم لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا بعادته في كل زمان، وأمرنا بتقواه في كل مكان قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **تَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ** » . رواه الترمذي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فهذا الصنف يخشى أن لا يتقبل الله منه عبادة، لأنها عبادات مؤقتة في رمضان

فقط، ولأن الذي أمرنا بعبادته في رمضان هو الذي أمرنا بعبادته في شوال وشعبان، وأن رب رمضان هو رب غيره من الشهور قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود : ١١٢] .

وقسم من الناس ربما يكره شهر رمضان ويتضايق عند قدومه لأنه يريد أن يشبع شهواته، أو يتكسب بأنواع من التجارات التي تكون كاسدة في رمضان و يربح فيها في غير رمضان، فهذا يخشى عليه من الكفر لأن من كره شيئًا مما شرعه الله فقد كفر قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٨-٩].

فاعلم يا أيها المسلم أن هذه الدنيا بحذافيرها لا تساوي موضع سوط في الجنة، لو غفر الله لك ذنبا واحدا في هذا الشهر المبارك فهو خير لك من الدنيا وما فيها، فكيف لو غفرت جميع ذنوبك؟ وكيف لو عتقت رقبتك من النار؟، وكيف لو استجاب الله دعاءك؟ ، فلا تؤثر الفاني على الباقي ، فالعاقل هو الذي ينظر إلى الدين بعين الاعتبار وينظر إلى الدنيا بعين الاحتقار، والغافل هو الذي يجعل الدنيا همه وشغله ويجعل الدين وراء ظهره.

فيا عباد الله: اغتنموا هذا الشهر المبارك بطاعة الله لعله يكون مفتاح خير لكم وزادا لكم ليوم لقاء ربكم، فأصلحوا نياتكم واعزموا من الآن على صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا واحرصوا على تلاوة كتاب الله والعمل به، فإنه شهر القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ،**

ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتسَابًا، غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» .

قال الحافظ ابن حجر في معنى قوله ﷺ: « **إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا** » أي: الاعتقاد بحق فريضة صومه واحتساب طلب الثواب من الله. اهـ

وقال الخطابي: « **وَاحْتِسَابًا** » أي: بنية وعزيمة ، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه ، وإنما يغتنم ذلك لعظم الثواب. اهـ

فاغتنم هذا الموسم العظيم يا عبد الله، ربما يكون آخر شهر تصومه في حياتك ، كم من إخوة صاموا معنا العام الماضي ولم يصوموا هذا العام، حال بينهم وبين الصيام هادم اللذات ومفرق الجماعات .

نسأل الله أن يعيننا على صيامه وقيامه ، وأن يقر أعيننا بقدومه ، وأن يسلمه لنا سالمين غانمين ، وأن يتقبله منا.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: « **كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ** ».

وروى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « **كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ** ».

يعني أنه يكون أسرع من الريح في مسارعته في الخيرات، لا سيما في شهر رمضان، فالريح المرسلة هي التي تأتي بالغيث فيعم الأرض الميتة وغير الميتة، ورسول الله ﷺ خيره وبره يعم الفقير والغني والمحتاج وصاحب الكفاية أكثر من الغيث.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أجود الناس بماله وبدنه وعمله ودعوته ونصيحته، وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان، لأن رمضان شهر الجود، ويجود الله فيه على العباد، والعباد الموفقون يجودون على إخوانهم، والله تعالى جواد يحب الجود.اهـ

فيا أيها المسلمون جُودوا بالخير في هذا الشهر المبارك، ويا أيها الغني جُد

بمالك على من لا مال له، جُد على الفقراء وتصدق على المحتاجين، فإن الأعمال في شهر رمضان مضاعفة لقوله ﷺ كما في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «**عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي** » .

وفي رواية لمسلم : « **تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي**» .

وروى الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**» .

وسواء فطره عند غروب الشمس بفطور ونحوه، أو أطعمه العشاء.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فطره بعشائه أو بتمر، فإن لم يتيسر فبماء، فيحوز الغني بأجر صيامه أو مثل أجره. اهـ.

فلينفق امرئ من مال الله الذي آتاه، فإن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، كما ثبت ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ كما عند الترمذي من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ** » .

وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخلف للمتصدق خيرًا مما أنفق ، ويبارك له في المال المتصدق منه ، ويربي هذه الصدقة ويضاعفها حتى تصيرعند الله كالجبال ، إذا كانت خلاصة لوجهه الكريم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا** » .

أي: اللهم أخلف على المنفق بخير، و اتلف على الممسك ما لديه.

فهنيئا للمتصدقين فإنهم يفلحون في الدنيا بأرزاقهم وفي الآخرة بأجورهم، بخلاف البخلاء فإن الله يمحق بركة أرزاقهم في الدنيا، ويعاقبون في الآخرة على بخلهم.

وأما المنفقون فإن صدقاتهم تضاعف يوم القيامة إلى أضعاف كثيرة ، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ» .

ومعنى قلوصه أي ناقته. وفلوه هو صغير الناقة أو الخيل.

فلا تبخل على نفسك يا أيها المسلم بهذه العبادة العظيمة وفي هذا الشهر المبارك، فإن الميت إذا مات يتمنى أن يرجع إلى الدنيا من أجل أن يتصدق، فاظفر بذلك مادام أن روحك لم تفارق جسدك قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[المنافقون : ١٠] .

ويأتي المتصدق يوم القيامة تحت ظل صدقته، يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل فيعرقون حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعًا فيُظل الله المتصدقين في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ** » ..وذكرمنهم : « **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا**

حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ » .

وروى الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ** » .

قال يزيد فكان أبو الخير مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة . والأدلة في فضل الصدقة كثيرة.

وعلينا أن نستقبل رمضان بمتابعة رسول الله ﷺ والعمل بسُنَّتة في صيامنا وفي فطورنا ، وفي سحورنا وفي صلاتنا، فإن كثيرًا من الصائمين يصلون بعض الصلوات في غير أوقاتها لا سيما صلاة الفجر، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[النساء:١٠٣] .

وقد بينها جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لنبينا ﷺ، وبينها نبينا لنا، فلا يجوز المخالفة والاستحسان في شيء يخالف الهدي النبوي، ولا يجوز مسايرة الناس إذا خالفوا السُّنَّة ولا يُحتج بالأكثرية إذا خالفت الحق، فإن دخول الوقت شرط لصحة الصلاة، فإذا أقيمت الصلاة قبل دخول وقتها فهي باطلة يجب إعادتها، لما روى الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ عَبْد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **لَعَلَّكُمْ سَتُدْرِكُونَ أَقْوَامًا يُصَلُّونَ الصَّلاَةَ لِغَيْرِ وَقْتِهَا، فَإِذَا أَدْرَكْتُمُوهُمْ، فَصَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعْرِفُونَ، ثُمَّ صَلُّوا مَعَهُمْ، وَاجْعَلُوهَا سُبْحَةً** » أي: نافلة، وأصله في صحيح مسلم .

بمعنى أنهم إذا صلواالصلاة في غير وقتها فيصلون معهم ويجعلونها نافلة، ثم يصلون الصلاة عند دخول وقتها ولو في بيوتهم.

واعمل أيها الصائم بالسُّنَّة في مسألة السحور والفطور تحوز بالخير والأجور، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْل بْن سَعْد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**» .

قال أهل العلم من أسباب الخيرية تعجيل الفطور ومن أسباب حصول الشر تأخير الفطور، وقد جاءت الأدلة في مشروعية السحور واستحباب تأخيره، وأن آخر وقت السحور هو بداية طلوع الفجر لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧] .

ومعنى الخيط الأبيض والخيط الأسود: قال البغوي في تفسيره: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ يعني بياض النهار من سواد الليل، سميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط. اهـ

وهناك أدلة أخرى كثيرة فيها الحث على تقديم الفطور وتأخير السحور، وفيها بيان أن أول بداية الفطور هو غروب الشمس عن أعين الناظرين فقد روى البخاري ومسلم عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمِ** » .

قال أهل العلم: وهذه الثلاث العلامات متلازمة تحصل في وقت واحد وهو إقبال الليل وإدبار النهار وغروب الشمس ، وأول الليل هو غروب الشمس كما أن أول النهار هو طلوع الفجر وهو الخيط الأبيض، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ يقتضي الإفطار عند غُرُوب الشمس حكماً شرعيًا، كما جاء في الصحيحين، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم» .اهـ ثم ذكر أدلة تعجيل الفطور، وبه قال أهل التفسيروهو أن بداية الليل هو غروب الشمس.

هكذا المسلم يستقبل شهر رمضان، وهكذا يفعل من أراد أن يغفر له ذنبه

في هذا الشهر، وأما من خالف السُّنَّة أو اتبع هواه أو تابع أهل البدع أو عصى الله يخشى عليه من الخسارة والبعد من الله.

فقد روى ابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أَتَانِي جِبْرِيلُ فقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ الله قُلْتُ :آمِينَ**» .

اللهم اجعلنا في هذا الشهر المبارك من المقبولين ، ولا تجعلنا من المطرودين، اللهم اجعلنا من عتقائك فيه من النار، اللهم أدخل علينا رمضان بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، اللهم أعنا على صيامه وقيامه، وتلاوة القرآن الكريم، اللهم ارزقنا البر والإخلاص برحمتك يا أرحم الراحمين.

٨

فضائل شهر رمضان(١)

الخُطبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس...

نبشر كل مسلم بحلول ضيفهم المبارك ، وهو شهر رمضان شهر الصبر والغفران ، شهر القرآن ، شهر الخيرات والبركات ومضاعفة الدرجات ،

(١) تخطب في أول جمعة من رمضان.

ونزول الرحمات شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحمة بعباده وإكرامًا لهم ليغتنموه بطاعته.

فقد كان نبينا ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان فيستبشرون ويفرحون به ويستعدون له، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: « **أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ** » .

فإن من أعظم الحكم من فرضية الصيام لهو تحقيق تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣** ﴾ [البقرة:١٨٣].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى. اهـ

وقبل أن ندخل في فضائل الصيام يجدر بنا أن نذكر نبذة مختصرة عن مراحل

تشريع الصيام في بداية الأمر، فقد كان الصيام المشروع في أول الأمر صيام يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم ثم نسخ بفرضية شهر رمضان، وصار صيام عاشوراء مستحبًا لمن أراد الصوم، وكان صيام رمضان على التخيير، فمن أراد أن يصوم صام، وهو الأفضل، ومن أراد أن يفطر فليطعم عن كل يوم مسكينًا، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٨٤] .

ثم نسخت الفدية وبقيت في حق العاجز عن الصيام على قول بعض أهل العلم، أن من عجز عن الصيام لمرض مزمن أو لعجز أو كبرفعليه إطعام مسكين عن كل يوم ، وصار الصيام لازما على كل مسلم قادر بالغ عاقل مقيم لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وكان الطعام والشراب والجماع محصورًا في وقت يسير، وهو بين المغرب والعشاءلا غير، بشرط ألا ينام، فمن نام بين مغرب وعشاء فلا يحل له الأكل والشرب إلى غروب شمس اليوم الثاني، وكذلك إذا دخل وقت العشاء فلا يحل الأكل والشرب، فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فأنزل الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾ [البقرة:١٨٧] وأنزل الله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧] .

فقد روى البخاري عَن الْبَرَاءِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّد ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ ، وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا : أَعِنْدَكِ طَعَامٌ ، قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَيْبَةً لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ

النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

ففرج الله على هذه الأمة ويسر أمرها وجعل هذا الدين في غاية اليسر والسهولة فما علينا إلا الامتثال وأن نقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

أيها الأخوة المسلمون:

إن الله فضل هذا الشهر على سائر الشهور، لما ستسمعون من فضائله العظيمة، وخصاله الكريمة، وأكرمنا به ليكوم زادًا لنا إلى الآخرة.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّة، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّار، وَصُفِّدَت الشَّيَاطِينُ** »، وفي رواية عند البخاري «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**» وفي رواية لمسلم: « **فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ**».

ففي شهر رمضان المبارك تفتح أبواب الجنات وأبواب السماوات وأبواب الرحمات.

وإليكم معنى (فتح الأبواب) في هذه الأحاديث من كلام هل العلم:

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أرع إلى القبول، وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنفذ منها ببركة الشهر

أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات فهذا معنى الغلق، وكذلك قوله: (**وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**) ، يعنى: أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم ذكره الداودي والمهلب. اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **: هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:**

الأول: تفتح أبواب الجنة ترغيبا للعاملين بها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك .

والثاني تغلق أبواب النيران وذلك لقلة المعاصي فيه من المؤمنين.

الثالث: وصفدت الشياطين يعني المردة منهم وهم أشد الشياطين عداوة وعدوانا على بني آدم، والتصفيد معناه: الغل، يعني تثقل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره. اهـ

وقال بعض أهل العلم: تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار لكثرة الثواب والعفو وكثرة الطاعات وقلة المعاصي.

فالذي يعمل المعاصي في هذا الشهر مع ضعف الداعي إليها، فإن هذا يدل على خبث طبعه، وشر نفسه، وخلل في صومه، لأنه لم يراعِ شروط الصوم وآدابه، فهذا من شياطين الإنس، لأن شياطين الجن مقيدة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعيت آدابه. اهـ .

وقال الحليمي: ويحتمل أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لا ستثقالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر. اهـ.

ومن فضائل الصيام أن أجوره مضاعفة لا يعلم كثرتها إلا الله، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخفى مضاعفات أجر الصيام، وبين مقدار أجر سائر الأعمال، وذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإن أمره إلى الله ومقدار ثوابه في علم الله وهو أكرم الأكرمين.

فقد روى البخاري ومسلم عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَالَ الله كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» .

وفي رواية لمسلم: « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضعْف، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي به، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي للصَّائِم فَرْحَتَان: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْره، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لقَاء رَبِّه وَلَخُلُوفُ فِيه أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيح الْمِسْك، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْم أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » .

ومعنى قوله تعالى في الحديث القدسي :«**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ**»:

قال المناوي: أي كل عمل له فإن له فيه حظا ودخلا لإطلاع الناس عليه فهو يتعجل به ثوابا منهم (**إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ**) خالص (لِي) لا يطلع عليه غيري، أولا يعلم ثوابه المترتب عليه .

أو معناه:أن الأعمال يقتص منها يوم القيامة في المظالم، إلا الصوم فإنه لله ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئًا . اهـ

بمعنى أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم إلا أجرالصيام فإنه لا يستطيع الأخذ منه شيء لفضله.

وقال بعض أهل العلم في معنى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي**» : أن الله انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، بينما غيرالصيام من

العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وذلك بعلمهم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإلا فإن جميع الأعمال لله كلها وهو الذي يجزي عليها.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﷺ مَعْنَاهُ أَنَّ الأَعْمَالَ قَدْ كَشَفَتْ مَقَادِيرَ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ الله ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّ الله يُثِيبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ...، أَيْ يجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لمِقْدَارِهِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] . اهـ .

ومن صفات الصائمين الصبر وقد سمي رمضان بشهر الصبر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الآية :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] .

قال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يوزن وزنا وإنما يكال كيلاً. اهـ .

والمراد بالصيام هنا الذي يترتب عليه هذا الفضل العظيم، هو الصيام الذي سلم من الرياء ومن المعاصي قولا وفعلا.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه خص بهذا الفضل لأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره من الأعمال، فإن الصوم سر بين العبد وربه لا يشعر به أحد إلا إذا أخبر به الصائم.

وقال بعضهم: ومما اختص الصيام بهذا المزية لأن العبادات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن بينما الصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان وفيه الصبر على الجوع والعطش وترك الشهوات.

فيا أيها الصائم حافظ على صومك مما يخدشه وتجنب اللغو والفحش والبذاءة، ولذلك ذكر في الحديث نفسه اجتناب اللغو والرفث بقوله: « **وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » .

والرفث هو الكلام الفاحش ويطلق على الجماع وعلى مقدماته، وعلى ذكر النساء، فالصائم يجتنب هذه الأمور.

ومعنى قوله : « **وَلا يَصْخَبْ** » :أي: ولا يجهل، فلا يفعل شيئًا من أفعال الجهل والسفه.

والصخب :هو الخصومة والصياح، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليدفعه بقوله: إني صائم لعله يرتدع وينكف إن كان في قلبه تعظيم للصيام ولشهر رمضان، وإلا دفعه بالأخف فالأخف، ولا يعامله بمثل معاملته، فإن الصائم قد ترك لله ما هو أهم من هذا وهو الطعام و الشراب والشهوة، ولأنه ما حمله على ترك هذه الأشياء إلا الإخلاص لله، وابتغاء وجه الله، وتحمل الجوع والعطش والتعب في جناب الله.

فأما من ترك الطعام والشراب والشهوة لأمر آخرليس لله، فليس له ذلك الفضل المذكور.

وعلى الصائم أن يجتنب الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور ونحو ذلك فإنها تخدش الصيام وتنقصه، ولا يترتب على صيامه ثواب. فإذا كان الشرع الحكيم قد حذر من اللغو والرفث، فغيره من باب أولى مما هو أشد منه.

وفي الحديث أن خلوف فم الصائم أي رائحة فم عنده عند الله أطيب من ريح المسك.

فلا تقل كيف؟ فإن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يطيب الله رائحته يوم القيامة.اهـ

وفي الحديث:«للصائم فرحتان، فرحة عند فطره،وفرحة عند لقاء ربه» .

فالفرحة التي عند فطره تشمل الفرحة عند غروب الشمس، يفرح لأن الله قد أكمل له الصيام في ذلك اليوم، وتشمل الفرحة يوم عيد الفطر، فيفرح لأن الله تعالى أكمل له عدة رمضان ، وأعانه على صيامه وقيامه، وهذا ملاحظ عند كل صائم صادق صام إيمانًا واحتسابًا.

أما من لم يصم رمضان أو قصر وفرط فيه فلا تشمله الفرحة في يوم العيد ولا يكون من الفرحين بالعيد، فأيُ فرحة ترجى لهذا الصنف؟.

والفرحة التي عند لقاء ربه، يفرح بها الصائم حينما يلاقي ربه ويقف بين يديه ويتمتع بالنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ويرى تلك الأجور العظيمة المترّتبة على توحيده وصيامه وقيامه وتلاوة القرآن وسائر أعمال البر في رمضان وفي غيره، لكن خص الصيام بالذكر لفضله.

ومن فضائل هذا الشهر المبارك: أن فيه ليلةً مباركةً، هي خير ليالي السَنَة، وهي ليلة القدر، والعمل الصالح فيها خير من ألف شهر، بمعنى أنها: خير من بضع وثمانين سَنة.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ الله-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**» .

ومن فضائل هذا الشهر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعتق فيه عبيدا من النار وذلك من اتصف بتلك الصفات التي تقدم ذكر بعضها. وللصائم في كل يوم دعوة مستجابة.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وإن لِكُلِّ مسلم في كل يوم وليلة دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ** » .

وفي رواية عند الترمذي: « **وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ** » .

فأكثروا من الدعاء يا أيها الصائمون في هذا الشهر المبارك، فإن دعاء الصائم مستجاب والدعاء عبادة عظيمة، ونفعه عائد على العبد في الدنيا والآخرة، فلا تعجز عن الدعاء، ولا تستهن به، فإن النبي ﷺ يقول كما روى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلام** » .

ومن فضائل الصيام ياعباد الله :

أنه وقاية للصائم من المعاصي ومن الشياطين، لأن مسالك الشياطين تضيق عند الصائم، « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّم** » كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الصحيحين عن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فإذا صام العبد ضيقت مجاري الشيطان . بالإضافة إلى أن الشياطين مصفدة في رمضان.

والصيام وقاية من المعاصي، وذلك لأن الصائم مقبل على طاعة ربه ومعرض عن المعاصي، ولضعف داعي الشهوة عنده، فقد روى ابن ماجه عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ** » وأصله في الصحيحين.

وفي رواية عند أحمد: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ** » .

ومعنى جنة :أي وقاية من المعاصي ومن النار ومن الشيطان .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : الصيام جنة: أي ستر ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار ،ومنه المجن وهو الترس ، ومنه الجن لاستتارهم. اهـ .

فالصيام وقاية من كل الشهوات ولهذا حث النبي ﷺ الشباب الذين لا قدرة لهم على الزواج بالتحصن بالصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يا معشر الشباب مَن اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى (وِجَاء) : أي مانع من الشهوات.

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل ، وأن يتقبل منا ، إنه هو السميع العليم.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن من أعظم فضائل شهر رمضان أنه يكفر الذنوب بإذن الله لمن صامه إيمانًا واحتسابًا وابتعد عن كبائر الذنوب.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه، ومَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

ومعنى: « إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا » : قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أي الاعتقاد بحق فرضية صومه « وَاحْتِسَابًا » : طلب الثواب من الله تعالى. اهـ.

وقال الخطابي: « إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا » : أي إخلاصا بنية وعزيمة وطلبا للثواب وأن يصومه طيبة به نفسه غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه وإنما يغتنم ذلك لعظم الثواب. اهـ.

وقوله: « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »: تغفر صغائر الذنوب وأما الكبائر فلا بد لها من توبة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصغائر لا تغفر إن وجدت معها كبائر، فيجب الحذر من الكبائرحتى لا تكون حائلا بين العبد وبين مغفرة ذنوبه، واستدلوا بما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: « **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** » .

وقال بعض أهل العلم: تكفر الصغائر دون الكبائر وفضل الله واسع.

قال النووي : مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوب كُلّهَا تُغْفَر إِلَّا الْكَبَائِر فَإِنَّهَا لَا تُغْفَر وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّ الذُّنُوب تُغْفَر مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَة ، فَإِنْ كَانَ لَا يُغْفَر شَيْء مِنْ الصَّغَائِر ، فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَسِيَاق الْأَحَادِيث يَأْبَاهُ .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث مِنْ غُفْرَان الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةَ هُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة ، وَأَنَّ الْكَبَائِر إِنَّمَا تُكَفِّرهَا التَّوْبَة أَوْ رَحْمَة الله تَعَالَى وَفَضْله . وَاللَّه أَعْلَم اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ..فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات. اهـ

وذكر ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الصوم يكفر الذنوب وزيادة ثواب على الكفارة.

والمراد بالصوم الذي يكفرالذنوب هو لمن صامه إيمانًا واحتسابًا و كان خالصًا سالما من الشوائب والمخدشات.

فاغتموا هذا الشهر ياعباد الله ، فهو فرصة السَنَة، فإذا لم يغفر للعبد في هذا الشهر المبارك فقد خسر خسارة عظيمة، فيا باغي الخير أقبل فهذا موسم الخيرات، ويا باغي الشر أقصر فسيندم المفرطون وسيغبن المقصرون على تلك الدرجات التي يفوز بها الصائمون.

فقد روى ابن حبان عن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : « صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةً، قَالَ: (آمينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً أُخْرَى، فقَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً ثَالِثَةً، فقَالَ: (آمينَ) ثُمَّ، قَالَ: (أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فقَالَ: وَمَنْ

ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ) » .

ومن فضائل الصيام: أن في الجنة بابا يقال له باب الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري، وهو ضد الضمأ وجعله الله إكرامًا للصائمين لأنهم أضمأوا نهارهم في رمضان ، ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش ، فخص لهذه المزية والله أعلم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ» .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو باب يسقى منه الصائم شرابًا طهورًا قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يَدْخُلُ مِنْهُ)أي: إلى الجنة، وقوله:(الصَّائِمُونَ): يعني الذين يكثرون الصوم. اهـ

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**» .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد.

وذهب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ، إلى أنه يشمل ذلك ويشمل كل صيام في طاعة الله ، أخلص فيه صاحبه لله وابتغى به وجه الله.

ومن فضائل الصيام ياعباد الله: أن من مات صائماً دخل الجنة لأنه مات على طاعة، و من علامات حسن الخاتمة أن يموت المسلم صائماً .

فقد روى الأمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: « **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتغَاءَ وَجْه الله خُتمَ لَهُ بهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتغَاءَ وَجْه الله خُتمَ لَهُ بهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

اللهم اختم لنا بالحسنى، وبعمل صالح يرضيك عنا، اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، اللهم أعنا على صيام رمضان وقيامه ، وتلاوة القرآن فيه، واجعلنا ممن يصومه إيمانًا واحتسابًا، واجعلنا ممن غفر ذنبه ، وعتقت رقبته برحمتك يا أرحم الراحمين.

٩

فضل تلاوة القرآن لا سيما في رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون عباد الله...

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

(١) تخطب هذه الخطبة في الجمعة الثانية من رمضان .

فإن من فضائل شهر رمضان المبارك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختصه بنزول القرآن فيه فاجتمع في رمضان عدة فضائل، منها: نزول القرآن الكريم، وكان نزوله في أشرف الليالي وأفضلها وهي ليلة القدر.

قال المفسر الكبير والعالم النحرير الشهير بابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ الله الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً على رسول الله ﷺ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعَظِّمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْر، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيم فِيهَا، فَقَالَ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾ [القدر: ٣٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَمْدَحُ تَعَالَى شهرَ الصِّيَام مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُور، بِأَن اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ لإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيم فيه، وَكَمَا اخْتَصَّهُ بِذَلِكَ، قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ الشَّهْرُ الذي كَانَت الْكُتُبُ الإِلَهِيَّةُ تَنْزِلُ فِيهِ عَلَى الأَنْبِيَاء. قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل، رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد مَوْلَى بَنِي هَاشِم، حَدَّثَنَا عِمْرانُ أَبُو الْعَوَّام، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي المليح، عَنْ وَاثِلَةَ -يَعْنِي ابْنَ الأَسْقَع- أَنَّ رسول الله ﷺ قال: « أُنْزِلَتْ صُحُف إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَة مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَت التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَين مِنْ رَمَضَانَ، وَالإِنْجيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الله الْقُرْآنَ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ » اهـ .

﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان

بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة. فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام. اهـ

فجعله الله هداية للناس من الضلال، وجعله نورا للناس من الظلمات، وجعله شفاء لهم من الأمراض والأسقام الحسية والمعنوية، و شفاء لأمراض القلوب والأبدان، وشفاء من أمراض الشبهات والشهوات .

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ﴾[لقمان:١-٣].

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه، وقوله: « للمحسنين » وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء:٨٢].

قال العلامة المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة، فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. اهـ.

فالقرآن الكريم هداية وموعظة ورحمة وشفاء ورفعة، فإذا أردت يا أيها المسلم أن يرفعك الله فعليك بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وعملًا ودعوة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء:١٠]، أي: فيه شرفكم ورفعتكم إن كنتم من أهله، وسوف يسألكم عنه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزُّخرُف:٤٤].

ويرفع الله بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين:

فقد روى الإمام مسلم أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟، قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن هذا؟ ومن هذا ؟، من عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره وتنفيذًا لأوامره واجتناباً لنواهيه واهتداءً بهديه وتخلقا بما جاء به من أخلاق فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة.. وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عملًا ويجحدونه خبرا، إذا جاءهم شيء عن القرآن صاروا -والعياذ بالله- يشككون في ذلك ولا يؤمنون .. مرتابون -والعياذ الله- مع أنهم يقرؤون القرآن وفي الأحكام

يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولا بد أن يكون أمرهم خسارًا ، حتى وإن دانت لهم الدنيا وتزخرفت فإنما هو استدراج ومآلهم إلى الخسارة. اهـ.

والقرآن عز وشرف لمن كان من أهله :

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٤٤] : أي: شرف لك ولقومك. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضًا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه، ﴿ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفرا منكم بهذه النعمة؟. اهـ .

وسيسأل كل عبد في قبره عن هذا الكتاب العظيم، فهو من ضمن أسئلة منكر ونكير في القبر: وذلك أنهما يسألان العبد: « من ربك ؟من نبيك ؟ما دينك؟ماعلمك؟ » كما عند الإمام أحمد في حديث البراء بن عازب الطويل أن منكر ونكير يسألان العبد عن كتاب الله فيقولان له : « ...وماعلمك؟ » وفي رواية : « ماعملك؟، فالمؤمن يقول : « كتاب الله قرأته وآمنت به وصدقت» .

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي ﷺ قال: « والقرآن حجة لك أو عليك» .

فحري بك أيها المسلم أن تتمسك بكتابٍ هذا شأنه، عظمه الله وأعلى شأنه، واختاره من بين سائر الكتب وجعله مهيمنا عليها، فليكن نصب عينيك وقدوتك وإمامك ومنهجك وقائدك، فلا تصدر إلا عن أمره ولا تنتهِ إلا بنهيه، فاقرأه واتله وتدبره واعمل به واحفظه وادعُ إليه، فإذا كنت كذلك

فأبشر بالخير والفلاح والنصر والتمكين، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

والعكس بالعكس، من أعرض عنه وجعله وراء ظهره قاده إلى المهالك وكان عاقبة أمره خسرًا.

فقد روى ابن حبان عنْ جَابر رَضيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، قَالَ : «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَا حِلٌ مُصَدَّقٌ ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**» .

وهو الكتاب الذي لاَ يَأْتيه الْبَاطلُ من بَيْن يَدَيْه وَلاَ منْ خَلْفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت : ٤١ – ٤٢] .

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه : ١٢٣ – ١٢٦].

قال كثير من المفسرين: الهدى والذكر في هاتين الآيتين هما: القرآن الكريم.

وهو المحفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، وهو المعجزة الخالدة، فينبغي أن يزداد اهتمامك أيها المسلم بهذا القرآن الكريم، لاسيما في شهر رمضان المبارك، فقد كان بعض السلف يقرأ القرآن في ثلاثة أيام، وبعضهم يقرؤه في يوم وليلة، فقد ثبت عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه قرأه في ليلة ، وكان نبيك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يلقاه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة ويعرض عليه القرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين.

فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ الله

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاس، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» .

فتلاوة القرآن الكريم له فضل عظيم، لأنه كلام رب العالمين، وهو حبله المتين، و الذكر الحكيم، من تمسك به نجى، ومن اتبعه فلا يضل ولا يشقى، ومن قرأه فله بكل حرف حسنة إلى عشر أمثالها.

فقد روى الترمذي عن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» .

من أهل العلم من يرى وقفه على ابن مسعود، لكن له حكم الرفع.

فأهل القرآن الحافظون له العاملون به القارئون له هم أهل الله وخاصته.

فقد روى النسائي عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ:** « **هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي خاصته وأحباؤه من خلقه الداخلين في حزبه ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾اهـ.

وأهل القرآن هم خير الناس وأكرمهم على الله، لشرف ما يحملون، إذا كانوا به يعملون ، وإليه يدعون، فقد روى البخاري عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » ، وفي رواية: « **إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه**» .

فمن جمع بين العلم والتعليم فهو خير الناس بنص هذا الحديث وقد حاز الخير كله.

وقراءة القرآن من أفضل الأعمال وأكثرها أجرا لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ فِي الصُّفَّة، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيق، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِد فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» .ومعنى كوماوين:أي عظيمتا السنام.

وتضاعف الأجور لصاحب القرآن ويرفع به في الجنة درجات، فقد روى الترمذي عَنْ عَبْد الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ: يُقَالُ، يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ،: «**اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**» .

بمعنى أن الجنة درجات فبقدر القراءة من آيات الله تكون الدرجة في الجنة، فيرتفع القارئ درجات في الجنة بقدر قراءته، وقد قال بعض أهل العلم :إن عدد درجات الجنة على عدد أيات القرآن الكريم، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة ومن قرأ نصفه كان على النصف من درج الجنة ومن قرأ القرآن كله كان في عاليه، لم يكن فوقه أحد إلا نبي أوصديق أو شهيد.اهـ ذكره ابن بطال والخطابي رحمهما الله تعالى.

ويأتي القرآن يوم القيامة يشفع لأصحابه لما روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِه، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ،**

فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَة» . قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ الله عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

ومعنى: « **غَيَايَتَانِ**» : أي سحابة أو غشاية تظل الإنسان. و«**فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**» : أي قطيعان وجماعتان . « **تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا** » : أي تدفعـان عنه الجحيم والزبانية.

وخلاصة معنى الحديث أن القرآن الكريم يشفع لصاحبه لا سيما البقرة وآل عمران وأن ثوابهما يأتي كالغمامتين، وسميتا بالزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

فكيف لو اجتمع مع تلاوة القرآن الصيام؟، أو كانت التلاوة في شهر رمضان؟ ، فإن الأجر يكون أعظم والفضل فيه أكثر، فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَة، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**» .

وهذه الشفاعة تكون في حق من كان من أهله تلاوة وعملًا وتدبرًا ودعوة، بغير جفا ولا مغالاة ، ولا هجر ولا رياء، لما ثبت عند ابن حبان عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ: « **الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدِّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّة، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**» .

وفي رواية: « **مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ**» .

ويفسره حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: « **الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يكون القرآن لك إذا توصلت به إلى الله وقمت بواجب هذا القرآن العظيم ، من التصديق بالأخبار ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وتعظيمه واحترامه، وأما إن كان العكس ، أهنت القرآن وهجرته لفظًا ومعنى وعملًا ، ولم تقم بواجبه فإنه يكون شاهدًا عليك يوم القيامة ، ولم يذكر النبي ﷺ مرتبة بين المرتبتين لم يقل: لا لك ولا عليك ، لأنه لا بد أن يكون إما لك أو عليك على كل حال، فنسأل الله أن يجعله لنا جميعا حجة نهتدي به في الدنيا والآخرة ، إنه جواد كريم. اهـ

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحابته الذين ارتضى، وعلى أتباعه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فيقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾[فاطر:٢٩-٣٠].

وعد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ التالين لكتابه العاملين به بالتجارة الرابحة والأجور العظيمة والمزيد من فضله.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ فِي الأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، ﴿ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ أَيْ: يَرْجُونَ ثَوَابًا عِنْدَ اللهِ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِهِ.

كَمَا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ عِنْدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: « **إِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ** »؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ أَيْ: لِيُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَ مَا فَعَلُوهُ وَيُضَاعِفَهُ لَهُمْ بِزِيَادَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ لَهُمْ. اهـ.

وروى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ** ».

فمن قام بالقرآن سلم من الغفلة وكان من القانتين، أو كتب من المقنطرين.

فقد روى ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، أَوْ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ** » .

وعند أبي داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ** » .
والقنطار: هو الأموال الكثيرة، والمقصود منه هو الكناية عن كثرة الأجر.

والتلاوة التي ينتفع بها العبد هي التلاوة مع حضور القلب وتدبر المعاني، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب... وقال: ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم. اهـ

أي من الطرق لمعرفة معاني القرآن وتدبره :النظر في كتب التفسير المعتمدة في تفسير القرآن الكريم .

فمن لا يتدبر القرآن لا يخرج بكبير نفع ولا فائدة، ولهذا توعد الله الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. اهـ.

فإن عدم تدبره نوع من هجره، ومن هجره ترك قراءته، وعدم الاستماع له، وترك العمل به، وعدم التحاكم إليه وعدم تعلمه وحفظه، فكل هذا من هجر القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان:٣٠]، يشكو نبينا ﷺ إلى ربه من هجر قومه للقرآن.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصغُونَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦]، وَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، والعدولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ -مَنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ -مِنْ هُجْرَانِهِ، فَنَسْأَلُ الله الكريمَ المنانَ القادرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخِطُهُ، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ، مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وأطرافَ النَّهَارِ، عَلَى الوجه الذي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ. اهـ

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجِلاء أحزاننا،

وذهاب همومنا، اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لنا لا علينا، اللهم ارزقنا الإيمان به والعمل به ، والتصديق بأخباره والامتثال لأوامره، والاعتبار بأمثاله، والاجتناب لنواهيه والاتعاظ بقصصه، والإيمان بمتشابهه، اللهم اجعله شافعا لنا يوم القيامة، وارفع لنا به الدرجات العالية، برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٠

فضل القيام لا سيما في رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزَّمل:١-٤] .

---

(١) تخطب هذه الخطبة في الجمعة الثالثة من رمضان .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَكَثَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -عَلَى هَذه الْحَال عَشْرَ سنينَ يَقُومُ اللَّيْلَ، كَمَا أَمَرَهُ، وَكَانَتْ طَائفَةٌ منْ أَصْحَابه يَقُومُونَ مَعَهُ، فَأَنْزَلَ الله عَلَيْه بَعْدَ عَشْر سنينَ: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ إِلَى قَوْلِه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فَخَفَّفَ الله تَعَالَى عَنْهُمْ بَعْدَ عَشْر سِنِينَ.

قال ابْن عَبَّاس رَضيَ الله عَنْهُمَا في قَوْله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزَّمل:١-٤] فَأَمَرَ الله نَبيَّهُ وَالْمُؤْمنينَ بقيَام اللَّيْل إِلَّا قَليلًا، فَشَقَّ ذَلكَ عَلَى الْمُؤْمنينَ، ثُمَّ خَفَّفَ الله عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ، فَأَنْزَلَ بَعْدَ هَذَا: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِه: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ ﴾ فَوَسَّعَ الله - وَلَهُ الْحَمْدُ-وَلَمْ يُضَيِّقْ. اهـ

فانظر يا أيها المسلم إلى رحمة الله كيف خفف عن عباده، وقد كان قيام الليل واجباً، فكان يجب على العبد أن يصلي من الليل نصفه أو ثلثه، فخفف الله عنا، فينبغي علينا أن نشكر الله على التيسير، ومن شكره، المحافظة على قيام الليل، وذلك بقيام ما تيسر منه، فإن كثيرًا من المسلمين لا يقومون في الليل إلا في رمضان، وهؤلاء فوَّتوا على أنفسهم خيرًا كثيرًا، لأن قيام الليل له فضائل عظيمة، كما سيأتي في ذكر فضائله.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ قِيَامُ اللَّيْل فَرِيضَةً في الابتداء ثم بين قَدْرَهُ فَقَالَ: ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾ إلى الثلث ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْه، عَلَى النِّصْف إِلَى الثُّلُثَيْن، خَيَّرَهُ بَيْنَ هَذه المنازل، فَكَانَ النَّبيُّ -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابُهُ يَقُومُونَ عَلَى هَذه المَقَادير، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يَقُومُ حَتَّى

يُصْبِحَ مَخَافَةَ أَنْ لَا يَحْفَظَ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَخَفَّفَ عَنْهُمْ وَنَسَخَهَا بقوله: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ ﴾ [المزمل: ٢٠]، فكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ السُّورَةِ وآخرها سنة. اهـ. ثم ذكر سندا إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا المعنى.

فالحاصل أن قيام الليل كان واجبًا فصار مستحبًا، لكنه صفة الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين، وقربة إلى رب العالمين ونور على وجوه المؤمنين ومفزع الخائفين.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزُّمر:٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق المدح لعبادالرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان:٦٤].

ووصفهم بأنهم ساجدين راكعين مسبحين بحمده، وأنهم يتركون أماكن النوم والراحة تهجدا لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٦].

ثم بين ما أعد لهم في الجنة، وما أخفى لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو

ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى... فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.اهـ.

ومن فضائل قيام الليل: أن الله يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات ويقي به العبد من الآثام والمهلكات، وهو دأب الصالحين يتقربون به إلى رب العالمين.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عَنْ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنّه قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ».

وقيام الليل عز المؤمن وشرفه. فقد روى الطبراني عَنْ سَهْل بْن سَعْد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ به، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّك مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**».

ومن فضائل قيام الليل ياعباد الله: أنه من أسباب دخول الجنة .فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**».

وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة، فقد روى الإمام مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**».

ويزيد أجر القيام في شهر رمضان لفضيلة هذا الشهر، ولما اختصه الله بخصائص كثيرة، ويكون أفضل في العشر الأواخرمن رمضان، ويكون أفضل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي يكون قيامها خير من قيام ألف شهر.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

وشروط المغفرة هنا أن يقومه إيمانًا واحتسابًا :أي بنية وعزيمة وإخلاص راجيا ثوابه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مصدقًا بمشروعيته منشرحًا به صدره طيبةً به نفسه.

ويستحب في قيام الليل الإطالة في القيام والركوع والسجود، والسُّنَّة في عدد الركعات إحدى عشرة ركعة، لما روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ** » أي: طول القيام.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت. اهـ.

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: « **مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِه عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا**» .

أي: لكمال حسنهن وطولهن فهن مستغنيات عن السؤال عن وصفهن فقد كان عليه الصلاة والسلام يطيل فيهن ويقرأ مترسلاً ويطيل الركوع والسجود كما سيأتي قريبًا في صفة قيام النبي ﷺ.

ويستحب الاستمرار في القيام مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة، فإن ذلك كقيام ليلة، فقد روى أبو داود عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « **صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا**

حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ» إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » .وفي رواية عند الترمذي: « **كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ** » .

وأفضل القيام هو التهجد في الثلث الآخر من الليل، وهو وقت النزول الإلـهي، ويشرع القيام في أي ساعة من الليل فقدقام النبي ﷺ في جميع أناء الليل، في أوله ووسطه وآخره.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: « **مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ** » .

لكن يستحب أن يكون من آخر الليل قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

قال المفسر الطبري وابن كثير: التهجد هو التيقظ بعد النوم.

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» . وقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَحْضُورَةٌ. ومعنى مشهودة :أي :محضورة، تحضرها الملائكة.

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: « **كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَه**» .

ويستحب للعبد أن يصلي القيام في بيته إلا في رمضان فإنه يشرع صلاة القيام في المسجد جماعة لفعل النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فصارت صلاة التراويح والقيام سُنَّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإنما تركها النبي ﷺ جماعة في المسجد في آخر أمره؛ خشية أن تفرض عليهم فيعجزون عنها، فلما توفي -عليه الصلاة والسلام - وانقطع الوحي وأكمل الله الدين

وانقضى التشريع وأُمن فرضيتها، أحياها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المسجد جماعة، فأحيا سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ كما هو مبين في صحيح البخاري.

فلا تعجز أيها المسلم عن هذه العبادة العظيمة ولا تتكاسل عنها فإن الشيطان يسعى إلى تثبيط الناس عنها بمكره ووسائله الخبيثة فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ** » .

بمعنى أنه يثقِّل عليه نومه فإن قام وذكر الله وتوضأ وصلى انحلت تلك العقد وإلا صار حاله ،كما أخبر النبي ﷺ خبيث النفس كسلان ثقيلاً مكتئبًا ملاما، بل ربما بال الشيطان في أذنيه.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْد الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: « **بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ** » .

ومعنى بال في أذنيه: قال بعض أهل العلم: هو البول على الحقيقة.

وقال بعضهم: بل أذلَّه وأفسده واستعلى عليه وخدعه، ذكره النووي.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كفى لامرئ من الشر أن يبول الشيطان في أذنه.

فهذا الذي نام حتى أصبح لم يصل من الليل بال الشيطان في أذنه، فكيف بالذي لم يصلِ صلاة الفجر؟، نسأل الله العافية.

فنعوذ بالله من تسلط الشيطان، ونعوذ بالله من مكره وكيده ،وهمزه ونفخه ونفثه.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأصلي وأسلم على نبيه الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فبعد أن عرفنا شيئًا من فضائل قيام الليل وما أعد الله للقائمين، نحب أن نعرف كيفية قيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لنقتدي به، فهو قدوتنا وأسوتنا وخير الهدي هديه.

كيف كان قيام نبينا ﷺ؟، وهو الذي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الناس وخيرتهم، وهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب لواء الحمد، وهو صاحب الوسيلة الرفيعة في الجنة، وأول من يدخل الجنة، لا يفتح لأحد قبله، ومع هذا كان يقوم الليل حتى تشققت وتورمت قدماه من طول القيام عليه الصلاة والسلام .

فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» ، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ» .

إنه لما عرف نعمة الله عليه عظم شكره لله وقدر الله حق قدره ، ولما كان أخشى الناس وأتقاهم لله عرف قدر العبادة، وكثرت عبادته ﷺ، فقد بات

ليلة يصلي بآية يرددها يركع بها ويسجد حتى طلع الفجر.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح ، وهي ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨ ﴾ [المائدة:١١٨] ، بها يركع وبها يسجد وبها يدعو فلما أصبح قال له أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها وتدعو بها وقد علمك الله القرآن كله لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قَالَ : « **إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا ، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا** » .

فقد كان عليه الصلاة والسلام رحيماً بأمته، كان يهمه أمرهم ويدعو لهم في صلاته حتى وعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن لا يخزيه في أمته.

وكان يصلي ويقرأ ويدعو ويبكي، لما روى ابن حبان عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ... فقَالَ ابن عُمَيْرٍ : أَخْبرينا بأَعْجب شَيْءٍ رَأَيْته منْ رسول الله ﷺ ، قال : فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ منَ اللَّيَالِي قَالَ : «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قُلْتُ : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ ، وَأُحِبُّ مَا يسُرُّكَ ، قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ: « **أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ﴾** [آل عمران: ١٩٠].

وكان إذا فاته قيام الليل لعذر قضاه في النهار، فقد روى الإمام مسلم عَنْ

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً**».

فيشرع قضاء القيام لمن فاته لهذا الحديث.

وكان ﷺ يطيل في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده ويدعو ويسبح ويستغفر ويقرأ بتؤده وتدبر، فقد روى الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: « **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: « **صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ**»، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أي: همَّ أن يصلي مع النبي ﷺ جالسًا لكن تأدبًا معه لم يجلس، علما بأنه يجوز الصلاة جلوسا مع الإمام في صلاة الليل.

فيستفاد من هذا الحديث تأدب المأموم مع الإمام وعدم مخالفته والجدال والخصام معه إذا أطال،أو عمل بالسُّنَّة،ومن تعب أو عجز فله أن يصلي جالسًا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يُخَالَفُوا بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا شَقَّ عَلَى الْمُقْتَدِي فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ الْقِيَامُ وَعَجَزَ عَنْهُ جَازَ لَهُ الْقُعُودُ وَإِنَّمَا لَمْ يقعد بن مَسْعُودٍ

لِلتَّأَدُّبِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَفِيهِ جَوَازُ الِاقْتِدَاءِ فِي غَيْرِ الْمَكْتُوبَاتِ وفيه استحباب تطويل صلاة الليل. اهـ

هذه مقتطفات من قيام النبي ﷺ، وأما في رمضان فقد كان يجتهد فيه أكثر من غيره ويجتهد في العشر الأواخر أكثر من غيرها.

فقد روى الإمام مسلم عن عَائِشَة رَضيَ اللهُ عَنْهَا: « كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» .

فكان يحيي الليل بالعبادة، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « كَانَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَه» .

فهذه هي عبادة رسول الله ﷺ، أفلا تقتدي به أمته؟.فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فمن أراد القرب من الله ومرافقة رسول الله ﷺ ، فليكثر من الصلاة، لا سيما النافلة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** » .

ويزداد فضل السجود في ثلث الليل الآخر.

فقد روى الترمذي عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رَضيَ الله عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُن**» .

والقرب هنا هو قرب معية ، أي: يكون الله معه بنصره وتأييده ولطفه وإجابة دعائه.

ومن فضائل الصلاة لا سيما قيام الليل أن المكثر منها والمحافظ عليها يحظى بمرافقة النبي ﷺ فقد روى مسلم عن رَبِيعَة بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « **سَلْ** » فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: « **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ** » قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: « **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» . أي بكثرة الصلاة.

وعبر عن الصلاة بالسجود من باب التعبير عن الكل بالجزء، ولفضل السجود فإنه أشرف ركن في الصلاة ، لحيث وأن العبد يمرغ أشرف عضو فيه وهو وجهه لله رب العالمين، ويعبر عن الركعة بالسجدة، ويدخل في كثرة السجود النوافل والفرائض.

فنسأل الله العظيم أن يتوفانا ساجدين، وأن يبعثنا ساجدين، وأن يجعل الصلاة قرة أعيننا، وأن يعيننا على طاعته و ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا من رفقاء نبيه ﷺ في الجنة.

اللهم أعنا على الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن، برحمتك يا أرحم الراحمين.

١١

فضل ليلة القدر
والاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

نعوذ بالله من البدع ومن الضلالات ومن النار.

---

(١) تخطب هذه الخطبة في أول العشر الأواخر من رمضان أو قبل دخولها بيوم أو يومين

أيها الناس...

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾[القدْر:١-٥] .

بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه السورة شرف ليلة القدر وأنزل في شأنها سورة تتلى إلى قيام الساعة.

وذكر من فضلها أنه أنزل القرآن الكريم فيها قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[القدْر:١] ، أي :أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾[الدخان:٣] .

فأشرف الكتب الذي هو القرآن ، نزل في أشرف الليالي على أشرف الخلق بواسطة أشرف الملائكة.

ومن فضلها أن الملائكة بما فيهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتنزلون في تلك الليلة المباركة إلى الأرض كعدد الحصى.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: في لَيْلَةِ الْقَدْرِ: « لَيْلَةُ القدر ليلة سَابِعَةٍ – أَوْ تَاسِعَةٍ – وَعِشْرِينَ، إِنَّ الملَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى » .

ومن فضلها أن مقادير السَنَة تقدر في تلك الليلة قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾[الدخان:٤-٥] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ إِلَى الْكَتَبَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا. اهـ

فهي ليلة مباركة ، عظمها الله وعظم أمرها، وذلك بتكرار ذكرها بصيغة السؤال فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ ﴾ وهذا على سبيل التعظيم والتشويق لخيرها.

فإن قيامها والعمل الصالح فيها من صلاة وذكر واستغفار وقراءة للقرآن خير من عبادة ألف شهر، أي : ما يقارب بضعاً وثمانين سنة، فمن وفقه الله لذلك فقد حاز الخير كله، ومن حرم خيرها فقد حرم خيرًا كثيرًا.

فقدروى ابن حبان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ** ».

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾:

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ: يَكْثُرُ تنزلُ المَلائكَة في هَذه اللَّيْلَة لكَثْرَة بَرَكَتهَا، وَالمَلائكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَة، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيماً لَهُ. اهـ .

﴿ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾: وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾:

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي بكل أمر من الخير والبركة ، كقوله تعالى: ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[الرعد:١١] .

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾:

قال البغوي: قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَامُ الله عَلَى أَوْلِيَائه وَأَهْلِ طاعته.

وقال الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ المَلائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ المَسَاجِدِ مِنْ حين

تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفجر.

و قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كُلَّما لَقُوا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْله: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: سَلامٌ هِيَ، أَيْ لَيْلَةُ الْقَدْر سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ.

قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يُقَدِّرُ الله فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَا يَقْضِي إِلَّا السَّلَامَةَ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْر سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فيها سوءاً، وَلَا أَنْ يُحْدِثَ فِيهَا أَذًى. حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيْ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرَ. اهـ.

وليلة القدر ليلة كاملة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

وذكر أهل العلم تعليلات لسبب تسميتها بليلة القدر:

منها : أنها تقدر فيها الأمور والأحكام .

ومنها : لما يقوم به العباد من الطاعات والقربات.

ومنها : أنها سميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها وشرفها.

ولا مانع من اجتماع ذلك كله.

وليلة القدر أرجى ما تكون في العشر الأواخر من رمضان، وأرجى ما تكون في الليالي الوترية، وأرجى ما تكون في ليلة سبعٍ وعشرين، كما سيأتي ذكر الأدلة في ذلك.

وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، لم ترفع كما يظن البعض ، وقد كان النبي ﷺ يتحراها ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان يلتمس ليلة القدر، وكان يحث أصحابه على تحريها والتماسها، وكان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها .

ولها علامات تعرف من خلالها :

منها : أنها ليلة هادئة ساكنة صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعا ولا يرمى فيها بنجم ولا كوكب .

و**ومنها :** أنها ليلة لا حارة ولا باردة.

ومنها : أن الشمس في صبيحتها حمراء لا شعاع لها .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِنَةٌ سَاجِيَةٌ لَا بَرْدَ فِيهَا، وَلَا حَرَّ وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى تُصْبِحَ، وَإِنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ** » .

ومعنى «بَلْجَةٌ»: أي واضحة.

وعند الطبراني عن واثلة: « **وَلا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ** » .

وعند الطيالسي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: « **لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لا حَارَّةٌ، وَلاَ بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ** » .

وعند ابن خزيمة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبَهَا لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا** » .

ومن علامتها:أنه قد ينزل مطر فيها، لكن ليست علامة مطردة، فقد ينزل المطر في تلك الليلة وقد لا ينزل، وقد وقع ذلك في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اعْتَكَفْنَا

مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا، وَقَالَ: « **إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا - أَوْ نُسِّيتُهَا - فَالْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الوَتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلْيَرْجِعْ**»، **فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ سَقْفُ المَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْجُدُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ**» .

وقد ينزل المطر في غير ليلة القدر من ليالي رمضان.

لكنَّ أبرز علامتها الملازمة لها أن الشمس صبيحتها تصبح حمراء لا شعاع لها.

وذكر بعض أهل العلم تعليلا لذلك فقال النووي :قال القاضي عياض: قِيلَ :مَعْنَى لَا شُعَاعَ لَهَا أَنَّهَا عَلَامَةٌ جَعَلَهَا الله تَعَالَى لَهَا.قَالَ : وَقِيلَ بَلْ لِكَثْرَةِ اخْتِلَافِ المَلَائِكَةِ فِي لَيْلَتِهَا وَنُزُولِهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَصُعُودِهَا بِمَا تَنْزِلُ بِهِ سَتَرَتْ بِأَجْنِحَتِهَا وَأَجْسَامِهَا اللَّطِيفَةِ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَشُعَاعَهَا وَاللَّهُ أَعْلَم. اهـ

وقيل : إنها لا تطلع بين قرني شيطان في ذلك اليوم ، صبيحة ليلة القدر.

أما تحديد ليلة القدر: فأصح الأقوال أنها في العشر الأواخر ، وأرجى ما تكون: في الليالي الوترية ، وأرجى من ذلك: في السبع الأواخر ، وأرجى من ذلك: أن تكون في ليلة سبع وعشرين، وهي متنقلة في العشر فقد جاءت في عهد النبي ﷺ في ليلة إحدى وعشرين ، وجاءت في ليلة ثلاث وعشرين ، وجاءت في ليلة سبع وعشرين.

ولا مانع من أنها قد تأتي في ليالي الشفع منها، فينبغي التماسها في العشر الأواخر ، والاجتهاد في جميع لياليها الشفع والوتر، وإن اعتكف العبد فهو أحسن ؛لأن المعتكف لا يحرم خيرها إن اجتهد بالعبادة ولم يفرط أو ينم في

معتكفة في ليلة القدر.

فأما كونها في العشر الأواخر، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» .

وفي صحيح مسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **تَحَيَّنُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ** » **أَوْ قَالَ:** « **فِي التِّسْعِ الْأَوَاخِرِ**» .

وقد يرى المسلمون رؤيا تدل على ليلة القدر لما روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ: قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ**» .

وفي صحيح مسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ في المَنَام، في السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**» .

وكان النبي ﷺ يخبر بها ويعينها فخرج ليخبر أصحابه بها فتشاجر رجلان من أصحابه فأنسيها، فرفع تعيينها، ولعل في ذلك خيرًا للناس، بأن يجتهدوا في جميع ليالي العشر.

فقد جاء في صحيح البخاري عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خَرَجَ يُخْبِرُ بلَيْلَة القَدْر، فَتَلاَحَى رَجُلاَن منَ المُسْلمينَ فَقَالَ: « **إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بلَيْلَة القَدْر، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ**» .

ومعنى تلاحى:أي: تشاجر واختصم.

ففيه خطر الخلاف والشحناء فإنه يعود بالضرر على المجتمع أجمع، فبسبب خلاف الرجلين رفعت، وصارت غير معروفة في ليلة معينة.

وفي رواية عند الطيالسي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**فَاخْتَلَجَتْ مِنِّي**» .

أي: من قلبه ونسي تعيينها بالاشتغال بالمتخاصمين.

قال عياض: دل به على ذم المخاصمة وأنها سبب للعقوبة لكن ليست المخاصمة في طلب الحق مذمومة مطلقًا، بل لوقوعها في المسجد وهو محل الذكر لا اللغو. اهـ.

وقد تكون في ليلة سبع وعشرين لما روى الإمام مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أُبَيٌّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُهَا، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**».

وقد تكون في ليلة ثلاث وعشرين لما روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْس، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» قَالَ: فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ يَقُولُ: ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ.

و قد تأتي ليلة القدر في ليلة إحدى وعشرين لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَثْبُتْ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ،**

وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»، فَاسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَبَصُرَتْ عَيْنِي رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً.

وقوله: « **كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ العَشْرَ** » أي العشر الأواسط.

فالشاهد من هذه الأحاديث أنها متنقلة في العشر الأواخر، فينبغي على المسلمين أن يلتمسوها في العشر الأواخر كلها ، ليفوزوا بخيرها ويحظوا بأجرها، وينبغي على المسلم أن يخلص العمل في هذه الليالي، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

أي: يقومها مصدقا بثوابها محتسبًا الأجر والثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وسواء علمها أم لم يعلمها فإنه يظفر بفضلها، وعلى قدر اجتهاده فيها يكون له من الأجر بحسب ذلك الاجتهاد، قال بعض أهل العلم: من صلى ركعتين في ليلة القدر كان له ثواب من صلى ليالي ألف شهر بل أفضل.

فكيف لو صلى إحدى عشرة ركعة مع الإمام حتى ينصرف؟،وكيف لو اجتهد في تلك الليلة بالذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وغيرذلك؟، فإنه يظفر بأجور كثيرة لايقادر قدرها إلا الله تعالى.

وإذا كان الإمام متابعاً للنبي ﷺ، يصلي على السُّنَّة ويطيل الصلاة في القيام والركوع والسجود، ويعمل بالسُّنن فالصلاة خلفه أفضل والأجر أكثر إن شاء الله تعالى.

فينبغي الاجتهاد بالذكر والدعاء ، والاستغفار، والصلاة وقراءة القرآن في

هذه الليالي المباركة .

فقد روى الترمذي عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟، قَالَ: « **قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي** » .

نسأل الله أن يوفقنا لقيام ليلة القدر، وأن يرزقنا قيامها إيمانًا واحتسابًا.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فبعد أن عرفنا فضيلة ليلة القدر وما رتب على قيامها من أجر، فما علينا إلا أن نتحرى هذه الليلة المباركة ونغتنمها بطاعة الله، ونجاهد أنفسنا على قيامها، وننظر السبل الموصلة إليها، وندعو الله بالتوفيق لها، ألا وإن أفضل سبيل لالتماسها: هو الاعتكاف ولزوم المسجد، فإذا كان العبد في بيت الله فإنه مدركها لا محالة إن شاء الله تعالى، سواء تقدمت أو تأخرت مادام أنه في المسجد يعبد الله تعالى، فقد اعتكف النبي ﷺ، ولازم الاعتكاف حتى توفاه الله، واعتكف أزواجه من بعده.

فقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، - زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- -: « **أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ** ».

وفي الحديث جواز اعتكاف النساء، وذلك في معزل من الرجال، إذا أُمنت الفتنة.

وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأوسط من رمضان فأُخبر أن ليلة القدر في العشر الأواخر، فاعتكف في العشر الأواخر وحث أصحابه على الاعتكاف فيها، فكيف يفرط المسلم بعبادة لازم عليها رسول الله ﷺ حتى مات ؟!.

قال ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف وإنَّ النبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى توفاه الله. اهـ.

بل إنه قد اعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يوما، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه وكان يعتكف كل عام عشرًا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه» .

ويستحب للمعتكف أن يضرب له خيمة في المسجد ليحقق ما اعتكف لأجله فيختلي بربه، ولا ينشغل بغيره، فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَعْتَكِفُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً، فَأَذِنَتْ لَهَا، فَضَرَبَتْ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَيْنَبُ بْنَت جَحْش ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى الأَخْبِيَةَ، فَقَالَ: « مَا هَذَا؟ » فَأُخْبِرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « آلْبِرَّ تُرَدْنَ ؟ » فَتَرَكَ الاِعْتِكَافَ ذَلِكَ الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّال» .

وفي هذا الحديث جواز الاعتكاف في غير رمضان، لكن لا يجزئ إلا في المسجد، ويستحب قضاء النوافل الفائتة، فإن النبي ﷺ قضى الاعتكاف في شوال، وتركه ذلك العام لأنه رأى أن الاعتكاف ربما خرج عن مقصوده في ذلك العام، ولأنه ﷺ يريد أن يختلي بربه، أما ونساؤه عنده في المسجد فكأنه في بيته ربما شغل بأهله فينافي الاعتكاف، ولذلك خرج من المعتكف، كما ذكر نحو هذا بعض أهل العلم والله أعلم.

فإن الغرض من الاعتكاف هو أن يختلي المعتكف بربه فيناجيه ،ويذكره ويستغفره ،ويعتزل الناس ويقرأ القرآن، ويتجنب كثرة المحادثات والجدالات وكثرة الاتصالات إلا لحاجة، بل ينبغي أن يغلق جواله ويتصل بالله ، فلا يفتحه إلا في أوقات محدودة .

فمن المخالفات في الاعتكاف كثرة الاتصالات والمحادثات والجدال والخصومات وإزعاج المعتكفين والنائمين وكثرة الدخول والخروج لغير ما حاجة، وهذا ينافي الاعتكاف، فإن الاعتكاف هو لزوم المسجد في طاعة الله ليتفرغ الإنسان للعبادة من ذكر واستغفار وقراءة القرآن وغير ذلك.

نسأل الله أن يوفقنا لطاعته وأن يجنبنا معصيته وأن يجعلنا ممن وفق لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا وأن يرزقنا الإخلاص وأن يتقبل منا.

اللهم اجعلنا في هذا الشهر الكريم ممن غفر ذنبه وعتقت رقبته وقبل عمله واجعلنا فيه من الفائزين، ولا تجعلنا من المحرومين برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٢

الزكاة وبعض أحكامها وزكاة الفطر (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله...

إن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فالصلاة حق للخالق

(١) تخطب هذه الخطبة في آخر رمضان قبل العيد

والزكاة حق للمخلوق من الفقراء والمساكين ونحوهم، ولذلك قرن الله الزكاة بالصلاة في آيات كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البيِّنة:٥].

فالزكاة ركن من أركان الإسلام ومن جحد وجوبها فقد كفر، ومن منعها فعلى ولي الأمر أن يقاتله كما قاتل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة فقال: « وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاة ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا » رواه البخاري .

فهي حق واجب أوجبه الله على الأغنياء للفقراء إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب من الذهب والفضة والأموال الورقية ، ومن العروض التجارية ، ومن الحبوب والتمر والزبيب ومن البقر والغنم والإبل ، وغير ذلك مما نص عليه الشارع مما تجب فيه الزكاة.

والزكاة تزكي النفوس والأموال وتطهرها قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾[التوبة:١٠٣] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم. اهـ

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ**». رواه مسلم عن الفضل بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

ومعنى « **أَوْسَاخُ النَّاس**» :

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي:تَطْهِيرٌ لِأَمْوَالِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذۡ

﴿مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ . اهـ

ولا تحل الزكاة لغني ولا لقوي مكتسب لما روى أبو داود عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ أنهما أتيا النبيَّ ﷺ في حجَّة الوَداع وهو يقسِمُ الصدَقة، فسألاه منها، فرفَّع فينا البصرَ وخفَّضَه، فرآنا جَلدين، فقال: « **إنْ شِئتُما أعطيتكما، ولا حَظَّ فيها لغِنيّ ولا لقويّ مُكتسب**» .

فلا تبخل يا مسلم بالزكاة، ولا تبخل في حق الفقراء والمساكين، فإن الزكاة حق أحقه الله من فوق سبع سموات، ولا تظن أن الزكاة تأكل المال أو تنقصه، بل إنها سبب للبركة فيه وتنميته.

فقد ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**» .

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي ما نقصت شيئًا من مال في الدنيا بالبركة فيه ودفع المفسدات عنه، والإخلاف عليه بما هو أجدى وأنفع وأكثر وأطيب ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾[سبأ :٣٩] ، أو في الآخرة بإجزال الأجر وتضعيفه أو فيهما ، وذلك جابر لأصناف ذلك النقص. اهـ .

فمن أدى زكاة ماله فقد برئت ذمته، ومن لم يؤدِ زكاة ماله لم تبرأ ذمته ويصير وبالاً عليه إلى يوم القيامة، وتمحق بركته ويصير ضرراً عليه، فقد روى ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ، فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ**» .

وعند الطبراني عَنْ جَابر رضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِذَا أَدَّى رَجُلٌ زَكَاةَ مَاله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ** » .

فمفهوم الحديث: أن من لم يؤد زكاة ماله فهو شر وضرر على صاحبه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

وليست الزكاة واجبة في كل ما يملك الإنسان، وإنما جاء ت مقادير معينة في أموال معينة، وفي أزمان معينة، ولهذا عرف أهل العلم الزكاة بقولهم: هي إخراج شيء مخصوص من مال مخصوص في زمن مخصوص لأناس مخصوصين.

ففي الحبوب والثمار زكاة، قال تعالى: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤١] ، فهذه الآية عامة ومقيدة بالحديث الآتي، فليس في كل ما أخرجت الأرض زكاة.

فقد بين النبي ﷺ أن الزكاة في أربعة أصناف فقط مما يحصد، كما روى الدارقطني عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « **إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ: الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالزَّبِيبِ وَالتَّمْرِ** » .

وليس في هذه الأصناف زكاة إلا إذا بلغت النصاب، ومقداره خمسة أوسق، فهذا هو نصاب الحبوب والثمار، فإذا بلغت خمسة أوسق وجب فيها الزكاة، والوسق :ستون صاعا، والصاع :أربعة أمداد، والمد: بحفنة الرجل المعتدل، وقدرها ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بالكيلو بما يقارب اثنين كيلو وأربعين جرامًا .

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ** » .

فما سقي بدون كلفة كالأمطار والأنهار والسيول ففيه العشر وما سقي بكلفة كرافعات المياه من أعماق الأرض، ففيه نصف العشر.

ففي الصحيحين عن ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- قَالَ: « **فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ** » .

وأما نصاب الذهب: ما بلغ خمسًا وثمانين جرامًا، وحال عليه الحول، سواء كان مستعملا أو ملبوسا أو مخزونًا أو مبيعًا فتجب فيه الزكاة.

وأما الفضة فنصابها : خمسمائة وخمس وتسعون جرامًا، فإذا بلغت هذا القدر فتجب فيها الزكاة، سواء كانت ملبوسة أو مخزونة أو للزينة ونحو ذلك.

والدليل على وجوب الزكاة في الذهب الملبوس ما روى أبو داود عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه عن جدِّه: أن امرأةً أتت رسولَ الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يدِ ابنتها مُسْكَتان غليظَتانِ مِنْ ذهب، فقال لها: « **أتعطين زكاة هذا؟** » قالت: لا، قال: « **أَيَسُرُّكِ أن يسوِّرَك اللهُ بهما يومَ القيامَةِ سوارَينِ مِن نار؟** » قال: فخلعتهُما فألقَتهُما إلى النبي ﷺ ، وقالت: هُما لله ولرسوله » .

فهذا ذهب ملبوس توعد النبي ﷺ المرأة بسوارين من نار إن لم تؤدِ زكاته، ففيه دليل على وجوب زكاة الذهب الملبوس أو المستخدم، ويلحق به الفضة، وفيه رد على الذين يقولون :إن الذهب الملبوس ليس فيه زكاة.

وزكاة الذهب والفضة ربع العشر .

ويلحق بالذهب والفضة العملة الورقية، فإنها فرع عن الذهب والفضة، ونصاب العملة الورقية :هو نصاب الفضة، لما فيه من مصلحة للفقراء، بمعنى أنه إذا بلغت العملة ثمن خمسمائة وخمسة وتسعين جرامًا من الفضة وحال عليها الحول، ففيها زكاة، ويختلف ذلك على حسب أسعار الفضة من حين لآخر.

ويلحق في ذلك العروض التجارية فتجب فيها الزكاة لأنها أموال.

فسائر المحلات من المعلبات ، والذهب والملابس ، وسائر التجارات ،

ومعارض السيارات، وأحواش الحيوانات المعروضة للبيع ونحوها، مما يعرض للبيع إذا بلغت النصاب ودارت عليها السَنَة ففيها زكاة في كل عام.

وأما زكاة الحيوانات فنصاب الإبل خمس، والبقر ثلاثون، والغنم أربعون، فإذا بلغ من كل صنف هذا العدد ففيها زكاة، فإذا بلغت الإبل خمسا أخرج عليها زكاة وإذا بلغت البقر ثلاثين وبلغت الغنم أربعين ففيها زكاة، وتفصيل إخراجها مبسوط في مواضعه من كتب الفقه وغيرها، فمن بلغ لديه نصاب الإبل أو البقر أو الغنم فعليه بسؤال أهل العلم لمعرفة كيفية إخراج زكاتها.

فإذا لم يخرج العبد زكاة ماله صار عذابًا عليه يوم القيامة يذوق الويلات بسببه ويتحسر الحسرات ويصير ماله عدواً له.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **مَنْ آتَاهُ الله مَالاً، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ:** ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[آل عمران:١٨٠] » .

والشجاع هو ثعبان عظيم يطارده يوم القيامة.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الحية الذكر الأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمومه، فخلق الله هذا الشجاع لعذابه. اهـ.

والكنز :هو المال الذي لا تؤدى زكاته، وأما ما أدي زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سابع أرض، فالمال الذي لا تؤدى زكاته يعذب به صاحبه يوم القيامة.

قال ابن كثير: قال ابن عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا : « ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز وإن

كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز» .

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥] .

وفي صحيح مسلم وروى البخاري بعضه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **مَا مِنْ صَاحِب كَنْز لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْه فِي نَار جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائحَ فَيُكْوَى بهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَ عبَادَه، فِي يَوْم كَانَ مقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة، ثُمَّ يَرَى سَبيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّة، وَإِمَّا إِلَى النَّار، وَمَا منْ صَاحب إِبل لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا بُطحَ لَهَا بقَاع قَرْقَر، كَأَوْفَر مَا كَانَتْ، تَسْتَنُّ عَلَيْه، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْه أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْه أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَ عبَاده، فِي يَوْم كَانَ مقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة، ثُمَّ يَرَى سَبيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّة، وَإِمَّا إِلَى النَّار، وَمَا منْ صَاحب غَنَم، لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطحَ لَهَا بقَاع قَرْقَر، كَأَوْفَر مَا كَانَتْ فَتَطَؤُهُ بأَظْلَافهَا وَتَنْطَحُهُ بقُرُونهَا، لَيْسَ فيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْه أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْه أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَ عبَاده فِي يَوْم كَانَ مقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّة، وَإِمَّا إِلَى النَّار...** » . الحديث.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾** ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به،

وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ﴾ أي: يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم، يعذبون به. اهـ نسأل الله العافية والسلامة.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسىَ من العري، وبصر من العمى، وهدى من الضلالة ، منَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا.

أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾[التوبة:٦٠].

هذه الآية الكريمة تبين مصارف الزكاة أي:الأصناف الذين يستحقون الزكاة.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما الصدقات: أي: الزكوات الواجبة:

الاول والثاني: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ فالفقير أشد حاجة من المسكين لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئًا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: ﴿ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾ العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجلٍ عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: ﴿ وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن

يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: ﴿ ٱلرِّقَابِ ﴾،وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾.

السادس: ﴿ وَٱلْغَـٰرِمِينَ ﴾ الغارمون، وهم قسمان: أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجُعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا. والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفَّى به دينه.

والسابع: ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله. وقالوا أيضًا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه.

والثامن: ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده. اهـ.

ومما ننبه عليه: أن بعض الناس يتلصصون على حق الفقراء والمساكين فيجمعون الزكوات باسم العاملين عليها بدون تكليف من أولياء الأمور ثم يصرفونها في مصالحهم الشخصية أو لجهات أخرى حزبية ونحو ذلك،

ولاتصل إلى أيدي الفقراء والمساكين إلا النزر اليسير، فلينتبه من هذا الصنف.

وهنا تنبيه للمناسبة:

فإنه يجدر بنا أن ننبه على زكاة الفطر، فإنها تزكية للصائم وتطهير له من اللغو والرفث.

فقد ثبت عند أبي داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: « **فَرَضَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلمسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ** » .

وفي هذا الحديث بيان الوقت الذي يجزئ فيه صدقة الفطر وهو قبل صلاة العيد، فمن أخرها إلى بعد صلاة العيد فلا تجزئ، وأفضل وقت لها بعد صلاة الفجر من يوم العيد.

ويجوز دفعها قبل العيد بيوم أو يومين للحاجة الداعية لذلك.

ومن فوائد زكاة الفطر أنها تطهر الصائم مما حصل منه حال صيامه من اللغو والرفث، وهي طعمة للمساكين يفرحون مع الناس يوم العيد ويستعفون بها عن سؤال الناس ويستغنون بها.

وهي واجبة على جميع الناس من المسلمين صغارًا وكبارًا عبيدًا وأحرارًا ذكورًا وإناثًا، من فرط فيها فهو آثم لأنه ضيع واجبًا.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: « **فَرَضَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَدَقَةَ الفِطْرِ عَلَى الذَّكَرِ، وَالأُنْثَى، وَالحُرِّ، وَالمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ**» .

وفي هذا الحديث بيان مقدار زكاة الفطر وهو صاع من قوت البلد من الحنطة أو الشعير أو التمر، ويجزئ الأرز لأنه صار من غالب قوت البلد.

ومقدار الصاع كما تقدم أربعة أمداد بحفنة الرجل المعتدل، أو ما يقارب اثنين كيلو وأربعين جرامًا بالوزن ، بالنسبة للبر أو ما شابهه من الأرز وغيره.

وفي هذه الأحاديث بيان نوع صدقة الفطر، وهو أنها تخرج طعامًا ولا تجزئ النقود والعملة الورقية لعدم فعل النبي ﷺ وعدم فعل الصحابة من بعده، وقد كانت العملة موجودة عندهم من الدراهم والدنانير، ومع هذا لم يخرجوها نقودا بحجة أن النقود أنفع للفقراء والمساكين بزعمهم ولوكان ذلك خيرًا وأنفع لسبقونا إليه، فإخراجها نقودا محدث لم يفعله السلف الصالح.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ الله عَنْهُ : «**كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَام أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ**». والحديث متفق عليه.

والأقط :هو اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَذَكَرُوا عِنْدَهُ صَدَقَةَ رَمَضَانَ : فَقَالَ : « لَا أُخْرِجُ إِلَّا مَا كُنْتُ أُخْرِجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَاعَ تَمْرٍ أَوْ صَاعَ حِنْطَةٍ أَوْ صَاعَ شَعِيرٍ أَوْ صَاعَ أَقِطٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ قَمْحٍ ، فَقَالَ : لَا ، تِلْكَ قِيمَةُ مُعَاوِيَةَ مَطْوِيَّةٌ لَا أَقْبَلُهَا ، وَلَا أَعْمَلُ بِهَا » رواه ابن حبان وغيره.

الشاهد :أنه لم يقبل شيء لم يكن عليه النبي ﷺ.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولا تجزئ القيمة لأنه عدول عن المنصوص. اهـ

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولا يعطى القيمة في زكاة الفطر. فقيل له: كان عمر بن عبد العزيز يأخذ القيمة. قال: يدَعون قول الرسول ويقولون: قال فلان قال فلان وقد قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر

صاعا من تمر أو صاعا من شعير. ...اهـ.

وقال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولا يجوز إخراج القيمة عند جمهور أهل العلم وهو أصح دليلا بل الواجب إخراجها من الطعام كما فعله النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ . اهـ .

وقال علماء اللجنة الدائمة:

ولا يجوز إخراج زكاة الفطر نقودًا ، لأن الأدلة الشرعية قد دلت على وجوب إخراجها طعامًا ، ولا يجوز العدول عن الأدلة الشرعية لقول أحد من الناس. اهـ.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها، اللهم تقبل منا صالح الأعمال، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، والحمد لله رب العالمين.

١٣

خطبة عيد الفطر المبارك
منكرات الأعياد

إنَّ الحَمْدَ للهَّ،نَحْمدُهُ ونَسْتَعينُهُ ونَسْتَغْفرُهُ،ونَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

نحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله الذي أعاننا على صيام رمضان وقيامه وعلى تلاوة القرآن الكريم، فنسأله تعالى أن يتقبله منا، وأن يعيده علينا سالمين غانمين طائعين مطيعين، كما

نسأله أن يجبر كسر قلوبنا بفراق رمضان المبارك، فإن المؤمن ليحزن أشد الحزن على فراق رمضان لما كان يتمتع بأنواع العبادات ويتقلب في كثير من الخيرات، وما يفرح بخروج رمضان إلا رجل جاهل بفضل شهر رمضان، أو عاصٍ يحب المعاصي وتثقل عليه العبادات.

فأما المؤمن الصادق فإنه يفرح بمواسم الخيرات ويحزن بخروجها، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨].

فالفرح الحقيقي : هو الفرح بطاعة الله تعالى، والفرح بشعائر الله، والفرح بذكر الله،، والفرح بمواسم العبادات، والفرح بالأعياد الشرعية كيومنا هذا، فحري بكل مؤمن أن يفرح بذلك، فإن العيد والفرح في هذا اليوم :هولمن أطاع الله في هذا الشهر المبارك واجتنب الذنوب والمعاصي .

فهنيئا لمن غفر ذنبه وعتقت رقبته في هذا الشهر المبارك، وبعدًا وخسارًا لمن خرج رمضان ولم يغفر له، وبعدًا لمن ضيع نفسه وفرط في أعمال الخير والبر في هذا الشهر المبارك.

عباد الله..

كان المؤمنون بالأمس مشغولين بفريضة الصيام، وكانوا يتمتعون بأنواع من العبادات من صيام وقيام وصدقات وتلاوة للقرآن، واليوم مشغولونً بشعيرة عظيمة وهي شعيرة العيد جعلها الله عقب فريضة الصيام ليدل على فضيلة الصيام، إذ أعقبها بيوم عيد، كما أعقب مناسك الحج بيوم عيد الأضحى المبارك ليدل على فضيلة فريضة الحج.

وهكذا المؤمن يتقلب من عبادة إلى عبادة ومن شعيرة إلى شعيرة، لكن يجب على المسلمين أن يتقيدوا بالضوابط الشرعية وأن يمتثلوا الأوامر الإلهية وأن

يتمسكوا بالسُّنَّة النبوية في جميع عباداتهم وفي أعيادهم وفي معاملاتهم، فلا يجوز لهم أن يحدثوا أشياء من تلقاء أنفسهم فيعصوا ربهم أو يخالفوا سُنَّة نبيهم.

وفي هذا اليوم المبارك نذكر بعض المخالفات التي يحدثها الناس في الأعياد.

ولا بأس من التوسع في المباحات في مثل هذا اليوم بلا إسراف ولا تبذير أما المخالفات والمعاصي بحجة أنه يوم عيد فلا تجوز فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فحياة الإنسان كلها لله لا يجوز له أن يتصرف بشيء إلا بإذن الله، وبما شرع رسول الله ﷺ.

فينبغي للمسلم أن يخرج في مثل هذا اليوم طائعًا خاضعًا لله ومتواضعًا لخلق الله متجملاً غير متكبر على أحد ، ولا مجاهر لربه بالمعاصي فقد خرج قارون متجبرًا متبخترًا على قومه فخسف الله به الأرض قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

[القصص:٧٩-٨١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره : خرج قارون مختالا متفاخرا على قومه باغيا عليهم فخرج وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمة الثياب الإرجوان الصبغة قد تجمل بأعظم ما يمكن، فخسف الله به. اهـ بمعناه.

وخرج فرعون وقومه متجبرين على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عيد كما ذكر ابن كثير في تفسيره فكان عاقبة أمرهم الغرق هو وقومه ونجى الله موسى وقومه.

قال تعالى عنهم: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[طه:٥٧-٥٩].

فياعباد الله :

اجعلوا عيدكم هذا محفوفًا بالطاعات، بعيدًا عن المخالفات، فليس العيد لمن لبس الجديد ولكن العيد لمن طاعته تزيد وخاف يوم الوعيد واتقى ذا العرش المجيد، ليس العيد لمن تجمل بالملبوس والمركوب، ولكن العيد لمن غفرت له الذنوب.

ـ فمن المخالفات التي يحدثها بعض الناس أيام الأعياد: إشعال النيران ليالي وأيام العيد، فيستقبلون العيد بإحراق النار وإحراق الإطارات وغيرها، فإن إشعال النيران من شعار المجوس وهم كفار يعبدون النار، فلا يجوز التشبه بهم بإشعال النيران في المناسبات الشرعية ونحوها .

فقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» . أي: مشارك لهم في الوزر.

فإشعال النيران أيام الأعياد والمناسبات تشبه بالمجوس، وقد روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ،أنه قَالَ: ذَكَرُوا النَّارَ وَالنَّاقُوسَ، فَذَكَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى «**فَأُمِرَ بِلاَلٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ، وَأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ**» .

بمعنى أن النصارى يدعون إلى عباداتهم بضرب الناقوس واليهود بنفخ البوق والمجوس يوقدون النار، والمسلمون شرع لهم الأذان للصلوات .

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ :..فالنار للمجوس، والناقوس للنصارى ، والبوق لليهود .اهـ.

وفي مثل هذا اليوم تحصل مخالفات كثيرة في اللباس والزينة، بل ويحصل تشبه بالكفار والعياذ بالله، فيجب الاقتداء بالنبي ﷺ في اللباس وغيره قال الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فقد كانت زينة رسول الله ﷺ لبس القميص أو الإزار إلى نصف الساقين ، وكان يلبس الثياب البيضاء ويحث أمته عليها .

فقد روى أبو داود عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**البَسُوا مِن ثيابكُمُ البياضَ، فَإنَّها مِنَّ خيرِ ثيابِكُم، وكَفِّنُوا فيها مَوْتَاكُم**» .

وكان يلبس حلة يتجمل بها للعيد والوفود، وكان كث اللحية، فلقد كان يطلق لحيته حتى تملأ صدره، وحث أمته على إطلاقها وأنكر على من حلقها أو قصرها، وبين أن ذلك تشبه بالكفار.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى**» .

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا المجُوسَ**» .

وفي رواية: « وَفِّرُوا **اللِّحَى**» .

وفي رواية: « **وَأَرْخُوا اللِّحَى**» .

فهذه كلها أوامر بإطلاق اللحية، والأمر يقتضي الوجوب ، فإطلاق اللحية واجب ولا يجوز تقصيرها أو حلقها وإنما أجاز النبي ﷺ تقصير الشارب.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « **وَأَرْخُوا اللِّحَى**» : أي اتركوها ولا تتعرضوا لها بتغيير، واعفوا اللحى: أي اتركوها كاملة لا تنقصوها. اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ترك التعرض لها بما يستلزم تكثيرها . اهـ .

وقال ابن بطال في معنى: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ**» : أي: يجزوا منها ولا يستأصلوها كاملة. اهـ.

فزينة الرجل باللحية، أكرمه الله بها وأنبتها في أشرف عضو فيه وهو وجهه، فإذا حلقها صار مشوهًا ، وزينة المرأة بعدم اللحية هكذا جعلها الله بما يناسبها، فلا يجوز التشبه بالنساء، فإن حلق اللحية تشبه بالنساء وبالمشركين، فإن اللحية عبادة يحبها الله، وسُنَّة واجبة تحلى بها خير الخلق وإخوانه الرسل وأخذها عنه خير القرون وهم الصحابة والتابعون، ولم يؤثر عن أحد من السلف الصالح ومن جاء بعدهم أنه حلق لحيته مطلقًا، وكانت اللحية من شيمة العرب لايتعرضون لها بحلق ولاتقصير، بل قد أنكر النبي ﷺ على نصرانيين حلقا لحاهما كما في قصة رسولي كسرى، لما رآهما ، قَالَ: « **وَيْلَكُمَا! مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا ؟** »، قَالا: أَمَرَنَا بِهَذَا رَبُّنَا- يَعْنِيَانِ كِسْرَى- ، فَقَالَ رسول الله : « **لَكِنَّ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي** » .

ولم يعرف حلق اللحى إلا مؤخراً بسبب انتشار القنوات الفضائية وسفر كثير من المسلمين إلى بلاد الكفر فأخذوا ذلك عنهم والله المستعان.

ومن المخالفات في اللباس والزينة التي تحصل في هذا اليوم وفي غيره من الأيام أن كثيرًا من أبناء المسلمين يذهبون يتزينون بلباس الكفار وهو البنطال ولم يؤثر عن السلف ومن جاء بعدهم أنهم لبسوا البنطال قط. وإنما هو مستورد من بلاد الكفار ودخيل على المسلمين وأشنعه وأقبحه هو الجينز.

وفي لباس البنطال ثلاث علل في تحريمه:

الأولى: أنه تشبه بالكفار وقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قال رسولُ الله – ﷺ –: « **مَن تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم**» .

والعلة الثانية: أن البنطال ينزل على الكعبين وقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ** » .

قال ابن بطال: إن أنفذ الله عليه الوعيد كان القدمان في النار. اهـ .

وما جاء عليه الوعيد بالنار فهو كبيرة من كبائر الذنوب.

وروى مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** » قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ** » .

ومن الإسبال: لباس البنطال إذ أنه ينزل على الكعبين.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعرض عن هؤلاء الثلاثة ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب مؤلم ومنهم المسبل وهو المرخي إزاره خيلاء ويجر طرفيه ويطوله ويرسله إذا مشي كبرا وعجبا كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر وغيره.

فإن قال قائل هذا في حق من جر ثوبه خيلاء أما نحن فلا نقصد بذلك الفخر والخيلاء؟ الجواب: من حديث أبي هريرة المتقدم: « **مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ** » ، « **مَا** » اسم موصول يعم، أي :كل ما نزل من الثياب على الكعبين ففي النارسواء كان فيه خيلاء أم لا، أما لو زاد مع الإسبال الفخر والخيلاء ففيه ثلاث عقوبات كما في الحديث الآخر وهو: أن الله لا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

فلا يجوز إسبال الثياب إلى ما تحت الكعبين سواء كان ذلك بنطالًا أو قميصًا

أو غيره، وسواء كان خيلاء أم غير ذلك، للأحاديث المتقدمة.

والسُّنَّة أن يلبس المسلم إلى أنصاف ساقيه، فقد روى ابن ماجه أنه قيل لأَبي سَعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ شَيْئًا فِي الإِزَارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: « **إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ. يَقُولُ ثَلاَثًا: لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا** ».

العلة الثالثة في تحريم البنطال: أنه يصف العورة ويحجمها، فالمبنطل عورته شبه ظاهرة، خاصة في الصلاة عند السجود والركوع، فأين الزينة وأين الجمال فيه؟ وأين ستر العورة في الصلاة؟ .

والله تعالى يقول: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف:٣١].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس. اهـ.

فيا شباب الإسلام: اتركوا هذه البناطيل، ما عرفها آباؤكم ولا أجدادكم، ولا عرفها السلف ولا العرب عموما، وإنما جاءت من الغرب عبر المغتربين وعبر القنوات الفضائية والتجار، فلا تتشبهوا بالكفار اعتزوا بدينكم.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله» . رواه الحاكم عن طارق بن شهاب.

وصدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد صار المسلمون أذلة – إلا من رحم الله– لأنهم صاروا يتابعون الموضات الغربية والعادات والتقاليد العصرية المخالفة للسُّنَّة،

والأنظمة والقوانين الوضعية.

فيا أمة الإسلام لقد غزانا اليهود والنصارى إلى قعر دورنا وإلى داخل بيوتنا، وبثوا أفكارهم وعاداتهم إليناعبر القنوات الفضائية وهم في منازلهم، وهذا هو الغزو الفكري الذي هو أعظم من الغزو بالدبابة والمدفع.

ومما يؤسف أن بعض شباب المسلمين يعتبرهذا تطورًا، وأن مخالفة ذلك يعتبر تخلفًا، فلا بارك الله بالتطور إذا كان يخالف الدين، ويغضب رب العالمين، ويحارب سُنَّة نبيه الكريم، وفيه تشبه بالكافرين.

فقد جاء نفر من الصحابة رضوان الله عليهم يخبرون رسول الله ﷺ أن اليهود يتسرولون ولا يتزرون فأمرهم بمخالفتهم فقال: « **تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**» . والحديث رواه أبو داود عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والسروال هو ما يلبس تحت القميص أو الإزار، أما البنطال فإنه لا يصلح لبسه مطلقًا.

ومن المخالفات التي تحصل في أيام العيد: التبرج والسفور من بعض النساء، والاختلاط بين الرجال والنساء الأجنبيات، ومصافحتهن بحجة المعاودة أيام العيد، وهذا لا يجوز فقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

هذا في حق أمهات المؤمنين فغيرهن من باب أولى.

وقد جاء الوعيد الشديد والتهديد الأكيد في حق من يصافح امرأة أجنبية ليست محرمًا له.

فقد روى الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مَعْقِل بْنُ يَسَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَه**» .

ولا يجوز الخلوة أو السفر مع امرأة بدون محرم؛ فإن هذا ذريعة إلى الوقوع في المخالفات والمحرمات، والشيطان حريص على إفساد الناس وله خطوات ومداخل خبيثة.

فقد روى الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: « **أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَان** » .

ويدخل في ذلك الحمو ، وهو قريب الزوج:أخوه أو ابن خاله، أو ابن عمه ونحوهم، فإن النبي ﷺ قد خصه بالذكر وشدد بالتحذير منه لتساهل الناس في هذا الجانب وهو أقرب إلى المخالفة وأخطر من الأجنبي لأن الناس يتساهلون بخلطة الرجل بزوجة أخيه أو ببنت عمه أو بنت خاله، فيختلي بها بلا نكير، فيكون الشر منه أكثر والفتنة منه أمكن، واسمع ماذا قال نبيك ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إذ يقول: « **الحَمْوُ المَوْتُ** »، فلسنا نحن الذين فرقنا بينهم إنه الله ورسوله ﷺ اللذان فرقا بينهم لمصلحة الناس ﴿ **قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ** ﴾[البقرة:١٤٠] .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: « **الحَمْوُ المَوْت** » .

ومعنى « **الحَمْوُ المَوْت** » : أي: لقاؤه الهلاك وربما يحصل بسببه الموت أو الرجم أو الطلاق أو الفراق أو نحو ذلك، وكل ذلك بسبب الاختلاط والخلوة ولكن بعض الناس لا يعتبر إلا إذا وقع الفأس على الرأس، والله المستعان.

ففي هذا الحديث التحذير من اختلاط المرأه بالحمو أو الخلو به، أو اختلاط الرجل ببنت عمه أو بنت خاله أو زوجة أخيه أو الخلوة بها.

ومن المخالفات التي تحصل في الزينة :صبغ الشعر بالسواد فقد نهى النبي

-ﷺ- عن ذلك.

فقد روى أبو داود عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**يكونُ قَوْمٌ يخضِبُونَ في آخِرِ الزَّمانِ بالسَّواد كحَواصِلِ الحَمَام، لا يَرِيحُون رائِحةَ الجنَّة**».

فتغيير الشيب بالسواد لا يجوز، بل هو كبيرة من الكبائر لما يترتب عليه من الوعيد، وهو أن فاعلها لا يرح رائحة الجنة.

ولا بأس بتغير الشيب بالحناء والكتم، وأما تغييره بالسواد ففيه تشبه باليهود، وقد روى النسائي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ** » وفي رواية: « **وَلَا تُقَرِّبُوهُ السَّوَادَ**» . رواه احمد عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومن المخالفات التي تحصل من بعض شباب المسلمين التشبه بالكفار في الحلاقة فصاروا يتابعون القصات الغربية.

ففي الصحيحين عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- نَهَى عَن الْقَزَعِ. قَالَ قُلْتُ لِنَافِعٍ وَمَا الْقَزَعُ قَالَ: « **يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ**» .

وفي رواية عند أبي داود: « **يُتْرَكَ لَهُ ذُؤَابَةٌ**» .

وهذا هو الحاصل عند كثير من الحلاقين إلا ما رحم ربي. وهو عين ما نشاهده هذه الأيام، فصار بعض الشباب هداهم الله يحلق شعر رأسه حلاقة مزرية يخجل الناظر أن ينظر إليه والله المستعان .

ومن المخالفات في اللباس: لباس الشهرة وهو أن يلبس العبد لباسًا يشتهر به على الناس إما بنوعه أو بثمنه أو غير ذلك، ويقصد بذلك الكبر والفخر والخيلاء على غيره.

فقد روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ القيامة ثم ألهب فيه نارًا** » .

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى لباس الشهرة: أي :يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان الثياب فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر.اهـ.

فإن الواجب على العبد أن يتواضع للخلق في لباسه ومشيته وكلامه، فإن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يحب المتواضعين ويكره المتكبرين والفخورين على غيرهم، وربما عاجلهم بالعقوبة الدنيوية قبل الأخروية.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةَ** » .

«والجمة» : هي شعر الرأس ما سقط على المنكبين. «**وَبُرْدَاهُ**»:أي ثوباه.

ومن المخالفات في مثل هذا اليوم استماع الأغاني بحجة التسلية والفرح ، وقد حرم الله الأغاني في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، فلا يجوز التسلية بالمحرمات في أيام الأعياد ولا في غيرها من الأيام، بل المشروع هو الإكثار من الذكر أيام الأعياد؛ لأنها عبادة ونعمة عظيمة، وشعائر دينية، فلا تقابل هذه النعم بالمعاصي فينزل الله عقوبته العاجلة على عباده فتأخذ الصالح والطالح بسبب هذه الأغاني و المعازف وغيرها.

فقد روى الترمذي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: **إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُور**» .

ومعنى : «الخَسْفُ» :هو أن تبتلعهم الأرض، «وَالقَذْفُ» :هو أن تنزل عليهم حجارة من السماء، «وَالمَسْخُ»: هو أن تتحول صورهم إلى أشكال أخرى، وربما تمسخ قلوبهم. «و القَيْانَ أو القَيْنَاتُ » :قال الحافظ: هي المغنيات .

ومن المخالفات التي تحصل في مثل هذا اليوم تصوير ذوات الأرواح، وربما صوروا النساء أو البنات بكامل زينتهن، وربما انتشرت صورهن بين الرجال، وقد جاء النهي والوعيد الشديد في تصوير ذوات الأرواح.

منها: ما رواه البخاري ومسلم ، عن عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**».

ومنها:مارواه البخاري ومسلم أن رَجُلاً جاء إِلَى ابْنِ عَبَّاس فَقَالَ إِنِّى رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِه الصُّوَرَ فَأَفْتنى فِيهَا. فَقَالَ لَهُ ادْنُ منِّى. فَدَنَا منْهُ ثُمَّ قَالَ:ادْنُ منِّى، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسه قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِما سَمعْتُ منْ رَسُول اللَّه -ﷺ- سَمعْتُ رَسُول الله -ﷺ- يَقُولُ : « **كُلُّ مُصَوِّر فِى النَّار يُجْعَلُ لَهُ بكُلِّ صُورَة صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِى جَهَنَّمَ** » . وَقَالَ إِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لاَ نَفْسَ لَهُ.

والأدلة في تحريم تصوير ذوات الأرواح كثيرة جدًا ، ولا بأس من تصوير الجمادات و المناظر الطبيعية كالأشجار والأنهار والجبال ، وما لا روح فيه كما تقدم من كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، ويسر عسر المعسرين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضى المسلمين، واغفر لنا ولجميع المسلمين،الأحياء منهم والميتين ،وانصر الإسلام والمسلمين ، وتقبل منا صالح الأعمال،واجعلنا من المقبولين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٤

أحوال المسلم بعد رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله..

كان المسلمون في شهر رمضان المبارك يتمتعون بأنواعٍ من العبادات، من

(١) تخطب هذه الخطبة بعد عيد الفطر في أوائل شهرشوال .

صيام وصدقة وتلاوة للقرآن الكريم وغير ذلك، فالمطلوب هو الثبات على ذلك الخير، فيجب على المسلم أن يثبت على عبادة ربه وأن يكثر من طاعته في كل زمان ومكان، لأن بعض الناس لا يعبد الله تعالى إلا في رمضان فإذا خرج رمضان نكص على عقبيه، وترك الصلاة والصدقة وتلاوة القرآن الكريم، وهذه علامة الخذلان وطريق الحرمان وعنوان الخسران.

فداوم على طاعة ربك يا أيها المسلم، فإن الاستمرار على الطاعات والمداومة عليها علامة على قبولها، وترك العبادات واستبدالها بالمعاصي علامة على ردها، كما سيأتي بيان ذلك وذكر الأدلة عليه.

فإن من العلامات على قبول الطاعات في شهر رمضان هو الاستمرار والثبات عليها بعد رمضان قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم:٢٧].

فمن علامات الإيمان: هوالثبات على توحيد الله والعمل الصالح في الدنيا وعند الموت وعند القبر وعلى الصراط يوم القيامة.

ومن علامات الهداية: هوالاستمرار على الهدى والثبات عليه قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[مريم:٧٦].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذين قصدوا الهداية وفقهم لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها. اهـ .

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي بسبب اهتدائهم إلى الإيمان زادهم الله من الهدى الذي هو العلم والعمل الصالح. اهـ

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالثبات على التقوى والاستمرار عليه والتزود منه وهو أمر له ولأمته عليه الصلاة والسلام، وهو أتقى الخلق وأخشاهم لله.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١] : أي دم على تقواه. اهـ

وقال المفسر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : دم على ذلك وازدد منه. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإنه تعالى إذ يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى. اهـ

بل قد أمر الله نبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين بالمداومة على التقوى والعبادة حتى الموت فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى المات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة. اهـ .

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] : أي الموت ، وَيُسْتَدَلُّ مِنْ هَذه الآيَة الْكَرِيمَة عَلَى أَنَّ الْعبَادَةَ كَالصَّلَاة وَنَحْوهَا وَاجبَةٌ عَلَى الْإنْسَان مَا دَامَ عَقْلُهُ ثَابتًا فَيُصَلِّي بحَسَب حَاله، وَيُسْتَدَلُّ بهَا عَلَى تَخْطئَة مَنْ ذَهَبَ منَ الملَاحدَة إلَى أَنَّ الْمرَادَ باليَقين الْمعْرفَةُ، فَمَتَى وَصَلَ أَحَدُهُمْ إلَى المعْرفَة سَقَطَ عَنْهُ التَّكْليفُ عنْدَهُمْ. وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ وَجَهْلٌ، فَإنَّ الْأَنْبيَاءَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَانُوا هُمْ وَأَصْحَابُهُمْ أَعْلَمَ النَّاس بالله وَأَعْرَفَهُمْ بحُقُوقه وَصفَاته، وَمَا يَسْتَحقُّ منَ التَّعْظيم، وَكَانُوا مَعَ هَذَا أَعْبَدَ النَّاس وَأَكْثَرَ النَّاس عبَادَةً وَمُوَاظَبَةً عَلَى فعْل الْخَيْرَات إلَى حين الْوَفَاة. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليماً كثيرًا. اهـ.

ولقد كان من وصايا النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : « **اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» . رواه الترمذي .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي في أي زمان أو مكان كنت فيه، رآك الناس أم لا، فإن الله مطلع عليك. اهـ.

فالمسلم يلازم تقوى الله تعالى ويستمر على طاعته في ليله ونهاره وفي سره وجهاره في خلوته وجلوته وفي إقامته وأسفاره في رمضان وفي شوال وفي شعبان وسائر الشهور ولأنه لا يدري متى سينزل به الموت، ولأن المعبود هو واحد في شهر رمضان وفي غيره من الشهور فحياة العبد كلها لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

« « **اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا** » :

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية فما أحسن الحسنة بعد السيئة تتلوها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى المات وتعوذوا بالله من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور. اهـ بتصرف.

وقال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات. اهـ ومعنى أخوات:أي: من الحسنات أو السيئات.

فالواجب على العباد المداومة على العبادات حتى المات فإن الله يحب من العبد أن يداوم على الأعمال الصالحة، وأحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها وإن قلت.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَحَبُّ الْأَعْمَالَ إِلَى الله تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ** » وَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ الله عَنْهَا- إِذَا عَملَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ.

وفي رواية عند مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « **كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً**» .

ومعنى أثبته :أي جعله ثابتا مداومًا عليه غير متروك، فكان عليه الصلاة والسلام يداوم على قيام الليل في رمضان وفي غيره وكان إذا فاته القيام من الليل من عذر ونحوه قضاه من النهار ثنتي عشرة ركعة، بخلاف الذي لا يقوم الليل إلا في رمضان بل بعض الناس يظن أنه لم يشرع القيام إلا في شهر رمضان وهذا من الجهل العظيم.

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « **مَا كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً**» .

وكان من مداومته ﷺ على العمل الصالح أنه كان يعتكف كل سُنَّة في رمضان منذ دخل المدينة فخرج من المعتكف إحدى السنوات لما رأى معتكفات أزواجه قد كثرت في المسجد فخرج منه ثم قضاه بعد رمضان فاعتكف في شوال.

والحديث في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

أيها الناس..

إذا كان شهر رمضان قد ذهب لكن العبادات والتكاليف باقية لم تذهب فهناك صيام مشروع غير صيام رمضان

* منه صيام الاثنين والخميس فإنه مستحب، فقد كان النبي ﷺ يصومهما لأنهما ترفع فيهما الأعمال فكان ﷺ يحب أن يرفع عمله وهو صائم كما ثبت ذلك عند الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* ومنه صيام الثلاثة البيض يستحب صيامها، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، فصيامها يذهب وحر الصدر أي: حقده وغيظه. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ عند النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وصيامها كصيام الشهر كله لأن الحسنة بعشر أمثالها.

* ويستحب صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وهو العاشر من محرم كما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عرفة فَقَال: « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والبَاقِيَةَ**»، وسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاَءَ؟ فَقَالَ: « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ** » .

ويستحب الإكثار من الصيام في شهر الله المحرم لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**» .

ويستحب الإكثار من الصيام في شهر شعبان ، ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « **كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ** » .

ويستحب صيام ست من شوال، لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ** » .

وهذه الست تكون ضمن شهر شوال، في أوله أو وسطه أو آخره، وتكون متتابعة أو متفرقة، كل ذلك مجزئ، وهي مستحبة ولا تجب بمجرد الشروع فيها كما يعتقده بعض الناس، فمن صامها عامًا ولم يصمها العام الآخر فلا حرج عليه ولا يلحقه عقاب.

وصيام رمضان مع صيام الست من شوال كصيام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر والست من شوال بستين يومًا أي بشهرين فيكون مجموع ذلك: اثني عشر شهرًا أي: سَنَة . فمن داوم عليها كل سَنَة كان كمن صام عمره كله.

أيها الناس..

إذا كان شهر رمضان قد ذهب فإن الصلاة باقية في كل شهر وهي آكد من الصيام وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي العهد بين المسلم والكافر فمن تركها فقد كفر وهي أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة فإن صلحت، صلحت سائر الأعمال وإن فسدت فسدت سائر الأعمال.

فما بال أناس يتركون الصلاة بخروج رمضان ؟أين تلك الجموع التي كانت تملأ المساجد في شهر رمضان ؟لا سيما في صلاتي الفجر والعصر، ماذا حصل لهم؟ أليس المعبود في رمضان هو المعبود في شوال؟

أين المداومة على الصلوات؟فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ امتدح المداومين عليها فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج : ٢٣] وتوعدالمتهاونين بها فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون :٤:٥]، فيا عباد الله كونوا ربانيين ولا تكونوا رمضانيين.

فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ذهب! ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحسن: أي: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات. أي: الدنيا.

وقال في قوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾: أي خسارًا يوم القيامة. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾: أي عذابا مضاعفا شديدا. اهـ.

وما بال أناس لا يقرؤون القرآن الكريم إلا في شهر رمضان، فإن هذا من هجر القرآن الكريم لحيث أنهم لا يقرؤونه إلا في رمضان، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان:٣٠].

فمِن هجرالقرآن عدم قراءته، وعدم تدبره وعدم العمل به، وعدم تعلمه وحفظه، وعدم التحاكم إليه ونحو ذلك، كل هذا من هجر القرآن الكريم.

فإن من أول ما يسأل عليه العبد في قبره لهو القرآن الكريم، فيقال له: «من ربك من نبيك وما علمك أو ما عملك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله وديني الإسلام وعلمي القرآن قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت... وأما الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري. والحديث عند الإمام أحمد عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فيا عباد الله: الثبات الثبات على عبادة الله تعالى من صلاة وصيام وقيام وصدقة وتلاوة للقرآن وغيرذلك من العبادات.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم حتى المات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن المداومة على عبادة الله والاستمرار عليها علامة على قبولها وعلامة على توفيق العبد وعلامة على محبة الله للعبد وتسديده.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** » .

الشاهد من الحديث: قوله تعالى في الحديث القدسي: « **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» : ففيه المداومة والاستمرار على النوافل من قوله: «**وَمَا يَزَالُ** » وأن ذلك من أسباب محبة الله لعبده وتوفيقه وتسديده وعصمته وحفظه بجوارحه .

ولنا في هذا الحديث وقفات:

الوقفة الأولى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدافع عن أوليائه المتقين وعباده الصالحين، فينصرهم ويخذل أعداءهم فيهلكهم، لأنه لا ناصر لمن حاربه الله،

ومن هذا الذي يتصدى لحرب الله عَزَّوَجَلَّ ؟! ، فمن عادى أولياء الله فقد اختار لنفسه الهلاك والخسارة .

وأولياء الله هم المتقون كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

الوقفة الثانية: أن أمر الفرائض أعظم شأنًا من النوافل وأحب إلى الله، وأن الله لا يقبل النوافل إلا مع الفرائض، وأن النوافل تجبر الفرائض إن حصل فيها نقص أو قصور. فهذا يستفاد من قوله تعالى: « **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**» .

قال ابن بطال: وفيه أن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وأداها.اهـ .

الوقفة الثالثة: أن المداومة على النوافل من أسباب محبة الله للعبد وأن الله إذا أحب عبدا أحبه من في السماء والأرض، لما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ** » .

الوقفة الرابعة: أن في هذين الحديثين إثبات المحبة لله تعالى بما يليق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]. فإنه تعالى يُحِبُ ويُحَبُ.

الوقفة الخامسة: أن الله إذا أحب عبدا فإن علامة ذلك أن يوفقه للخير ويعصمه من الشر ويسدده في عمله فلا يبصر ولا يسمع إلا ما يرضي الله ولا

يمشي إلا إلى خير ولا يعمل إلا خيرًا، وذلك بسبب مداومته على النوافل بعد الفرائض، و يؤخذ هذا من قوله تعالى: « **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**». الحديث .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الحديث: يعني أن الله يسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله. وبصره: يسدده في بصره فلا يبصر إلا ما يحب الله. ويده التي يبطش بها: فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله. ورجله التي يمشي بها: فلا يمشي برجله إلا لما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فيكون مسددا في أقواله وفي أفعاله.اهـ.

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يعني يجعل الله سلطان حبه غالبًا حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونًا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصرة الله وتأييده وإعانته له في كل أموره وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه. اهـ

الوقفة السادسة: أن المداومة على النوافل والمحافظة عليها من أسباب إجابة الدعاء لقوله تعالى: « **وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّه**» .

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: (فَأَكُونَ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ يُبْصرُ بِهِمَا، وَأُذُنَيِهِ اللَّتَيْنِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَيَدَيْهِ اللَّتَيْنِ يَبْطِشُ بِهِمَا، وَرِجْلَيْهِ اللَّتَيْنِ يَمْشِي بِهِمَا) .

قال: وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا فى الله ولله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُردّ له دعوة. اهـ .

فيا أيها المسلم اثبت على الخير الذي كنت عليه في شهر رمضان لعل الله أن يتقبل صيامك وصالح أعمالك ويثبتك على دينك حتى مماتك، فإن الثبات على الأعمال الصالحة والمداومة عليها من أسباب قبولها، ومن أسباب حسن

الخاتمة، وقد قال النبي ﷺ: « إنما الأعمال بالخواتيم» . راه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا على طاعته حتى نلقاه ، وأن يجنبنا كل ما يسخطه ويأباه ، وأن يعيننا على عبادته حتى الممات ، وأن يختم لنا بالحسنى بمنه وكرمه ، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٥

فريضة الحج فضائل وأحكام (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أعاذنا الله وإياكم من البدع والمحدثات والنار.

---

(١) تخطب في أواخر شهر ذي القعدة أو أول شهر ذي الحجة ولابأس أن تخطب في أيام التسجيل للحج إن رأى الخطيب ذلك

أيها الناس..

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٤] .

روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » .

فهذا الحديث العظيم يبين أركان الإسلام ودعائمه العظام فلا يتم إسلام عبد إلا بالإقرار بها والعمل بأحكامها، فأولها الشهادتان وآخرها حج بيت الله الحرام.

وحديثنا اليوم عن فريضة الحج التي تساهل بها كثير من المسلمين مع القدرة والاستطاعة على الحج إلا من رحم الله.

أيها الناس : إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ببناء البيت الحرام وأمره أن ينادي في الناس ويدعوهم لحج بيته الحرام ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج:٢٧] .

أي: يأتونه مشاة وراكبين من كل مكان ومن كل بلد بعيد، ففعل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعا الناس، ثم ابنه محمد ﷺ دعا الناس لحج البيت الحرام فأتوه من مشارق الأرض ومغاربها ومن كل فج عميق.

وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أشهر الحج التي هي أفضل الشهور وهي من الأشهر الحرم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦] .

فجعل الله لها حرمة أكثر من غيرها وأن العصيان فيها أشد من غيرها وهي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة وخص منها شهرين وعشرة أيام للحج، وهي شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة:١٩٧] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة. اهـ

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهذا هو عند جمهور العلماء.

فمن أحرم بالحج في هذه الأشهر وجب عليه أن يتقيد بآداب الإحرام وأن يجتنب المخالفات والمعاصي وأن يتجنب محضورات الإحرام كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة:١٩٧] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصًا الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصًا عند النساء بحضرتهن. والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبرورا، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة. اهـ

والحج والعمرة واجبان على كل مسلم عاقل بالغ قادر لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٦]وقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران:٩٧] .

وسواء كان الحاج شابًا أو شائبًا رجلاً أو امرأة ولا يخص بالرجل الكبير في السن كما يفهمه البعض، بل يجزئ الحج عن العبد بمجرد بلوغه، فمن حج البيت بعد البلوغ فقد أدى حجة الإسلام وبرئت ذمته، ومن حج قبل البلوغ فهي نافلة في حقه ويلزمه أن يحج حجة أخرى بعد البلوغ.

فهاتان الآيتان فيهما وجوب الحج والعمرة للأمر بهما إلا أن الوجوب مقيد بالاستطاعة وهذا من تيسير الله لهذه الأمة وسماحة هذا الدين الحنيف.

والاستطاعة هي الزاد والراحلة وأمن الطريق وأن يكون عنده ما يكفيه ويكفي من يعوله إلى أن يرجع، وأن يكون المال زائدا على ديونه، ولا يلزمه أن يستدين أموالا من أجل الحج، فإن فعل ذلك وحج فلا بأس، فإن كان عاجزا أو زمِنًا وعنده مال ولكنه لا يستطيع بنفسه جاز له أن يستنيب رجلا آخر يحج عنه ولو في حال حياته، لما روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: إن امرأة قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الاستطاعة: وَالاسْتِطَاعَةُ نوعان:

أحدهما: أن يكون قادرا مُسْتَطِيعًا بِنَفْسِهِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مُسْتَطِيعًا بِغَيْرِهِ.

أَمَّا الاسْتِطَاعَةُ بِنَفْسِهِ، فأن يَكُونَ قَادِرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الذِّهَابِ بنفسه وَوَجَدَ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ. لحديث عَبْد الله بن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالَ: مَا الْحَاجُّ؟ قَالَ: « **الشَّعثُ التَّفلُ** » ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « **الْعَجُّ وَالثَّجُّ** » ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا السَّبِيلُ؟ قَالَ: « **زَادٌ وَرَاحِلَةٌ**» . رواه ابن ماجه.

(ومعنى **الشَّعِثُ**: أي ا لمتذلل لله. و**التَّفِلُ**: الذي لا يمس .طيبًا ولا يقرب

امرأة. و**الْعَجُّ**: رفع الصوت بالتلبية. **وَالثَّجُّ**: إراقة الدماء في الحج).

والزاد أن يكفيه للذهاب والرجوع، ويزيد عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم، وزائد عن ديونه، ووجد رفقة يسير معهم مع أمن الطريق، وإلا فلا يلزمه.

وأما الاستطاعة بغيره بأن يكون عاجزًا بنفسه بأن كان زمنًا أوبه مرض مزمن وله مال يستنيب حاجًا يحج عنه. انتهى من كلامه ملخصًا.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

قال ابن كثير والبغوي والسعدي: أي: من جحد فريضة الحج فهو كافر بالله رب العالمين. اهـ

* ومن فضائل الحج أنه من أفضل الأعمال ومن أسباب دخول الجنة، فقد روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ: « **إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقٌ بِكِتَابِهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، وحِجٌّ مَبْرُورٌ** » الحديث.

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: « **العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّة** ».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا رفث ولا فسوق ويكون بمال حلال. اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحج المبرور هو المقبول ومن علامة القبول أن يرجع خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي. اهـ

ومن فضائل الحج والعمرة أنهما يمحوان الذنوب وينفيان الفقر. فقد روى

الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الجَنَّةُ» .

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : قال الطيبي: فيه إشارة إلى أن الغنى الأعظم هو الغنى بطاعة الله ولا عطاء أعظم من مباهاة الله بالحاج الملائكة. اهـ

والذنوب التي يكفرها الحج والعمرة هي الصغائر.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : والمكفَّر من الذنوب هو الصغائر لكن هذه الطاعات ربما أثرت في القلب فأورثت توبة تكفر كل خطيئة. اهـ

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ» : وجوب العمرة، وهي في العمر مرة وما زاد فهو مستحب.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا ونظمها في سلك واحد ليفيد وجوب العمرة كالحج. اهـ

فهنيئا لمن وفقه الله لزيارة بيته الحرام ، وشاهد تلك المشاعر العظام فحج وطاف ، وصلى خلف المقام ، ووقف ونسك وسعى في ذلك الزحام، وهنيئًا لمن تقبل الله منه ، ورجع مطهرًا من الذنوب والآثام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه**» .

أي: يرجع مبرأً من الذنوب قد محيت بسبب ذلك الحج، فإن الحج يمحو ما قبله من الذنوب ويهدمها.

فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَيْتُ

النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: « **مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟** » قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: « **تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟** » قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: « **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟** » الحديث.

ومن فضائل الحج أنه أفضل الجهاد، لما روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: « لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ» .

وروى الطبراني عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: إِنِّي جَبَانٌ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ، فَقَالَ: « **هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ: الْحَجِّ**» .

والحج هو جهاد النساء فقد روى ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟، قَالَ: « نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ» .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الحج جهاد للشياطين، أو المراد أن ثواب الحج يعدل ثواب الغزو مع أن ذاك فيه مشقة وهذا لا مشقة فيه. اهـ

ويدخل في ذلك أن العمل الصالح في أيام عشر ذي الحجة أفضل من الجهاد في سبيل الله وأكثر مناسك الحج داخلة في العشر من ذي الحجة فقد روى البخاري وأبو داود واللفظ له عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ** ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ **قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**» .

ألا وإن من أحب الأعمال إلى الله لهي مناسك الحج ، وهي في هذه الأيام المباركة أفضل من الجهاد في سبيل الله ، بما فيها يوم التروية ، ويوم عرفة ، ويوم النحر.

نسأل الله أن يوفقنا لزيارة بيته الحرام ، ومزاولة تلك المناسك العظام ، بمنه وكرمه ، ذي الجلال والإكرام.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الداعي إلى رضوانه ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فإن الحج يجب على كل من استطاع إليه، ويجب المبادرة إليه فورًا، فإن الأمر يقتضي الوجوب والفورية، فمن توانى وتساهل فإنه يخشى عليه من الإثم، ومن مات ولم يحج وكان قادرا على الحج فإنه مات عاصيا، وهو آثم في تقصيره في فريضة من فرائض الإسلام وتركه لواجب من الواجبات، لكن لا مانع من الحج عنه بعد موته من قِبل أوليائه.

ويجب على من لم يحج أن يوصي أولياءه بأن يحجوا عنه بعد موته من ماله وتركته، فإلم يكن له مال ولا تركة لم يترك شيئًا لفقره ، فيستحب لأقاربه أن يحجوا عنه.

ومما يؤسف ويندى له الجبين أنه يوجد الكثير من المسلمين لهم القدرة على الحج وعندهم الأموال المكدسة والمخزونة فلم يحجوا، وربما بعضهم اشترى عقارًا أو بيتًا أو مركبًا أو متجرًا لا حاجة له فيه ، أو ربما سافر إلى بلد آخر للنزهة أو للتجارة أو نحو ذلك ، وهو في غنى عن ذلك، وأما الحج فلا يبالي به ولا يلتفت إليه، وربما سافر إلى بلاد الكفار ومات في تلك البلاد، وربما كان سفر معصية ، وختم له بها والعياذ بالله، فيبعث على تلك المعصية، وقد روى

الإمام أحمد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: « **مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ** » .

فمن مات وهو يعصي الله بعثه الله على تلك المعصية أمام الأشهاد ومن مات على طاعة بعثه الله على تلك الطاعة، فمن مات ساجدًا بُعث ساجدًا، ومن مات صائمًا بُعث صائمًا ومن مات حاجا بُعث ملبيًا، فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُما، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَته، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا** » .

فهنيئًا لمن مات في بيت الله الحرام وهو يؤدي تلك الشعائر العظام، فمن مات في حجه يبعث وهو يلبي: « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ** » .

ومن مات وهو يغني بعث وهو يغني، والعياذ بالله.

فمن علامات حسن الخاتمة أن يموت العبد وهو يؤدي مناسك الحج، ومن مات في طريقه إلى الحج كتب له أجر الحاج وهذا من فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** » .

فقد روى أبو يعلى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِر إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » .

فبادر يا أيها المسلم لأداء فريضة الحج ، فإنها لا تبرأ ذمتك إلا بذلك، وبادر قبل أن تشغل بشيء أو تقعد بمرض أو غير ذلك ، فقد جاء في مسند أحمد عَنِ

ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ، أَوْ أَحَدهمَا عَنِ الْآخَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ المرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ** » .

اللهم بلغنا حج بيتك الحرام ،وامحُ عنا الزلات والآثام، اللهم لا تمتنا إلا بعد قضاء تلك المناسك العظام ،يا ذا الجلال والإكرام، اللهم توفنا على الإسلام، واجعلنا من أهل دار السلام ، وفي زمرة محمد عليه الصلاة والسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله العزيز العلام.

١٦
فضل عشر ذي الحجة (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله..

يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ ﴾[القصص:٦٨].

(١) تلقى هذه الخطبة في أول العشر أو قبل دخول العشر بيوم أو يومين.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من الأمر والاختيار شيء. اهـ

وإن مما اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأزمان وفضله على غيره لهي أيام عشر ذي الحجة ، فهي أيام مباركة والأجور فيها مضاعفة ، والأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله .

فلعظمتها أقسم الله بها في كتاب الكريم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ٣ ﴾[الفجر:١-٣] .

قال المفسر ابن كثير والمفسر البغوي وغيرهما: الليالي العشر هي عشر من ذي الحجة.اهـ

﴿ وَٱلْفَجْرِ ١ ﴾: قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : قال مسروق ومجاهد ومحمد بن كعب: هو فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر. اهـ

وقال بعضهم: هو فجر يوم عرفة.

الشاهد من هذا أن هذه الأيام هي أفضل أيام السَنَة إطلاقا ، فقد روى البزار عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ** » يعني عشر ذي الحجة. الحديث .

وهي الأيام المعلومات التي خصها الله بالذكر فقال: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[الحج:٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، عن ابن عباس: هي أيام العشر. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. اهـ

فمن فضلها أن الله شرع مناسك الحج فيها وفيها أفضل أيام السَنَة وهو يوم النحر ويوم عرفة.

فقد ثبت عند ابن حبان عن عبد الله بن قُرْط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ**» .

وأما يوم عرفة فقد ثبتت أحاديث كثيرة في فضله، سيأتي ذكرها في خطبة مستقلة إن شاء الله تعالى.

ومن فضائل العشر أنها في أحد الأشهر الحرم التي عظمها الله وخصها في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن . اهـ

فمن فضائلها وهو مقصودنا في خطبتنا هذه أن العمل الصالح فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، فقد البخاري وأبو داود واللفظ لأبي داود عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ** ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ **قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**» .

ففي هذا الحديث بيان أن الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغيرها أفضل من الجهاد في سبيل الله، ويستثنى ما جاء في الحديث : « **إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ** » ، أي أنه

أنفق ماله في سبيل الله وقتل في سبيل الله فيكون هذا أفضل.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره. اهـ

وخصت بنحر الهدي والأضاحي وهي عبادة عظيمة قرنها الله بالصلاة كما في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر : ٢].

وفيها يوم التروية ويوم عرفة ويوم العيد، وخصت بالتكبير والتهليل والذكر في سائر الأوقات وبأصوات مرتفعة وجعل الله الأعمال فيها مشتركة بين الحجاج وغيرهم ممن لم يستطع الحج وذلك من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جميع خلقه، لاسيما أن الله جعل حنينًا واشتياقًا عند كل مسلم لزيارة بيته الحرام وأداء تلك المناسك العظيمة، فلما لم يمكن في مقدور جميع الناس من ذلك، شرع لهم أعمالًا صالحة يشاركون فيها الحجيج في أيام العشر.

منها: أنهم يكبرون ويُهللون ويرفعون أصواتهم فيها.

ومنها: أنهم يشاركون الحجيج في النحر والذبح ، فيضحون ويمسكون عن قص أظافرهم وشعورهم أيام العشر حتى يضحوا.

ومنها: أنهم يشاركون أهل عرفة بصيام يوم عرفة وقد جعل الله صيام ذلك اليوم يكفر ذنوب سنتين، لكن أهل عرفة بعرفة لا يصومونه فإن الأفضل في حقهم أن يفطروا كما فعل النبي ﷺ، ويكفيهم من الفضل وقوفهم في ذلك المشهد العظيم.

وغير ذلك من الفضائل المشتركة بين الحجيج وغيرهم في أيام العشر المباركات. فما أحكم الله وما أكرمه ، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فقد كان سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجتهد في هذه العشر اجتهادًا حتى لا يكاد يقدر عليه، لكن حال كثير من الناس اليوم يجتهدون هذه الأيام في الدنيا

اجتهادا لا يكادون يقدرون عليه وذلك أن الله ابتلى الناس بمواسم العيد فصار أكثر انشغال الناس بالتجارات في هذه الأيام توفيرا لمتطلبات العيد إلا من رحم الله.

وهكذا في العشر الأواخر من رمضان فإن الناس يستعدون لمتطلبات عيد الفطر فينشغلون عن العبادات، ولم يجتهدوا في العشر ولا في ليالي العشر إلا من ثبته الله ووفقه وآثر الباقي على الفاني، فالمطلوب هو المقاربة والسداد والجمع بين الأمرين وأن يخفف المسلم من أعمال الدنيا ويجتهد في أعمال الآخرة في هذه الأيام والليالي المباركات.

« قَارِبُوا وسَدِّدُوا، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا» .

فيا أيها الناس اغتنموا هذه الأيام بطاعة الله واجتنبوا ما نهى الله عنه، ما هي إلا أيام قليلة، عشرة أيام في السَنَة، والسَنَة ثلاثمائة وستون يومًا جعل الله منها مواسم مباركة، الأجور فيها مضاعفة، وتنزل فيها الرحمات، ولله فيها نفحات، وترفع فيها الدرجات، وتكفر فيها الذنوب والسيئات، لا يحرم خيرها إلا محروم فلا تلهينكم الدنيا بزخارفها فإنها زائلة، وما عند الله باق.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٥]

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون:٩] .

فسابق أيها المسلم فإنك في ميدان السباق، وزارع فإنك في أرض المزارعة، وعما قريب ستنتقل إلى دار الحصاد، واعمل فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، فأنت مسافر إلى الله، وعما قريب ستنتقل إلى دار الإقامة فانتقل بخير ما بحضرتك.

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

فباب الخير واسع والأعمال الصالحة كثيرة فلا تقتصر على عمل واحد فأكثر من الأعمال الصالحة فإنك لا تدري ما هو العمل الذي يكون خالصًا لله وإنك لا تدري ما هو العمل الذي يكون مقبولا عند الله وإنك لا تدري ماهو العمل الذي يدخلك الله به الجنة وما هو العمل الذي ينجيك من عذاب الله.

فإن مما ننبه عليه أن كثيرًا من الناس قد حصروا العمل الصالح في هذه الأيام بالصيام فقط وأهملوا بقية الأعمال من صدقة وذكر وقراءة للقرآن وزيارة للأرحام وإحسان إلى الخلق، ولا شك أن الصيام عمل صالح يدخل تحت الحديث، لكن ينبغي الإكثار من الأعمال الصالحة في هذه الأيام .

فحافظوا على النوافل والأذكار، وحافظوا على سُنَّة الفجر فإنها خير مما طلعت عليه الشمس وغيرها من الرواتب، فإن من حافظ عليها بنى الله له بيتا في الجنة، وصلوا الفجر في جماعة تكونوا في ذمة الله، ومن قعد في مصلاه بعد صلاة الفجر وذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان ذلك كحجة وعمرة تامتين، ثم صلوا ما كتب لكم من الضحى ثم انطلقوا إلى عمالكم مكبرين مهللين في طرقكم وأعمالكم كونوا مع الله في جميع أحوالكم يكن الله معكم.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾[النساء : ١٠٣] .

وإذا كنتم في أعمالكم فلا تغفلوا عن ذكر الله كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

ومن أهم ما تحافظون عليه هو الفرائض والواجبات والصلاة مع الجماعات فإنها من أحب الأعمال إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...** » الحديث.

الشاهد من الحديث أن أحب ما يتقرب به العبد إلى الله هو الفرائض.

ومن الأعمال الصالحة في هذه الأيام هو صيام يوم عرفة فإن صيامه أفضل من الجهاد في سبيل الله لأنه عمل صالح في أيام العشر، ويكفر الله به ذنوب سنتين.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ ،فَقَالَ :« **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**».

فصيام هذا اليوم مستحب استحبابا شديدا لمن لم يكن من أهل عرفات أما من كان من أهل عرفات فيستحب له الفطر على الصحيح لفعل النبي ﷺ، ويكفي الواقف بعرفة شرفا وفخرا أنه في ذلك المشهد العظيم الذي يغفر الله فيه لأهل عرفات ويضمن لهم التبعات ويباهي بهم ملائكته وغير ذلك من فضائل يوم عرفة.

نسأل الله أن يوفقنا للأعمال الصالحة ، وأن يجعلها لوجهه الكريم خالصة ، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا مقبولة ، والحمد لله رب العالمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الأولين والآخرين، وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين ، وشفيع رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهو البشير النذير ، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين..

أما بعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة التي هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في هذه الأيام لهو ذكر الله، قال تعالى: ﴿ **فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢] .

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا، عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِق، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » ، قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « **ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ** » .

قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

والأدلة في فضل الذكر كثيرة لا يسع المقام لذكرها، وإنما ننوه بفضله تنويهًا، فذكرُ الله له فضل عظيم عمومًا، وخصوصًا في هذه الأيام، فأكثر يا عبد الله من ذكر الله وشكره على نعمه، وعلى ما رزقك من بهيمة الأنعام، قال تعالى:

﴿ **وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ**

عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

وروى الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ** » قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: « **نَعَمْ** ».

والذي يبشره بالجنة هم الملائكة الكرام.

فيستحب في هذه الأيام رفع الأصوات بالتكبير والتهليل كما يشرع للحاج رفع الصوت بالتلبية، ويكون الذكر في هذه الأيام مطلقًا في سائر الأوقات، ومقيدا بعد الصلوات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، فقد كان أبو هريرة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، والحديث في صحيح البخاري.

وكَانَ عُمَرُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِه بمنى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنى تَكْبِيرًا.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُكَبِّرُ بمنى تِلْكَ الأَيَّامَ وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَعَلَى فِرَاشِهِ وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَمْشَاهُ تِلْكَ الأَيَّامَ جَمِيعًا.

وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ.

وَكُنَّ النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْن عَبْدِ الْعَزِيزَ لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ. والحديث رواه البخاري تعليقا.

وأما النساء فيكبرن بأصوات منخفضة حتى لا يسمعهن الرجال.

وأما صيغ التكبير التي جاءت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهي: الله أكبر الله

أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر وأعز وأجل.

وجاء عن بعض السلف: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

ومن الأعمال الصالحة في هذه الأيام التقرب إلى الله بالأضاحي وتجهيزها وتسمينها، وسيأتي في شأنها خطبة مستقلة إن شاء الله تعالى.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم وفقنا من الأعمال ما ترضى وجنبنا ما تسخطه وتأبى، واختم لنا بالحسنى وارزقنا الإخلاص والتقوى وأرشدنا سبل الهدى واجعلنا من ورثة جنة المأوى والحمد لله العلي الأعلى.

١٧

أحكام ومسائل تتعلق بالأضاحي

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

يقول الله في كتاب الكريم: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنعم علينا نعماً كثيرةً، من هذه النعم أن أحل لنا بهيمة

الأنعام نحرث عليها ونركب على بعضها، فنسافر ونحمل الأحمال عليها ونأكل من سمنها ونشرب من لبنها وفوق هذا أنه أحل لنا ذبحها وإراقة دمائها والأكل من لحمها، فوجب علينا شكر الله عليها بالقلب واللسان والجوارح.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة:١].

وقال تعالى: ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج٢٨:٣٠].

ومع كونها نعمة فهي قربة عظيمة يترتب عليها أجور عظيمة لمن أخلص فيها واحتسب الأجر عند الله، فقد قرنها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالصلاة فقال: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر:١-٢]، فقرن أعظم عبادة مالية وهي النحر بأعظم عبادة بدنية وهي الصلاة.

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والنسك هو الذبح فمن صرف شيئًا منها لغير الله فهو مشرك كافر لما روى مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال قال رسول الله ﷺ: « **لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ** » الحديث.

وشرع الله التقرب إليه بذبح الأضاحي ابتداءً من يوم النحر، فصارت الأضحية سُنَّة وقربة ونعمة، إذ أن الله خلقها تأكل من رزقه وتمشي على أرضه

وتسبح بحمده، ومع هذا أحل الله لنا أن نزهق روحها ونهريق دمها ونأكل لحمها، فكان حقًا علينا أن نشكر الله عليها ونخلص العمل لله فيها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧].

ومن تمام شكرها الإكثار من ذكر الله لا سيما في هذه الأيام أيام عشر ذي الحجة، وكذلك إطعام الفقراء والمساكين منها قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ مَنْ نَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَضَاحِيَّ يُتَصَدَّقُ مِنْهَا بِالنِّصْف بِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾، فَجَزَّأَهَا نِصْفَيْنِ: نِصْفٌ لِلْمُضَحِّي، وَنِصْفٌ لِلْفُقَرَاءِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّهَا تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: ثُلُثٌ لَهُ، وَثُلُثٌ يُهْدِيهِ، وَثُلُثٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ للآية الآتية. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الحج:٣٦].

﴿ وَالْبُدْنَ ﴾ قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هي البقر والإبل.

وقوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ قال البغوي: من أعلام دينه لأنها تُشعر وتُهدى إلى بيته الحرام، فاذكروا اسم الله عليها صواف: أي عند ذبحها وهي قائمات وذلك عند نحرها فإذا وجبت: أي سقطت، والقانع: هو الفقير الذي لا يسأل الناس، والمعتر :الفقير الذي يسأل الناس. اهـ ملخصًا.

ومن فضل الله على الناس أن سخر لهم هذه البهيمة ولم يجعلها متوحشة ولا

مستنفرة، فترى الطفل الصغير يقود الجمل الكبير، فمن الذي ذلـله وسخره؟ إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[يس:٧١].

والأضحية هي من سُنن الأمم الذين قبلنا وسُنَّة أبينا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا تخفى عليكم قصته العجيبة مع ابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ﴾ [الحج:٦٧].

قال المفسر الطبري: أي ذبحًا يذبحونه ودما يهريقونه. اهـ.

وقال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[الصافات:١٠٢-١٠٧].

وذلك أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأى في منامه أن الله أمره بذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورؤيا الأنبياء حق، وتأتي كفلق الصبح وهي وحي من الله، فامتثلا أمر الله وانقاد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهذا الأمر الذي لا يصبر عليه إلا نبي أو ولي، وامتثل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأمر الله، طمعا برضاه وتقديم محاب الله على محاب الولد، ولهذا وصف الله نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه خليله، والخلة :هي أعلى درجات المحبة، فلم يزاحم حب شيء لحب الله تعالى في قلبه، فبينما هو كذلك على وشك الذبح لابنه إذ جاء الفرج بعد أن تم الانقياد من الولد وأبيه لأمر

الله، وفداه الله بكبش عظيم، جاء من الجنة فذبحه وصار ذلك سُنَّة إلى قيام الساعة.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعي قبل ذلك أربعين خريفًا أي:(أربعين سَنَة) فأرسل إبراهيم ابنه وأتبع الكبش. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا هُوَ بِجِبْرِيلَ وَمَعَهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ أَقْرَنُ، فَقَالَ: هَذَا فِدَاءٌ لِابْنِكَ فَاذْبَحْهُ دُونَهُ، فَكَبَّرَ جِبْرِيلُ وكبّر الكبش وكبّر إبراهيم وَكَبَّرَ ابْنُهُ، فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْكَبْشَ فَأَتَى بِهِ الْمَنْحَرَ مِنْ مِنًى فَذَبَحَهُ. اهـ.

فانظر يا رعاك الله إلى فضل الله على الناس وتيسيره لأمور دينهم وإنعامه عليهم بسائر النعم، ومع هذا فإنك تجد من يبخل بالأضحية ويقصر في هذه القربة العظيمة وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الأضحية واجبة على من قدر عليها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكن الصحيح أنها مستحبة لا ينبغي التفريط فيها لمن قدر عليها، فهي قربة وعبادة ومشاركة للحجيج في نحر هداياهم وهي عمل صالح يتقرب بها العبد إلى الله، وقد علم من الشرع أن العمل الصالح في أيام العشر أفضل من الجهاد في سبيل الله ويوم النحر هو آخر أيام العشر، فتجهيزها وعلفها وتسمينها في هذه الأيام ومن ثَمَّ ذبحها تقربا إلى الله عمل صالح ولا شك في ذلك.

ومن الأدلة على استحبابها ما رواه مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا** ».

فقوله ﷺ: « **إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ** » : يوحي بالاستحباب، لكن من أراد أن يضحي فيجب عليه أن يمسك عن شعره

وأظفاره ، وإبطه وعانته وجلده ، فلا يأخذ من ذلك شيئًا ، للنهي الوارد في الحديث، حتى يذبح أضحيته، فإن أخذ من ذلك شيئًا فالأضحية مجزئة وهو آثم لمخالفته.

أما حلق اللحية أو تقصيرها فإنه لا يجوز لأمر النبي ﷺ بإعفائها والنهي عن التشبه بالمشركين في حلقها، فقد روى مسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَالَ: « **أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى** » ، وفي رواية للبخاري: « **وَفِّرُوا اللِّحَى** » .

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا المجُوسَ** » وفي رواية عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « **خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى** » .

كل هذه الألفاظ تدل على وجوب إطلاق اللحية وأن حلقها كبيرة من الكبائر وتشبه بالمشركين بل تشبه بالنساء، نسأل الله العافيةـ فلا يجوز حلقها ولا تقصيرها مطلقًا، لا في أيام العشر ولا في غيرها .

وبما أن الأضحية قربة وعبادة عظيمة لكن لا بد لها من شروط كسائر العبادات ، فلا يقبل الله أي عبادة إلا بشرطين اثنين ، وهما الإخلاص لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

فالشرط الأول : الإخلاص :

وهو أن تكون الأضحية خالصة لوجه الله، لا رياءً ولا سمعةً ولا مكابرةً أو مفاخرةً ولا عادةً كما يفعله بعض الناس ، ولا يكون فعلها خوفًا من تعيير الناس لمن تركها، ولا من أجل اللحم فقط، بل تكون خالصةً لوجه الله يبتغي العبد بها الأجر عندالله، ولذلك لا بد أن تكون طيبة سمينة غير معيوبة كما سيأتي في شروط المتابعة «لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طيب لا يقبل إلاطيبًا» ، كما ثبت

ذلك عند مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

ودليل الإخلاص قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزُّمَر:١١] .

وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج:٣٧].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها، والاحتساب، والنية الصالحة، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾ ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرا ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة. اهـ.

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَذَلِكَ أَنَّ أهل الْجَاهِلِيَّة كَانُوا إِذَا نَحَرُوا الْبُدْنَ لَطَّخُوا الْكَعْبَةَ بِدِمَائِهَا قُرْبَةً إِلَى الله فَأَنْزَلَ الله هَذه الْآيَةَ: « لَنْ يَنالَ الله لُحُومُها وَلا دِماؤُها...، قَالَ مُقَاتِلٌ لَنْ يُرْفَعَ إِلَى الله لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا، وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ، وَلَكِنْ تُرْفَعُ إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص وما أريد به وجه الله تعالى. اهـ

ومن الخطأ ما يحصل عند بعض الناس من تلطيخ الأبواب والجدران بدماء الأضحية فهذا من البدع والخرافات وقد يكون شركًا أو ذريعة إلى الشرك حسب ما يعتقده الفاعل وهو تشبه بالمشركين كما تقدم.

والشرط الثاني من شروط قبول الأضحية المتابعة لرسول الله ﷺ وذلك بمراعات الأوصاف التي جاءت عنه ﷺ وهي:

الشرط الأول :أن تكون من بهيمة الأنعام.

وقد ذكرت في سورة الأنعام وهي ثمانية أزواج البقر والإبل والضأن والمعز فلا يجزئ الصيد ولا الفرس ونحوه أضحية .

قال تعالى:﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٣-١٤٤].

الشرط الثاني من شروط المتابعة: أن تكون سليمة من العيوب.

فقد روى النسائي عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَجُوزُ مِنَ الضَّحَايَا: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا، وَالمريضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي**» ، وفي رواية: « **وَالْكَسِيرَةُ التِي لاَ تُنْقِي**».

قال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرْنِ والأذن نَقْصٌ، وَأَنْ يَكُونَ فِي السِّنِّ نَقْصٌ، قال: مَا كَرِهْتَهُ فَدَعْهُ، وَلَا تُحَرِّمْهُ عَلَى أَحَدٍ.

ففي هذا الحديث بيان لأربع صفات في الأضاحي لا تجزئ معها الأضحية ولا تقبل: وهي العوراء التي يكون العور فيها بينًا والمرض بينًا والعرج بينًا، والعجفاء الهزيلة التي قد ضعف عظمها، أما إذا كان المرض أو العرج أو العور خفيفا فإنها تجزئ ولكن الأفضل أن يختار غيرها.

وتجزئ مقطوعة القرن أو الأذن مع الكراهة كما في حديث البراء المتقدم.

وليست الحامل معيوبة كما يعتقده كثير من الناس، فإنها تجزئ أضحية ويجوز أكلها وأكل جنينها لمن أراد ذلك.

فقد روى أبو داود عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سول الله ﷺ قال: « **ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ** » .

بمعنى أنه يشرع ذبح الحامل من البهيمة وأكل لحمها ولحم ابنها إذا ذكيت. أي: ذكر اسم الله عليها.

الشرط الثالث: من شروط إجزاء الأضحية أن يكون السن معتبرًا شرعا :

فقد روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن سول الله ﷺ قال : «**لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ**» .

والسن المعتبر في الإبل ما بلغت خمس سنوات فما فوقها، وفي البقر ما بلغت سنتين فما فوقها، وفي المعز ما بلغ سَنة فما فوقها، وفي الضأن ما بلغ ستة أشهر فما فوق ذلك، ولها علامات يعرفها أهل الخبرة من الثقات.

الشرط الرابع: أن تذبح في الوقت المعتبر شرعًا :

وهو من بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق وهو اليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة، وينتهي الذبح بغروب شمس ذلك اليوم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ النَّحْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: « **مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَتِلْكَ شَاةُ لَحْمٍ** » الحديث.

وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ** » .

وفي الصحيحين عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: شَهِدْتُ الأَضْحَى مَعَ

رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ بالنَّاس نَظَرَ إِلَى غَنَم قَدْ ذُبِحَتْ، فَقَالَ: « **مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَلْيَذْبَحْ شَاةً مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ، فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ اللهِ**» .

الشرط الخامس من شروط المتابعة في الأضحية :

وهو التسمية وإزهاق روحها ذبحًا أو نحرًا، وأن يكون الذابح لها مسلماً.

وهذا الشرط عام في جميع الذبائح سواء كانت قربة أو للحم أو للبيع أوغيرذلك، وذلك بأن يذكر اسم الله عليها وأن يذبحها ذبحًا أوينحرها نحرًا، والغالب أن النحر للإبل والذبح للبقر والغنم، ويجوز العكس، والأول أفضل.

فمن لم يسمِّ الله عليها فإنها لا تجزئ أضحيةً ولا لحماً لقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴿١٢١﴾ ﴾[الأنعام:١٢١] .

ومن الشروط أن تذبح ذبحًا أو تنحر نحرًا، فإن صُعقت صعقا بالكهرباء أو رديت من شاهق أو نطحت أو وقذت ، فماتت قبل أن تذكى فلا يحل أكل لحمها .

فقد روى البخاري ومسلم عن رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: « **مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ فَكُلُوه**» .

ويستحب أن يزيد على التسمية: (الله أكبر). فيقول: (بسم الله والله أكبر).

وللمناسبة ومن باب الشيء بالشيء يذكر، فإنه لا يجوز أكل الدجاج المستورد من بلاد الكفار كالدجاج الفرنسي فإنها غير مذكاة ولم يذكر اسم الله عليها، ولم تذبح بالطريقة الشرعية، فقد عُلم ذلك بشهادة أناس عدول، فإنهم يصعقونها بالكهرباء حتى تموت ثم يقطعون رؤوسها ويصدرونها للمسلمين

وهي ميتة جيفة وقد ترسب الدم في لحمها .

وأما ذبائح أهل الكتاب فإنها تحل للمسلمين ،بشروط كشروط ذبيحة المسلم: وهي أن يذكروا اسم الله عليها، فإذا ذكروا اسم غير الله فإنها لا تحل، وأن يذبحوها بالطريقة الشرعية كما تقدم بيان ذلك، فإن صعقوها صعقًا أو اختل شرط فإنها لا تحل.

وأما ذبائح غيرهم من الكفار، فإنها ميتة لا تحل للمسلمين.

فإذا كانت ذبيحة المسلم الذي لم يذكر اسم الله عليها لا تحل، فذبيحة الكافر من باب أولى.

نسأل الله أن يبصر المسلمين في دينهم .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيشرع للمضحي أن يذبح أضحيته بيده ويقول: بسم الله والله أكبر هذا منك ولك اللهم تقبل منا. ويقول: هذا عني وعن أهل بيتي. ويجوز التوكيل فيها بأن يذبح له شخص آخر.

ففي الصحيحين عَنْ أَنَس بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **ضَحَّى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ**»، **قَالَ**: « **وَرَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ، وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا**»، **قَالَ**: « **وَسَمَّى وَكَبَّرَ**» .

وروى أبو داود عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ ذبح يوم العيد كبشين...، وفيه: ثم قال: « **بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ** » .

وعند مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ ... ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: « **بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**» .

وعند الطبراني عن أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَبَحَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَبْشًا، ثُمَّ قَالَ: « **هَذَا عَنِّي وَعَنْ أُمَّتِي**» .

وفي رواية: عند أبي داود عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال شهدت مع رسول الله ﷺ الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتي بكبش

فذبحه رسول الله ﷺ بيده وقال: « **بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي** » .

وتجزئ البقرة والبدنة عن سبعة والمعز والشاة عن رجل مع أهل بيته، فإن خرج أحد أفراد البيت عن الأسرة فانفرد بمطبخ مستقل وأراد أن يضحي لزمه أضحية أخرى فلا تجزئ الأضحية الواحدة لأهل البيت الواحد حال كونهم متفرقين.

فقد روى ا لطبراني عَنْ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « الْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْجَزُورُ عَنْ سَبْعَةٍ » والجزور هو الجمل.

وأصله في مسلم عَنْ جَابر بْن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنَحَرْنَا الْبَعِيرَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ» .

وعند البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ هِشَام، « **أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ الوَاحِدَةِ عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ**» .

ويفضل في الأضاحي الإبل ثم البقر ثم الغنم، إلا أن الشاة أو المعز أفضل من سبع الجمل أو سبع البقر لأنها كاملة.

والدليل على أن الجمل أفضل ثم البقر ثم الكبش ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَن اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَة، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً** » الحديث.

ومعنى قوله: « **غُسْلَ الجَنَابَةِ**»، أي: صفة غسل الجنابة.

دل هذا الحديث على أن البدنة أفضل من البقرة ثم البقرة أفضل من الكبش.

ويفضل أن تكون الأضحية سمينة ذات قرون وإن تيسر اللون الأبيض الذي يميل إلى السواد فهو حسن.

فكلما كانت الأضحية أسمن وأغلى وأحب إلى صاحبها وأقرب إلى السُّنَّة، كانت أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **ضَحَّى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ووضع رجله على صفحتهما وذبحهما بيده** ».

ومعنى أملحين: أي بلون الملح وهو الذي يخالط بياضه سواد والبياض أكثر.

وعند الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «**أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَاد**».

أي: أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه سواد.

وروى البخاري تعليقا ووصله غيره عن أَبِي أُمَامَةَ بْنَ سَهْل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **كُنَّا نُسَمِّنُ الْأُضْحِيَّةَ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُسَمِّنُونَ** ».

ومما ننبه عليه: ضرورة الإحسان في ذبح الأضاحي، لأن من الناس من يعذب البهيمة عند ذبحها ولا يرحمها.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَه** ». ومعنى يحد شفرته أي: يشحذ سكينه.

والسُّنَّة في ذبح البهيمة هو قطع البلعوم والأوداج لأجل خروج الدم وعدم

كسر عظم الرقبة والعظام حتى تموت.

فيجب رحمة البهائم فإن الراحمون يرحمهم الرحمن » ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ثبت ذلك عن النبي ﷺ عند أبي داود عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وروى الطبراني عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا قَالَ: « **وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**» .

ولا تحد الشفار أمام البهائم لأنها تحس وتخاف وربما نفرت أو هربت ، فقد روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَدِّ الشِّفَارِ، وَأَنْ تُوَارَى عَنْ الْبَهَائِمِ، وَقَالَ: « إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ » .ومعنى توارى:أي :تخفى.

وروى الطبراني عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: « أَفَلَا قَبْلَ هَذَا تُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ » .

وفي رواية عند الحاكم: « **أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ ؟، هَلا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا** » .

فالشاهد أن النبي ﷺ أنكر عليه إذ يحد الشفرة أمام الشاة ، وهي تلحظ إليه وحثه أن يحدها قبل أن يذبحها وفي مكان لا تراه.

فأرفقوا بالبهائم يا عباد الله « **فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً** » ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ عند أبي داود عن سهل بن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويشرع الأكل من الأضحية والادخار والصدقة والهدية ولا يجوز بيع شيء منها أو من جلدها وصوفها ولا إعطاء الجزار شيئًا منها مقابل جزارته لأنها صارت وقفًا لله وخرجت من ملكه وإنما يجوز له الانتفاع بها والأكل منها

منحة من الله ونعمة ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[الإسراء:٢٠] أي: ما كان عطاؤه ممنوعًا ولا منقوصًا.

فقد روى الإمام أحمد والحاكم عن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **كُلُوا لُحُومَ الْأَضَاحِيِّ وَادَّخِرُوا** » .

وذبحت شاة في عهد النبي ﷺ فتصدقوا بأكثر الشاة ولم يبق إلا كتفها فقال النبي ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟** » ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. قال ﷺ: « **بَلْ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**» .

أي: بقي أجرها عند الله ولم يذهب إلا الكتف الذي لم يتصدقوا به. والحديث رواه الترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وروى البخاري ومسلم عن عَلِي بْن أَبِي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **أَنَّ نَبِيَّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ عَلَى بُدْنِه، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْسمَ بُدْنَهُ كُلَّهَا، لُحُومَهَا وَجُلُودَهَا وَجِلَالَهَا، فِي المَسَاكِينِ وَلَا يُعْطِيَ فِي جِزَارَتِهَا مِنْهَا شَيْئًا**» .

واحذر أيها المضحي من المخالفات التي تصدر عند الأضاحي مع ما تقدم من تبخيرها وخضبها بالحناء والقراءة والتكبير عليها وغير ذلك من المحدثات فإن النبي ﷺ قال: « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ** » .أي: مردود. وهو في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

نسأل الله العظيم أن يبصرنا في ديننا ، وأن يتقبل صالح أعمالنا ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، والحمد لله رب العالمين.

١٨

فضل يوم عرفة (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

إن من الأيام العظيمة عند الله لهو يوم عرفة، فقدعظمه وفضله الله على غيره من الأيام وخصه بمزايا كثيرة وجعله الله عيدًا من أعياد المسلمين وجعل

(١) تلقى هذه الخطبة قبل يوم عرفة بيوم أو يومين إن ناسب يوم الجمعة ذلك.

الوقوف في عرفة ركنًا من أركان الحج .

وفي هذا اليوم يعتق الله فيه عبيدًا من النار ، ويغفر فيه لأهل عرفات ، ويباهي بهم ملائكته، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وجعل خير الدعاء في ذلك اليوم، ومن صام ذلك اليوم غفر له ذنوب عامين ، إلى غير ذلك من فضائل ذلك اليوم.

فلفضل هذا اليوم أقسم الله به في كتابه الكريم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيم لا يقسم إلا بعظيم يدل على عظمته، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾[الفجر : ١ - ٣] .

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال بعضهم في تفسير الوتر هو يوم عرفة. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾[البروج:١-٣].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : واليوم المشهود هو يوم عرفة . اهـ

وقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: « **الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ**» .

ويوم عرفة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وأتم فيه النعمة قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] .

وروى البخاري ومسلم عَنْ طَارِق بْن شِهَاب، أَنَّ الْيَهُودَ، قَالُوا لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً، لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، وَأَيَّ يَوْم أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- حَيْثُ أُنْزِلَتْ، «**أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ** » فتبين

من هذا الحديث أن هذه الآية الكريمة نزلت في يوم عيدين يوم عرفة ويوم الجمعة، وهما من أعياد المسلمين.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :لكن يوم عرفة عيد لأهل الموقف خاصة.

وجعل الله الوقوف بعرفة ركنًا من أركان الحج لا يصح الحج إلا به، لما روى أبو داود عن عُروة بن مُضَرِّس الطائي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: « مَنْ أدركَ معنا هذه الصلاة، وأتى عَرَفَات قبلَ ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجُّه وقضى تفثَه » وروى النسائي عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَعْمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَأَتَاهُ نَاسٌ، فَسَأَلُوهُ عَن الْحَجِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **الْحَجُّ عَرَفَةُ، فَمَنْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّه** » .

ومعنى قوله ﷺ: الحج عرفة: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي ركنه الأكبر وذلك لدلالته على أن فاعله يقبل بوجهه إلى الله معرضا عما سواه. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « **الْحَجُّ عَرَفَةُ** » : أي عماده ومعظمه عرفة. اهـ

ومعنى ذلك: أن من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج.

ويشرع في هذا اليوم الإكثار من ذكر الله لما مَنَّ الله به على عباده بالهداية وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها بالقلب واللسان والجوارح ويدخل في الشكر ذكره تعالى بالقلب واللسان، ومن ذلك: الذكر يوم عرفة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ﴾ [البقرة:١٩٨] . والمشعر الحرام هو مزدلفة .

إلى أن قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾ [البقرة:٢٠٠] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْ: فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ، أَيْ: ذَبَائِحَكُمْ، فَاذْكُرُوا الله بالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيد وَالثَّنَاء عَلَيْه، كَذكرِكُمْ آبَاءَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْت فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا، فأمرهم الله بذكره، قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَعَطَاءٌ: مَعْنَاهُ فَاذْكُرُوا الله كَذِكْرِ الصِّبْيَان الصِّغَار الْآبَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبِيَّ أَوَّلُ مَا يَتَكَلَّمُ يلهج بذكر أبيه لا يذكر غَيْرِه، فَيَقُولُ الله فَاذْكُرُوا الله لَا غَيْرَ،كَذِكْرِ الصَّبِيِّ أَبَاهُ، أَوْ أَشَدَّ ذِكْرا. اهـ.

وروى الإمام مسلم عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: « **غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مِنًى إِلَى عَرَفَاتٍ، مِنَّا الْمُلَبِّي وَمِنَّا الْمُكَبِّرِ** » .

ويشرع في هذا اليوم الإكثار من الدعاء، من كان في عرفات وغيرهم ممن حج أو لم يحج، فإن الدعاء في هذا اليوم له فضل عظيم ويتأكد فيه الإجابة بإذن الله تعالى لفضل ذلك اليوم ولأن الدعاء في يوم عرفة هو خير الدعاء .

قال بعض أهل العلم: لأنه أجزل إثابة وأعجل إجابة. اهـ

فقد روى الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ: « **خَيْرُ الدُّعَاء دُعَاءُ يَوْم عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** » .

ومن فضل هذا اليوم أن الله يباهي بأهل عرفات ملائكته، ويغفر لهم ويشفعهم فيمن أرادوا، ويضمن لهم التبعات.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرِو بْن الْعَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا** » .

وروى الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال لرجل من الأنصار جاء يسأله عن وقوفه عشية عرفة فقال: « ... وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: هؤلاء عبادي، أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد رمل عالج أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم له» . الحديث.

وروى ابن المبارك عَنْ أَنَس بْن مَالِك ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَكَادَت الشَّمْسُ أَنْ تَؤُوبَ ، فَقَالَ : « **يَا بِلالُ، أَنْصِتْ لِيَ النَّاسَ** »، فَقَامَ بِلالٌ ، فَقَالَ : أَنْصِتُوا لِرَسُول اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عليه السّلام آنفًا فَأَقْرَأَنِي مِنْ رَبِّي السَّلامَ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَفَرَ لأَهْلِ عَرَفَاتٍ وَأَهْلِ الْمَشْعَرِ، وَضَمِنَ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ** » .

فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا لَنَا خَاصَّةً ؟ ، فَقَالَ : «**هَذَا لَكُمْ وَلِمَنْ أَتَى بَعْدَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،: كَثُرَ خَيْرُ اللهِ وَطَابَ.

ومعنى يباهي بكم ملائكته: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : معناه يظهر فضلكم للملائكة ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم وأصل البهاء الحسن والجمال. اهـ

ومعنى قوله: « ويضمن عنهم التبعات» : أي المظالم التي عليهم لغيرهم بأن يرضي أصحاب تلك التبعات أو هي آثار الذنوب والمعاصي.

وفي هذا اليوم يعتق الله من شاء من خلقه من النار فقد ثبت عند الإمام مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « مَا

مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» .

فهنيئًا لمن عتقت رقبته في هذا اليوم العظيم. اللهم أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، واغفر لنا ولوالدينا يا رحيم يا غفار.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله وكفى ،والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى ، وعلى آله وصحبه، ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن يوم عرفة هو أحد أعياد المسلمين، التي ينبغي للمسلمين أن يعظموه، ويتقربوا فيه إلى الله، ما استطاعوا من القربات، من الذكر والتكبير والتهليل والصدقة والصيام، هذا هو العيد المراد شرعًا، فليس العيد في ارتكاب المعاصي والمخالفات، إن العيد لمن طاعته تزيد ،وخاف يوم الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد.

فمن أعياد المسلمين المشروعة عيد، عرفة فقد روى النسائي عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ** » .

يعني أيام التشريق أيام أكل وشرب وأما يوم عرفة فإنه يستحب صيامه لمن كان خارج عرفات، لما روى الإمام مسلم عن أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: « **صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ** » الحديثَ.

والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة هي الصغائر فإن لم توجد صغائر أو كفرت بأعمال أخرى يرجى أن تكفر الكبائر أو يخفف منها.

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ : معناه يكفر ذنوب صائمه في السنتين، قالوا: والمراد بها الصغائر ... فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت

درجات. اهـ .

فلا ينبغي التفريط في صيام هذا اليوم لما يترتب عليه من الفضل العظيم، ولما في الصيام من تكفير الذنوب للسَنَة الماضية والسَنَة الآتية، وهذا لا يكاد يكون إلا في صيام يوم عرفة بأن يكون التكفير مقدما على الذنب.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والسَنَة التي بعده: بمعنى أنه تعالى يحفظه أن يذنب فيها أو يعطى من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها أو يكفرها حقيقة ولو وقع فيها ويكون المكفِّر مقدما على المكفَّر. قال صاحب العدة: وذا لا يوجد شيء مثله في شيء من العبادات .اهـ

ومعنى قوله: « **أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ** » : أي أرجوا من الله، قال ابن الأثير: الاحتساب على الله البدار إلى طلب الأجر وتحصيله باستعمال أنواع البر. اهـ

فنسأل الله العظيم أن يغفر زلاتنا ،وأن يكفر ذنوبنا، وأن يوفقنا لعمل الطاعات، وترك المنكرات ،وأن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ،والعفاف والغنى، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم أصلح شباب المسلمين، اللهم أصلح ولاة أمورنا،ووفقهم للعمل بكتابك وسُنَّة نبيك ﷺ، اللهم أصلح البلاد والعباد ،وادفع عن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن ،ومن أراد ببلادنا وبلاد المسلمين كيدًا أو فتنة، فاجعل كيده في نحره ، واجعل الدائرة تدور عليه، واشغله في نفسه يا قوي يا متين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٩

خطبة عيد الأضحى المبارك
فضل يوم العيد وآدابه

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] .

فالمؤمن يفرح بنعم الله عليه، وأعظم نعمة هي نعمة الإسلام والقرآن

والسُّنَّة، فهي خير من الدنيا وحطامها الزائل.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: بِهَذَا الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ الله مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَلْيَفْرَحُوا، فَإِنَّهُ أَوْلَى مَا يَفْرَحُونَ بِهِ، ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أَيْ: مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ الذَّاهِبَةِ لَا مَحَالَةَ.اهـ.

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: فَضْلُ الله:الْإِيمَانُ،وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : فَضْلُ الله الْقُرْآنُ وَرَحْمَتُهُ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ. اهـ

فاحمد الله يا مسلم أن جعلك من أهل الإسلام وجعلك تقرأ القرآن وتعبد الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس:٥٨].

ومن النعم التي يفرح بها المسلمون أن شرع الله لهم هذا اليوم العظيم، وجعله شعيرة من شعائر الدين ،يجتمعون فيه ويصلون ويذكرون ربهم ويهللونه ويكبرونه، ويتقربون إليه بالهدايا والأضاحي، فيأكلون ويشربون ويتزاورون ويهنئ بعضهم بعضًا ،ويحجون بيت الله الحرام من استطاع منهم، فينحرون الهدي ويرمون الجمار، ويحلقون ويقصرون تقربًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فأكرِم به من يوم وأعظم به، فهو أعظم أيام السَنَة وهو يوم الحج الأكبر، وقد أقسم الله بهذا اليوم العظيم في كتابه الكريم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفجر:١-٣].

قال مجاهد ومحمد بن كعب ومسروق: الفجر هو يوم النحر. وقال بعضهم: إن الشفع هو يوم النحر وقال بعضهم هو قوله: ﴿ وَٱلْوَتْرِ ﴾ .

وروى أبو داود عن عبد الله بن قُرْط رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عن النبيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « **إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ**» .

ويوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة. قال ابن بطال: سمي بذلك لأن الناس يستقرون فيه بمنى . اهـ

وقال المناوي: وهو ثاني يوم النحر لأنهم يقرون فيه أي يقيمون ويستحمون مما تعبوا في الأيام الثلاثة يعني يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر. اهـ .

وفضَّل الله يوم النحر على غيره لاجتماع كثير من مناسك الحج فيه وهو يوم الحج الأكبر كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة:٣] .

وقوله تعالى: « يوم الحج الأكبر » هو يوم النحر، لما روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنَى: أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وروى الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟ قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. الحديث وأصله في الصحيحين .

وروى الترمذي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَنْ يَوْمِ الحَجِّ الأَكْبَرِ، فَقَالَ: « يَوْمُ النَّحْرِ » . روي مرفوعًا وموقوفًا والموقوف أصح.

وكانت خطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم النحر أن عظَّم أمر هذا اليوم، وعظم أمر الدماء والأموال والأعراض، فجعل حرمتها كحرمة هذا اليوم لفضله وشرفه، كما في صحيح مسلم عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ،

وَأَخَذَ إِنْسَانٌ بِخطَامِه، فَقَالَ: « أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه سِوَى اسْمِه، فَقَالَ: « أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟ » قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: « فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ » قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ » قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: « فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ » قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه سِوَى اسْمِه، قَالَ: «أَلَيْسَ بِالْبَلْدَةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»، قَالَ: ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَذَبَحَهُمَا، وَإِلَى جُزَيْعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا. وأصله في صحيح البخاري

فكما أنه لايجوز انتهاك حرمة الدماء والأموال والأعراض، فكذلك لا يجوزانتهاك حرمة البلد الحرام والشهر الحرام وانتهاك حرمة هذا اليوم العظيم، وانتهاكه يكون بارتكاب المعاصي فيه، فمما يؤسف أن كثيرًا من المسلمين يرتكبون المعاصي والمخالفات في هذا اليوم المبارك بحجة التسلية والفرح، ولا يجوز التسلي بالمعاصي ولا الفرح بها، فبعضهم يستمع إلى الأغاني وبعضهم يختلط بالنساء، وبعضهم يصور ذوات الأرواح، وربما بعضهم يسفك الدم الحرام، وهذا لا يصدر ممن يعظم حرمات الله، وإنما يصدرمن ضعفاء الإيمان، لكنَّ الذين في قلوبهم تعظيم لله فسيعظمون ماعظمه الله ، فمن تعظيم هذا اليوم: الوقوف عند حدود الله واجتناب مانهى الله، فهذا هو حقيقة التقوى قال تعالى: « ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج : ٣٢]

فهذا اليوم العظيم هو عيد للمسلمين .

فأعياد المسلمين هي: عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم عرفة ويوم الجمعة وأيام التشريق الثلاثة، أما غيرها من الأعياد المحدثة فليست أعيادا شرعية،

كعيد الوحدة وعيد الثورة وعيد الأم وبداية السَنَة الجديدة وغيرها، فهذه أعياد مبتدعة لا يجوز الاحتفال بها لأنها مستوردة من الغرب ، ولا يجوز التشبه بهم، فقد روى أبو داود عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» .

وقد شرع الله للمسلمين هذه الأعياد المباركة منها عيد الفطر وعيد الأضحى، فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَدِمَ رسولُ الله – ﷺ – المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومَان؟**» ، قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله – ﷺ –: « **إنَّ الله قَدْ أبدَلَكُم بهما خَيراً منهما: يَومُ الأضحى، ويَومُ الفِطرِ**» .

وروى الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الإِسْلاَمِ» .

عباد الله: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، وأخلصوا فيها لله، واتقوا الله في هذه البهائم فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول:﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾** ﴾[الحج:٣٧] .

وإياكم والمخالفات في هذه الأضاحي، وإياكم والرياء فيها أوالمباهاه أو المفاخرة وإياكم والبدع التي يحدثها بعض الناس في هذه الشعيرة وفي هذه النعمة العظيمة.

فبعض الناس يكبر على الأضحية وبعضهم يحنيها ، والبعض يرش الجدران بدمائها ، وهذه بدع وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان.

فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، واعلموا أن لكم إخوانًا لا يملكون الأضحية فشاركوهم الفرحة في هذا اليوم العظيم .

ففي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: « **فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا** » . أي: من لحوم الأضاحي.

ويشرع في هذا اليوم مخالفة الطريق في الذهاب والإياب من وإلى مصلى العيد، فقد روى البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى خَالَفَ الطَّرِيقَ» .

وقد ذكر أهل العلم تعليلات في مخالفة الطريق إلى المصلى يوم العيد.

منها: لتشهد له الطريقان.

ومنها: ليتصدق على أهل الطريقين.

ومنها: لتكثير سواد المسلمين أمام أعداء الدين.

ومنها: لزيارة الأقارب.

ومنها: ليكثر من ذكر الله في الطريقين. وغير ذلك من المقاصد الشرعية.

ويشرع في هذا اليوم المشي إلى المصلى وألا يأكل حتى يرجع من مصلاه في الأضحى بينما في عيد الفطر يأكل تمرات قبل الخروج إلى المصلى كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَات، وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا** » .

وفي سُنن الترمذي عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ** » .

ويستحب في هذا اليوم التكبير والتهليل إلى آخر أيام التشريق كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج:٣٧] .

ويستحب التبكير لحضور صلاة العيد :

وحكم صلاة العيد واجبة لأمر النبي ﷺ بذلك، ودليل وجوب صلاة العيد ما روى أبو داود عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قال: حَدَّثَنِي عُمُومَتِي مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا: أُغْمِيَ عَلَيْنَا هِلَالُ شَوَّالٍ، فَأَصْبَحْنَا صِيَامًا، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَشَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ رَأَوا الْهِلَالَ بِالْأَمْسِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُفْطِرُوا، وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنْ الْغَدِ» .

الشاهد أنه ﷺ أمرهم أن يخرجوا إلى صلاة العيد، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو معلوم من قواعد الشرع.

فمن فاتته صلاة العيد وجب عليه أن يصليها، ولو منفردا مادام وقتها باقيا وهو إلى قبيل الزوال، وينتهي وقتها بزوال الشمس عن كبد السماء، فإن خرج وقتها، قضاها من اليوم الثاني كما تقدم في الحديث الآنف الذكر.

وروى البخاري عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: «أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحُيَّضَ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَدَعْوَتَهُمْ » الحديث.

الشاهد منه أنه ﷺ أمر النساء بالخروج إلى مصلى العيد وهن لا تجب عليهن الجمعة والجماعة فيكون في حق الرجال من باب أولى.

وقال بعض أهل العلم بوجوب صلاة العيد على النساء لكن الصحيح أنها لاتجب إلا على الرجال.

ويستحب استماع الخطبة حتى ينصرف الإمام :

ويشرع الاغتسال والتجمل في هذا اليوم ولبس الثياب الجديدة بدون تكلف ولا مفاخرة فقد كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتجمل للعيد، وأعطى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رسول الله ﷺ حلة يلبسها للعيد والوفود، فقد روى البخاري عن ابْنَ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إِسْتَبْرَق تُبَاعُ فِي السُّوق فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ..» الحديث.

الشاهد منه مشروعية التجمل بالثياب الجميلة أو الجديدة يوم العيد، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فيه أن من السُّنَّة المعروفة التجمل للوفد والعيد بحسن الثياب ؛ لأن فى ذلك جمالاً للإسلام وأهله ، وإرهابًا على العدو ، وتعظيما للمسلمين » اهـ

ولا بأس بالبشاشة في وجه المسلم وتهنئته بهذا اليوم العظيم ،والدعاء بقبول هذه الأعمال .

وللمسلم أن يتوسع في المباحات أيام الأعياد بلا إسراف ولا تبذير، ولا مانع من المزاورة في مثل هذا اليوم وصلة الأرحام، على أنه لا يجوز قطع الأرحام في غير الأعياد لأن من الناس من لا يصل أرحامه إلا أيام الأعياد وهذا قصور ونوع من القطيعة ولايجوز ذلك.

ويجب على المسلم أن يتجنب المخالفات أثناء صلة الأرحام من مصافحة النساء الأجنبيات والاختلاط بهن أو الخلوة بالمرأة الأجنبية فإنه لا يجوز مصافحة النساء الأجنبيات والاختلاط بهن.

وقد بيَّن الله مَن هنَّ المحارم اللاتي يجوز الاختلاط بهنَّ ومصافحتهن ونحو ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ

ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[النساء:٢٣]. »

«والربيبة » :هي بنت الزوجة من رجل آخر، فهي من المحارم، ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ﴾: هن زوجات الأبناء، وهن من المحارم.

فهؤلاء هن المحارم، أما غيرهن فلسن محارم، كزوجة الأخ، وزوجة العم وزوجة الخال، وبنت العم أو بنت العمة، وبنت الخال أوبنت الخالة وغيرهن، فلا يجوز الاختلاط بهن ولا مصافحتهن.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟، قَالَ: « **الحَمْوُ المَوْتُ** » .

وروى الطبراني عن مَعْقِل بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَه**» .

فلا يجوز للمسلمين أن يقابلوا هذه الشعائر وهذه النعم بالمعاصي والمخالفات، وإنما يقابلوها بالطاعات والشكر لعل الله أن يتقبل منهم ويغفر لهم.

اللهم تقبل منا صالح أعمالنا ،وتقبل ضحايانا، واغفر لنا ذنوبنا ،وأصلح أحوالنا ،وارحم موتانا ،وفرج همومنا، واقض ديوننا، واشف مرضانا، اللهم حبب إلينا طاعتك، وكره إلينا معصيتك، واجعلنا ممن يفرح برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم فرج عن إخواننا المستضعفين في كل بلاد، اللهم أفرحهم كما أفرحتنا بهذا اليوم العظيم، اللهم فرج همومهم، وفك أسرهم، واكبت عدوهم، واجعل لهم من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل عسر يسرًا ، ومن كل بلاءٍ عافية ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين.

٢٠

خطبة جمعة في يوم عيد
فضائل أعياد المسلمين (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

يقول الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

(١) المقصود من قولنا في يوم عيد : أي عيد الفطر أو عيد الأضحى .

فإن مما عظمه الله الأشهر الحرم وهي: رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة بما فيها يوم عرفة ، ويوم النحر ، ومما عظمه الله أيام التشريق وعيد الفطر ، ومما عظَّمه الله هو يوم الجمعة.

فهذه هي أعياد المسلمين التي عظمها الله في كتابه وأمر عباده بتعظيمها والإكثار من ذكر الله فيها وقد اجتمع في هذا اليوم عيدان عظيمان ، وذلك أن يوم العيد وافق يوم الجمعة .

فحري بالمسلمين أن يفرحوا بهذه الأعياد وأن يحتفلوا فيها بحدود الشرع، وأن يظهروا هذه الشعائرالعظيمة ، ويستبشروا بها، وأما الأعياد المحدثة والمستوردة من الغرب فلا يجوز الاحتفال فيها ، والاعتداد بها، كعيد أول السَنَة الجديدة ، وعيد الوحدة وأعياد الثورات والانقلابات ، وأعياد الميلاد كعيد ، ميلاد النبي ﷺ وغيرها ، فإن الاحتفال فيها من البدع وتعطيل الأعمال الدنيوية بسببها تشبه بالكفار.

فقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « **وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** » .

أيها النَّاس:

إنه في مثل هذا اليوم لا تجب صلاة الجمعة، فمن شاء أن يصلي أربع ركعات ظهرًا أجزأه، وذلك لمن صلى صلاة العيد، فقد رخص في ذلك رسول الله ﷺ، ويستحب أن يصلي جمعة لكنها ليست واجبة، لحيث وأنه قد اجتمع في هذا اليوم عيدان وهما يوم جمعة ويوم عيد، لما ثبت عند أبي داود عن إياس بن أبي رَملة الشَّامي، قال: شَهِدْتُ معاوية بن أبي سفيانَ وهو يسأل زيدَ بن أرقم قال: أشَهدتَ مع رسولَ الله – ﷺ – عيدين اجتمَعا في يوم؟، قال: نعم، قال: فكيف صَنَع؟ قال: صلَّى العيدَ، ثم رخَّصَ في الجمعةِ، فقَال: « **مَن شاء أن**

يُصلِّيَ فليُصَلِّ» فدل على عدم وجوبها.

عباد الله:

أعياد المسلمين خمسة، ومنهم من جعلها ثلاثة وهي الجمعة وعيد الفطر وعيد الأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق الثلاثة.

فأما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع ، فضله الله على سائر أيام الأسبوع وخصه بصلاة الجمعة وخطبة الجمعة وأمر الناس بالاجتماع في هذا اليوم لطاعته ولذكره وشكره .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ [الجمعة:٩].

وروى الطبراني في الأوسط عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك قَالَ: « **عُرِضَت الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، جَاءَ بِهاجَبْرَيِلُ فِي كَفِّه كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاء فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَة السَّوْدَاء، فَقَالَ: « مَا هَذه يَا جِبْرِيلُ؟ » ، قَالَ: هَذه الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لتَكُونَ لَكَ عيدًا وَلقَوْمكَ منْ بَعْدكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ تَكُونُ أَنْتَ الأَوَّلَ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى منْ بَعْدكَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ** » .

فيشرع في هذا اليوم التنظف والاغتسال ، والتجمل والتطيب ، واستعمال السواك ولبس الثياب الجميلة والنظيفة ، لما روى ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -: « **إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ الله لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ عنده طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ**» .

ويوم الجمعة خير الأيام ، وفيه خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وفيه تقوم الساعة.

لما روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ** » .

وفي الجنة سوق يأتيه المؤمنون كل جمعة :

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا** » الحديث.

ومن فضل هذا اليوم أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب الله له كما تقدم في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سمعتموه آنفًا، وأرجى ما تكون هذه الساعة :في آخر ساعة من يوم الجمعة على الصحيح من أقوال أهل العلم.

ومن فضائل هذا اليوم أنه كفارة للذنوب ، وأن الأعمال فيه مباركة والأجور مضاعفة كالصلاة على النبي ﷺ والتبكير إلى المسجد ونحو ذلك.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ قال: « **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ** » .أي ما لم ترتكب الكبائر.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ،**

فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » .

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَنِ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ** » .

ومن خصائص هذا اليوم تحريم إفراده بصيام لأنه عيد الأسبوع، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **لاَ تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِى، وَلاَ تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِى صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ** » .

ومن فضله أن الله أقسم به في كتابه العزيز فقال: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾** ﴾ [البروج:١-٣] .

ذكر المفسرون أن «الشاهد»: هو يوم الجمعة .«والمشهود » : هو يوم عرفة.

ومن أعياد المسلمين : يوم عرفة :

وهو اليوم المشهود في قوله تعالى: ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾** ﴾ وهو الوتر الذي أقسم الله به في سورة الفجر في قوله: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾** ﴾[الفجر:١-٣] كما ذكر المفسر ابن كثر وغيره من المفسرين.

ومن فضائل هذا اليوم أن الوقوف فيه بعرفات ركن من أركان الحج، لا يصح الحج إلا به، لما روى أبو داود عن عبد الرحمن بن يعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **الحَجُّ عَرَفَةُ** » .

ومن فضائله أن الله يغفر للواقفين بعرفات، لما روى ابن المبارك عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « أتاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ آنفا فأقرأني من ربي السلام وقال: « **إِنَّ اللهَ غَفَرَ لِأَهْلِ عَرَفَاتٍ وَأَهْلِ الْمَشْعَرِ، وَضَمِنَ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ** » .

ويباهي بهم ملائكته فيظهر فضلهم ويريهم حسن أعمالهم ويثني عليهم.

فقد روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، يَقُولُ: عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا** » .

وفي هذا اليوم يعتق الله عبيدا كثيرًا من النار، فقد روى مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ** » . الحديث .

فيستحب في هذا اليوم الإكثار من الذكر ومن الدعاء.

فقد روى الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وصيام هذا اليوم يكفر ذنوب سنتين من الصغائر لمن كان خارج عرفة.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ ، فَقَالَ:« **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** » .

وفي هذا اليوم أكمل الله الدين وجعله عيدًا للمسلمين ومكفرًا لذنوبهم وبركة في أعمالهم وذخرا في أجورهم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ طَارِق بْن شهَاب، عَنْ عُمَرَ بْن الخَطَّاب، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُود قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣] قَالَ عُمَرُ: « قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ » .

فيجب على المسلمين أن يلتزموا بالآداب الشرعية، وأن يتجنبوا المخالفات والمعاصي في هذه الأيام ،وفي هذه الشعائر العظام، ولا بأس أن يتوسعوا في المباحات من المأكولات والمشروبات والملبوسات ،في حدود الشرع بلا إسراف ولا تبذير ، ولا بخل ولا تقتير ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فمن أعياد المسلمين العظيمة عيد الأضحى وعيد الفطر.

فأما عيد الأضحى المبارك فهو يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة وهو واقع بين عيدين عظيمين، يوم عرفة وأيام التشريق، وفيه ينحر المسلمون هداياهم وضحاياهم تقربًا إلى الله، وفيه يقف الحجاج بالمشعر الحرام ثم يدفعون إلى منى ثم يرمون الجمرة الكبرى ثم ينحرون أو يذبحون الهدي ثم يحلقون أو يقصرون ثم يطوفون بالبيت الحرام .

ويوم النحر:هو أفضل أيام السَنَة إطلاقا لما روى أبو داود عن عبد الله بن قرط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ» . ويوم القر : هو الحادي عشر من ذي الحجة.

وقد أقسم الله بهذا اليوم في كتابه قال تعالى:﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الفجر:١-٢] .

قال كثير من المفسرين في قوله تعالى: والفجر، هو فجر يوم النحر. كما نقله ابن كثير عن مسروق ومجاهد ومحمد بن كعب.

فعيد الفطر وعيد الأضحى يومان عظيمان يحتفل فيهما المسلمون ويتوسعون فيهما بالمباحات في حدود الشرع ويتزاورون ويهنئ بعضهم بعضًا ويلعبون فيهما إلى غير ذلك من الأمور المباحة، ويحرم عليهم الصيام في هذين اليومين

العظيمين لما تقدم أنهما يومان يفرح فيهما المسلمون ويروحون على أنفسهم بما شاءوا مما أباح الله.

فقد روى النسائي وأبو داود عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ : « **مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ ؟** » قَالُوا : كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّة ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبْدَلَكُمْ يَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ** » .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذين اليومين تعظيماً لهما .

فقدروى البخاري عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ الله عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ هَذَيْنِ العِيدَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَأَمَّا الآخَرُ فَيَوْمٌ تَأْكُلُونَ مِنْ نُسُكِكُمْ** » .

ولشرف هذين اليومين ، فإن الله تعالى جعلهما عقب فريضتين عظيمين ، فأما عيد الفطر فجعله الله عقب فريضة الصيام ، وأما عيد النحر فجعله عقب فريضة الحج.

ومن أيام الله المعظمة أيام التشريق وهي:

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وسميت أيام التشريق لأن الحجاج كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي على الشمس.

وهي الأيام المعدودات التي ذكرها الله في كتابه ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الأيام المعدودات هي أيام التشريق والأيام

المعلومات هي أيام عشر ذي الحجة. اهـ .

وأيام التشريق من أعياد المسلمين لما روى الحاكم وأحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ** » .

ويشرع الإكثار من ذكر الله في أيام التشريق ولا يشرع الصيام فيها، لما روى مسلم وأبو داود عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر لله عَزَّوَجَلَّ » .

فنهى رسول الله ﷺ عن الصيام فيها لهذه العلة، فقد روى النسائي عن حمزة بن عمرو الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **لا تَصُومُوا هَذِهِ الأَيَّامَ ، أَيَّامُ التَّشْرِيقِ ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ** » .

قال أهل العلم: لا يجوز صيام أيام التشريق إلا لمن لم يجد الهدي في حق من كان في مكة من الحجاج.

هذه هي أعياد المسلمين التي عظمها الله، فيجب على كل مسلم تعظيمها كما عظمها الله ، وشكر الله على شرعيتها، ويجب اجتناب المخالفات والمعاصي فيها ، إذ أن المعصية فيها أشد إثماً من غيرها، فإن من الناس من يقابل هذه الشعائر بالمعاصي بحجة التسلية والفرح ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد حرم التسلية بالمعاصي، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [غافر:٧٥] .

وقد أباح الله التسلية بالمباحات والمستحبات فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨].

ولا بأس من التهاني في هذه الأيام والتزاور وصلة الأرحام بغير اختلاط ولا مصافحة للنساء الأجنبيات، لأن العيد من المعاودة والاجتماع .

ويحرم استماع الأغاني في هذه الأيام وفي غيرها ومشاهدة المسلسلات لما فيها من المخالفات والمحذورات والتبرج والسفور وغير ذلك.

ولا بأس في هذه الأيام من التوسع في المباحات مع تجنب الإسراف والتبذير.

ويجب المحافظة على الصلوات والجماعات في هذه الأيام وغيرها، ومن ذلك المحافظة على صلاة الجمعة والعيدين فإنها واجبة على الرجال دون النساء.

فقد جاء وعيد شديد في المتهاونين في صلاة الجمعة، فقد روى الإمام مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النبي ﷺ قال: « **لَيَنْتَهِينَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ** » ، ومعنى ودعهم أي تركهم.

وروى أبو داود وابن ماجه والترمذي عن أبي الجعد الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: قال: « **مَنْ تركَ ثلاث جُمَع تهاوناً بها، طَبَعَ الله على قَلْبِه** » .

وفي رواية: « **مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاَثاً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُنَافِقٌ** » . وهي عند ابن حبان وابن خزيمة.

أما لو اجتمع يوم جمعة وعيد كيومنا هذا فإن صلاة الجمعة تكون مستحبة وليست بواجبة كما تقدم، وهذا في حق من صلى العيد فقط، أما من لم يصلِّ صلاة العيد فإن صلاة الجمعة باقية على الأصل وهو الوجوب، على أن صلاة العيد واجبة على الرجال دون النساء.

ودليل وجوب صلاة العيد ما روى أبو داود عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثَنِي عُمُومَتِي مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالُوا: أُغْمِيَ عَلَيْنَا هِلَالُ شَوَّالٍ، فَأَصْبَحْنَا صِيَامًا، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَشَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ رَأَوا الْهِلَالَ بِالْأَمْسِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُفْطِرُوا،

وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنْ الْغَد » .

الشاهد أنه ﷺ أمرهم أن يخرجوا إلى صلاة العيد، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو معلوم من قواعد الشرع.

فمن فاتته صلاة العيد وجب عليه أن يصليها، ولو منفردا مادام وقتها باقيا وهو إلى قبيل الزوال وينتهي بزوال الشمس، فإن خرج وقتها، قضاها من اليوم الثاني لما تقدم في الحديث من قوله : «**وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنْ الْغَد** » .

وروى البخاري عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: «**أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الحُيَّضَ يَوْمَ العِيدَيْنِ، وَذَوَاتِ الخُدُورِ فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ، وَدَعْوَتَهُمْ**» الحديث.

الشاهد منه أنه ﷺ أمر النساء بالخروج إلى مصلى العيد وهن لا تجب عليهن الجمعة والجماعة فيكون في حق الرجال من باب أولى.

وقد قال بعض أهل العلم بوجوب الصلاة على النساء والصحيح أنها لا تجب إلا على الرجال.

فنسأل الله العظيم أن يوفق المسلمين إلى ما فيه صلاحهم، وأن يجمع شملهم، ويوحد صفهم ، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يوحد كلمتهم وينصرهم على عدوهم، وأن يعينهم على طاعة ربهم، وأن يجنبهم وبلادهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم اغفر لنا ولولدينا برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢١

فضل الذكر عمومًا وفي أيام التشريق خصوصًا (١)

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون..

إننا في أيام مباركات، وهي أيام التشريق ، أيام عظمها الله في كتابه وعظمها رسوله ﷺ في سُنته وهي من أعياد المسلمين، كما ثبت عند الإمام أحمد والحاكم

(١) تخطب في يوم جمعة وافقت أحد أيام التشريق

عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر لله** » .

فأباح الله فيها التوسع بالأكل والشرب والأكل من لحوم الأضاحي مع كثرة ذكر الله فيها شكرًا له على نعمه وعلى ما أحل لهم من بهيمة الأنعام ونهى عن الصيام فيها لأنها من ضمن الأعياد التي شرعها الله للمسلمين.

فقد روى الطيالسي عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « **نَهَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عَنْ صَوْمِ ستَّة أَيَّام منَ السَّنَة، ثَلاثَةِ أَيَّام مِنَ التَّشْرِيقِ، وَيَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، مُخْتَصَّةً مِنَ الْأَيَّام** » .

وروى البخاري عَنْ عَائشَةَ، وَعن ابْنِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالاَ: « **لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّام التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِد الهَدْيَ** » .

وسميت بأيام التشريق لأنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي على الشمس .

وقال بعض أهل العلم : كانت تكثر لحوم الأضاحي والهدايا عن حاجة يومهم فيدخرون لحومها فكانوا يشرحونها شرائح رقيقة، وينشرونها على الصخور أو على الجبال حتى تتعرض إلى أشعة الشمس فيذهب عنها الرطوبة التي هي سبب في فسادها. اهـ .

فينبغي على المسلمين عمومًا وعلى الحجيج خصوصًا أن تلهج ألسُنَّتهم بذكر الله من التسبيح والتكبير والتهليل خصوصًا في هذه الأيام عملا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٠٣ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « الْأَيَّامُ المعْدُودَاتُ» أَيَّامُ التَّشْرِيق، وَ«الأَيَّامُ المعْلُومَاتُ» أَيَّامُ العَشْر.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ يَعْنِي: التَّكْبِيرُ أيامَ التَّشْرِيقِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوبَاتِ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافا لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ: « أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله »، ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد. اهـ

وفي هذه الأيام مشروعية ذبح الهدايا والأضاحي إلى غروب شمس الثالث عشر من ذي الحجة وهو آخر أيام التشريق وعند غروبها ينتهي وقت الذبح.

فقد روى الإمام أحمد والبيهقي عن عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ** ».

فيشرع للناس أن يأكلوا ويشربوا ويتصدقوا من هذه اللحوم ويدخروا منها إلى ما بعد أيام التشريق ويذكروا الله ويشكروه على هذه النعم، فقد روى أبو داود والنسائي عن نُبيْشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: « **إنَّا كنَّا نَهَيْناكُم عن لُحومها أن تأكُلوها فوق ثَلاثٍ، لكي تَسَعَكُم فقد جاء الله بالسَّعه، فكُلوا وادَّخِرُوا واتَّجِرُوا، ألا وإنَّ هذه الأيامَ أيَّامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكرٍ لله عزَ وجلَّ** ».

ويجب على العبد أن يخلص لله في هذه القربة ويشكره عليها وذلك بتقواه وصرفها حيث أراد الله والإكثار من ذكر الله قال تعالى: ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا**

وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج:٣٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الحج:٣٤] .

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ ﴾[البقرة:٢٠٠] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يأمرُ تَعالَى بذكْره وَالْإِكْثار منْهُ بَعْدَ قَضاء المَناسك وَفَراغها. وَقوْلُهُ: ﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ اخْتَلفُوا في مَعْناهُ، فَقَالَ ابْنُ جُرَيج، عَنْ عَطَاء: هُوَ كَقوْل الصَّبيِّ: « أَبَهْ أُمَّهْ»، يَعْني: كَمَا يَلْهَج الصَّبيُّ بذكْر أَبيه وَأُمِّه، فَكَذَلكَ أَنْتُمْ، فَالْهَجُوا بِذِكْرِ الله بَعْدَ قَضَاءِ النُّسُك. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَس.

وَقَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَير، عَن ابْن عَبَّاس قال: كَانَ أَهْلُ الْجَاهليَّة يَقفُونَ في المَوْسم فَيَقُولُ الرَّجُلُ منْهُمْ: كَانَ أَبي يُطْعمُ وَيَحْملُ الحَمَالات وَيَحْملُ الدِّيَات. لَيْسَ لَهُمْ ذكْرٌ غَيْرُ فعَال آبَائهمْ. فَأَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ ﴾ . اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾ أَيْ: فَرَغْتُمْ منْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ، أَيْ: ذَبَائحكُمْ، يُقَالُ: نَسَكَ الرَّجُلُ يَنْسُكُ نُسُكًا إِذَا ذَبَحَ نَسيكَتَهُ، وَذَلكَ بَعْدَ رَمْي جَمْرَة الْعَقَبَة وَالاسْتقْرَار بمنًى، فَاذْكُرُوا الله بالتَّكْبير وَالتَّحْميد وَالثَّنَاء عَلَيْه، كَذكْركُمْ آباءَكُمْ، وَذَلكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا. اهـ

عباد الله..

اعلموا أن للذكر فضائل عظيمة ، ومزايا عديدة ، وأجور كثيرة في هذه الأيام وفي غيرها ، فذكر الله حياة للقلوب وراحة للأبدان ومطردة للشيطان فلو لم يكن من فوائد الذكر إلا أن الله يذكر الذاكرين ، ويكون معهم في كل حين لكان كافيا ، وكفى به منقبة ، وأنعم بها من ممدحة ، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢]. فمن ذكر الله بقلبه ولسانه كان الله معه بنصره وتأييده وحفظه وتسديده ومن كان الله معه فلا خاذل له ولو اجتمع عليه من في الأرض كلهم جميعا .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** » .

فما أيسر الذكر وما أسهله على من وفقه الله له، فهو عبادة عظيمة لا يكلف العبد جهدًا ولا مالاً ولا مشقة، ولهذا وصف الله أولي الألباب وهم أصحاب العقول السليمة أنهم يذكرون الله على كل أحوالهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]، فالعاقل اللبيب هو الذي لا يفتر عن ذكر ربه في كل أحواله، قائماً وقاعدًا وراقدًا ، ويذكر الله في مدخله ومخرجه ، وفي ركوبه وسفره ، وعند طعامه ومرقده ، ونومه واستيقاظه، دائماً متصل بربه، لأن ناصيته بيده، فمن كان

كذلك فليبشر بلطفه وحفظه وفضله وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، والفوز برضاه فالموفق من وفقه الله لذكره وشكره وحسن عبادته، و ينبغي الاعتماد في ذلك على الله وسؤاله المعونة في أمور دينه ودنياه عملا بقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة:٥] .

فلا سبيل للعبد إلى ذلك إلا بمعونة وتوفيق من ربه، ولذلك علّم النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يدعو الله في صلاته بأن يعينه على ذكره وشكره وحُسن عبادته.

فقد روى أبو داود عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أن رسولَ الله – ﷺ– أخذ بيده وقال: « **يا معاذُ والله إني لأحِبُّك**» ، فقال: « **أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاةٍ أن تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك** ».

والذكر عباد الله: من أحب الأعمال إلى الله وأفضلها وأقربها إليه.

فقد روى الطبراني والبزار عن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ آخِرَ كَلَام فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وفي رواية: أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله، قَالَ: « **أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي والحال أن لسانك (رطب من ذكر الله) يعني أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر فإن للذكر فوائد جليلة وعوائد جزيلة وتأثيرا عجيبا في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك. قال الطيبي: ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه كما أن يبسه عبارة عن ضده ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن إدامة الذكر. اهـ

فالنبي ﷺ حث على مداومة الذكر حتى يأتي الموت فهنيئا لمن مات ولسانه ذاكر لله وهنيئًا لمن مات وهو يذكر الله وختم له بلا إله إلا الله .

فقد روى أبو داود عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله -ﷺ-: « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

فالذاكر حي القلب والغافل ميت القلب فقد روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ** » .

وفي رواية عند مسلم: « **مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ** » .

وملازمة الذكر من أسباب النجاة من عذاب الله لما روى الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ** » ، قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: « **وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ** » .

فانظر يا عبد الله كيف فضل النبي ﷺ الذكر على الجهاد في سبيل الله وقد علمت فضل الجهاد في سبيل الله وما أعد الله للمجاهدين في سبيله في الجنة من المنازل الرفيعة والدرجات العالية .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » ، قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » .

وقد استشكل بعض أهل العلم ذلك، فقالوا :كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد وقد جاءت أدلة كثيرة في أفضلية الجهاد في سبيل الله ؟ .

فمتى يكون للذكر مزية ، وفضل على الجهاد في سبيل الله ياعباد الله؟.

يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد، إذا تواطأ ذكر اللسان مع حضور القلب، وذلك بأن يستحضر الذاكر عظمة ربه بقلبه ويتمعن معاني الذكر الذي ينطق به لسانه.

وقد جمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أدلة فضيلة الجهاد في سبيل الله وأدلة أفضلية ذكر الله فقال: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ الله فِي حَدِيث أَبِي الدَّرْدَاءِ الذِّكْرُ الْكَامِلُ وَهُوَ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَعْنَى وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ الله تَعَالَى وَأَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ يَكُونُ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ... ثم قال: فَمَنِ اتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كَمَنْ يَذْكُرُ الله بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ حَالَ صَلَاتِهِ أَوْ فِي صِيَامِهِ أَوْ تَصَدُّقِهِ أَوْ قِتَالِهِ الْكُفَّارَ مَثَلًا فَهُوَ الَّذِي بَلَغَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى وَالْعِلمَ عِنْدَ الله تَعَالَى.اهـ

وَأَجَابَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ بِأَنَّهُ مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ إِلَّا وَالذِّكْرُ مُشْتَرَطٌ فِي تَصْحِيحِهِ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ الله بِقَلْبِهِ عِنْدَ صَدَقَتِهِ أَوْ صِيَامِهِ مَثَلًا فَلَيْسَ عَمَلُهُ كَامِلًا فَصَارَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ. اهـ.

ويزداد أجر الذكر وفضله حال خلو العبد بربه وأنسه بذكره، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ... وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » .

فلما كان الخالي عن الناس أبعد عن الرياء خصه هنا بالذكر.

وربما تكون الخلوة في هذا الحديث أشمل وأعم من الخلوة من أعين الناس وهي أنه لا يلتفت إلى الخلق ولا إلى مشاغل الدنيا وإنما يتعلق قلبه بالله فيذكر ربه فتفيض عيناه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى: «ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» : أي خاليا من الخلق ومن الالتفات إلى غير الله ففاضت عيناه إما خوفًا من الله أو محبة وشوقا. اهـ بمعناه.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي خاليا من مشاغل الدنيا قلب صافٍ ليس له تعلقات ففاضت عيناه شوقا إلى الله وخوفًا منه. اهـ

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله حمدًا كثيرًا، طيبًا مباركًا ، كما يحب ربنا ويرضى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله تسليماً مزيدًا.

أما بعد:

فإن للذكر فضائل عديدة ومناقب جزيلة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإن الله يكون مع من ذكره بالتوفيق والتسديد، والنصر والحفظ والتأييد، وأما في الآخرة بالإثابة والمغفرة.

قال تعالى﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢].

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرَتي لكم. اهـ

وقال العيني في معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: « **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**» . أي: معه بعلمه وقيل معه بحسب ما قصد من ذكره «**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ** » بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا. اهـ

وقال ابن أبي جمرة:أي: اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام. اهـ.

وهذا تفسير بالمقتضى، فإن الله يذكره ثم يثيبه، فلا مانع من أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكره في نفسه أو عند الملأ الأعلى ثم يثيبه بمقتضى ذلك، فإن من صفات الله تعالى ذكره لعبده الذاكر فإذا ذكره أثابه.

فيا عباد الله : إن ذكر الله من أسهل العبادات التي يقوم بها العبد فهو أيسر عليه من قيام الليل وجهاد الكفار ونفقة الأموال فمن عجز عن هذه الأعمال

فلا يعجز عن ذكر الله تعالى.

فقد روى الطبراني عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** » .

والذاكرون لله عَزَّوَجَلَّ هم السابقون بالدرجات العالية والنعيم المقيم في الجنة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**» .

هذا وإن الله قد أعد للذاكرين له ذكرًا كثيرًا مغفرة لذنوبهم وأجورًا عظيمة، لا يقدر قدرها ولا يعلم كثرتها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾**﴾ [الأحزاب:٣٥] .

فاحرص يا عبد الله على الذكر في سائر الأوقات عمومًا وفي هذه الأوقات خصوصًا، فإن الذكر يتأكد فضله في أيام عشر ذي الحجة، وفي أيام التشريق لفضل هذه الأيام .

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين الخائفين اللهم إنا نسألك ألسنةً ذاكرة وقلوبًا شاكرة وأعمالا مقبولة اللهم تقبل منا صالح الأعمال وتجاوز عن سيئها برحمتك يا أرحم الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين.

٢٢

إرشاد المسلمين إلى المخارج من الفتن (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[الأنعام:١٣٤] .

(١) تلقى هذه الخطبة في أيام الفتن.

فإن من علامات الساعة، كثرة الفتن وانتشارها، وكثرة القتل والهرج ، واختلاط أمور الناس، فالناظر إلى الفتن في هذه الأزمان يراها تموج كموج البحار، وهذه سُنَّة الله في أرضه ، ليبتلي بها عباده فقدر الفتن كونا ، لكنه حذر منها.

قال الله في كتابه الكريم: ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾[العنكبوت:١-٣] .

أي: ليتميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والثابت من المذبذب، والصابر من المتسخط.

فيبلو الله الناس بعضهم ببعض ،ويسلط بعضهم على بعض، ويبتليهم بالفقر والأمراض، والحروب والمصائب، وتسلط الظلمة وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾[الفرقان: ٢٠].

والفتنة في اللغة:

تأتي على معانٍ كثيرة منها: الكفر والعذاب، والإحراق والحروب، وفتنة الملك والجاه والسلطان، وفتنة النساء وفتنة الدنيا والمال ، وفتنة الأولاد ،ومنها البدع والانحراف عن الدين ، ومنها الابتلاء والامتحان وغير ذلك.

فالواجب على العبد الابتعاد عن الفتن وأسبابها وأن يجعل بينه وبينها وقاية كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾[الأنفال:٢٥].

فبيَّن سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الفتن إذا حدثت فإنها تعم الناس كلهم، فيجب التحذير والحذر منها قبل وقوعها.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾: بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة: بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد. اهـ.

فإنه ما من نبي إلا وحذر أمته من الفتن وحذرنا نبينا ﷺ من الفتن، وبين أن الفتن في آخر هذه الأمة أكثر من أولها، بينما كانت قليلة في أول هذه الأمة لفضلها.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْن الْعَاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « **إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ** ».

ففي هذا الحديث دلالة من دلائل النبوة لحيث إن النبي ﷺ قد أخبرنا بأمور فوقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام ،فأخبر أن العافية في أول هذه الأمة، وأن البلاء والفتن في آخرها، وبين أن الفتن يسبب بعضها لبعض، ويمهد بعضها لبعض، وما تأتي فتنة إلا كانت أشد من التي قبلها.

وفي الحديث إشارة إلى أن المؤمن الصادق يخاف على نفسه من الفتن فيبتعد عنها، وغير المؤمن لا يبالي بالفتن، فتجيئ الفتنة فيظن المؤمن أنه سيهلك فيها

فإذا ذهبت وجاءت الأخرى يقول أما هذه سأهلك فيها إلى غير ذلك.

فيا أيها الناس ؛ إن النبي ﷺ قد أخبر بوقوع الفتن قبل أربعة عشر قرنًا ، فرآها عيانًا فأخبر بوقوعها للتحذير منها.

ففي الصحيحين عن أُسَامَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أُطُم، مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: « **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ** » أي: كمواقع المطر لكثرتها.

قال المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومعناه أن النبي ﷺ مثل له الفتن التي حدثت بعده فرآها عيانًا ، وأنذر بها عليه الصلاة والسلام قبل وقوعها، وهذه من علامات نبوته، فكانت الفتن بعده كالقطر. اهـ .

عباد الله : لست ذاكرًا في هذا المقام كل ما يتعلق بالفتن ، وحصولها، وأسبابها ، فهي كثيرة، ولكنني سأتطرق إلى أهم المخارج من الفتن، والوقاية منها، فأقول مستعينا بالله:

أهم المخارج من الفتن والوقاية منها هو تقوى الله تعالى:

وتقوى الله هو امتثال أوامره وأوامر رسوله ﷺ ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقوله: ﴿ مَخۡرَجٗا ﴾ : نكرة في سياق الشرط يفيد العموم فإن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سيجعل له عددًا من المخارج، مخارج من الفقر ومن الهموم ومن المصائب والأمراض، وأهمها المخرج من الفتن ، لكن هذا مقيد بقيد ومنوط بأمر ، وهو تقوى الله عَزَّوَجَلَّ ، فهو شرط لتحقق هذه المخارج فإذا حصل الشرط تحقق

المشروط لأن الفتن هي نتيجة الذنوب والمعاصي والبعد عن الله تعالى. فقد قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١].

وربما يكون ذلك عقوبة للناس كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أنه ابتلاهم بالخير والشر فتنة لهم، فلم ينفع معهم ولم يرجعوا إلى ربهم فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٦].

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله، الإقبال على العبادات، والذكر، والانشغال بالأعمال الصالحة.

فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية وربما بالفتن، وإذا كنت مع الله كان الله معك «**احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**»، وإذا ذكرت الله ذكرك، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢]، فإن الجزاء

من جنس العمل.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي...** » ، الحديث وفي رواية لمسلم: « **وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي** » .

فاشغل نفسك يا عبد الله بطاعة الله قبل أن تشغلك الفتن وسابق الفتن وبادرها بالأعمال الصالحة.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» .

فإذا جاءت الفتن وزاد العبد إقبالا على مراضي ربه وانشغل بعبادته، كتب الله أجره أضعافًا مما لو كان في زمن العافية، لأن الناس مشغولون بالفتن وغافلون عن العبادات، وهو مشغول بعبادة ربه ومعرض عن الفتن، يدل هذا على صدق العبد وإخلاصه وبعده عن الفتن وخوفه منها، فيعصمه الله منها.

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن مَعْقِلِ بْن يَسَار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، أن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» والهرج أي: زمن الفتن واختلاط أمور الناس.

ومن هذا الباب ضُوعِف أجر دعاء السوق لكثرة انشغال الناس بأشغالهم وأسواقهم، وربما بالمعاصي والفتن، فمن ذكر الله في ذلك الموضع وأتى بذكر دخول السوق حصل على أجر عظيم، أعظم من أجر دعاء دخول المسجد، مع أن دخول المسجد أفضل وأشرف من دخول السوق بلا شك ولا ريب، لأن المساجد أحب البقاع إلى الله، والأسواق أبغض البقاع إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، ولكن بسبب غفلة الناس في الأسواق رُتب على دعاء دخول السوق ذلك الثواب العظيم.

فقد روى الترمذي عن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ: « **مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَده الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ** » . والألف ألف: يساوي مليون.

فانظر إلى فضل الذكر والعبادة في زمان ومكان الفتن كيف يضاعف! فهذا حصل على ثلاثة ملايين فائدة من كتابة الحسنات وتكفير السيئات ورفع الدرجات وحصل ذلك في لحظات وفي موضع واحد حال كون الناس مشغولين بالفتن والأعمال الدنيوية.

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله الدعاء .

فالدعاء سلاح المؤمن فرب دعوة تسري إلى السماء لا سيما آخر الليل فيدفع الله بها شرورا ما كان يتوقعها العبد، فإن الدعاء من أعظم العبادات لما روى أبو داود والترمذي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -يَقُولُ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠].

فينبغي على المؤمن أن يلجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع بين يديه خاصة وقت المدلهمات والفتن والمعضلات.

وقد حثنا الله في كتابه الكريم على الدعاء، وأرشدنا إلى بعض الأدعية.

منها: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: لا تملها عن الحق إلى الباطل. اهـ ولاتعرضها للفتن يا ربنا.

وأمرنا الله أن نتأسى بنبينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن آمن معه ، الذين كان من دعائهم : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة:٥] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَلَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ. اهـ.

وقال المفسر ابن كثير عن قتادة:أي: لَا تُظْهرهم عَلَيْنَا فَيَفْتَتِنُوا بذَلِك، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لِحَقٍّ هُمْ عَلَيْهِ.. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا. اهـ .

وأخبرنا الله في كتابه أن من دعاء قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس:٨٣-٨٦] .

ويقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كما قيل في الآية التي قبلها.

وكان من دعاء النبي ﷺ : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، وَيَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** » **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**: « **اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » .

وروى الترمذي عن أُمِّ سَلَمَةَ أُمَّ الْمُؤْمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قيل لها: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاء رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -إِذَا كَانَ عنْدَك؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائه: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دينكَ**» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا لأَكْثَر دُعَائكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دينك؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَميٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْن منْ أَصَابع الله، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**» . فَتَلاَ مُعَاذٌ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ .

فيا سبحان الله إذا كان هذا دعاء رسول الله ﷺ وهو المعصوم، ومع هذا يدعو الله أن يثبت قلبه فكيف بغيره؟ وكيف بنا؟ومع هذا الكثير منا يغفل عن هذا الدعاء العظيم .

فلا تبخل على نفسك يا عبد الله بالدعاء فإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء، فادع الله بإخلاص وحضور قلب، واعمل بأسباب الإجابة وتجتنب موانع الإجابة، ولا تعجب بعملك فإن العجب من محبطات الأعمال ولا تأمن على نفسك من الفتن فإن قلبك ليس بيدك وسل الله الثبات وحسن الختام فقد كان السلف الصالح رحمهم الله يخافون على أنفسهم من سوء الخاتمة، وهم الصوَّام القوَّام، والعُبَّاد المجاهدون في سبيل الله .

وقد أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله من الفتن دبر كل صلاة.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعذْ بالله منْ أَرْبَع يَقُولُ: اللَهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ منْ عَذَاب جَهَنَّمَ، وَمنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمنْ فتْنَة المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمنْ شَرِّ فتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ » .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

وعند الاختلاف يدعو العبد ربه أن يهديه إلى الحق فقد كان من دعاء النبي ﷺ في صلاته إذا قام من الليل: « اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فانظر يا عبد الله كيف توسل النبي ﷺ إلى الله بربوبيته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالوحي لحياة الأرواح، وبربوبيته لإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالنفخ في الصور لحياة الأبدان، وبربوبيته لميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الموكل بالقطر لحياة النبات، فتوسل بأمر عظيم على أمر عظيم، وهو أن يثبته الله على الحق عند الاختلاف وهؤلاء الملائكة هم أفضل الملائكة على الإطلاق.

واعلموا عباد الله أنه يجوز للعبد أن يتمنى الموت إذا خشي على نفسه الفتنة لخطر الفتن ولا يجوز له أن يتمنى الموت لضر آخر أصابه، فقد تمنت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ الموت خشية الفتنة، وذلك حين حملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت : ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم : ٢٣] ، وتمنى الإمام البخاري الموت لما خشي على نفسه الفتنة .

وجاء عند الإمام الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،، قَالَ أَحْسَبُهُ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ

الصَّلاَة، وَالمشْيُ عَلَى الأَقْدَام إِلَى الجْمَاعَات، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المكَارِه، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَته كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» الحديث.

الشاهد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم نبيه ﷺ أن يدعوه بأن يقبضه عند الفتن غير مفتون وهو دعاء له ولأمته فيشرع الدعاء بهذا الدعاء. «اللهم إن أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» .

ومن المخارج من الفتن يا عباد الله: الرجوع إلى العلماء الربانيين الراسخين المتجردين للحق والدليل، البعيدين عن الهوى والتعصب والتحزب والبدع، فيكون الرجوع إلى العلماء الذين يربطون الناس بالدليل ولهذا قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] .

ففي الآية قيد مهم وهو قوله: ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ والذكر هو الكتاب والسُّنَّة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]، والكتاب والسُّنَّة كلاهما منزل من عند الله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

فالكتاب هو القرآن والحكمة هي السُّنَّة كما ذكر ذلك المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكلاهما وحي من السماء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[النجم : ٣ - ٤] .

فالعلماء الذين يرجع إليهم وقت المعضلات والفتن والمدلهمات، هم العلماء الذين اتصفوا بهذه الصفات، الذين يرجعون إلى الكتاب والسُّنَّة، ويرشدون الناس إليهما ويوجهونهم بمقتضاهما، فهم الذين يعرفون الفتن قبل مجيئها ،

بينما غيرهم لا يعرفون الفتنة إلا وهي مدبرة وموليّة.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [النساء:٨٣]. وأولو الأمر هنا هم العلماء .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أي: أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. اهـ .

ولما فُتن قارون بملكه وماله غبطه بعض أصحاب الدنيا وتمنوا أن يكون لهم مثله ولم يتفطنوا أن هذا المال الذي أعطيه قارون فتنة يكون فيها هلاكه فزجرهم أهل العلم عن سؤالهم هذا لعلمهم أن هذا المال فتنة .كما بين الله في كتابه الكريم في قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[القصص:٧٩-٨٢] ومعنى : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾: قال بعض المفسرين أي: ألم تر، أو: ألم تعلم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنه يجب على المسلم عند حدوث الفتن أن يبتعد عنها، وأن يجتنبها وألا يستشرف لها، ولا يخوض فيها مع الخائضين، فلا يشارك فيها بقوله ولا بفعله ولا ببدنه، بل ولا يرضاها.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِم، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**» وفي رواية مسلم: « **وَالنَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ اليَقْظَانِ** ».

ففي هذا الحديث بيَّن النبي ﷺ أن خير هؤلاء المذكورين النائم والقاعدعنها، لأنهم أبعد الناس عن الفتنة ثم دل النبي ﷺ على ما هو خير من ذلك كله وهو الفرار منها والهروب عنها والتحصن منها بمكان بعيد عنها وهو قوله: « من وجد ملجأ أو معاذًافليعذ به ».

وقوله: « فَلْيَعُذْ بِهِ» : فعل أمر يدل على الوجوب أي: يجب عليه أن يتحصن به من الفتن.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (القَاعِدُ فِيهَا) أي: القاعد في زمنها عنها (خَيْرٌ مِنَ

القَائِم) لأن القائم يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد فهو أقرب إلى الفتنةَ منه (وَالقَائِمُ فِيهَا) يعني القائم بمكانه في تلك الحالة (خَيْرٌ مِنَ المَاشِي) في أسبابها (وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي) إليها أي الذي يسعى ويعمل فيَها. اهـ.

وكلٌ بحسبه ويلحقه من الإثم بحسب مشاركته وتعلقه بها ونيته فمن رضي بالفتنة أثم وإن كان في بيته.

فقد روى أبو داود عن العُرْس بن عَميرَةَ الكندي، عن النبيَّ -ﷺ- قال: «**إذا عُملَت الخطيئةُ في الأرض كاَن من شَهدها فكَرِهَها** -وقال مرة: فأنكرها- **كان كمن غابَ عنها، ومنِ غابَ عنها فَرضيها كان كمن شَهدها**» . أي: هم مشتركون في الإثم « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» متفق عليه.

فالشاهد من هذا كله اجتناب الفتن بالقلب واللسان والجوارح وهذا هو عنوان السعادة.

فقد روى أبو داود عن المقداد بن الأسود، قال: أيمُ الله، لقد سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: « **إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، ولَمَن ابتُلِيَ فَصَبَرَ فواهاً** » . أي: واعجباه ، يتعجب النبي ﷺ ممن نجا من الفتن وصبر على البلاء وقليل ماهم.

قال بعض السلف : ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! . اهـ

فهذه هي النجاة.فإن النجاة كل النجاة هي البعد عن الفتن، فقد سئل النبي ﷺ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: « **امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** » . رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فخير للعبد أن يغلق على نفسه بيته من الخوض في الفتن وإذا دخلت الفتنة

إلى بيته اعتزل بنفسه في رأس جبل يعبد الله حتى يلقى ربه يفر بدينه من الفتن فإن الموت خير من الفتنة.

فقد روى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ» وقوله :مواقع القطر: أي المطر وشعف الجبال أي: رؤوس الجبال.

وروى الإمام أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيد، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ » الحديث .

ومن المخارج يا عباد الله ونختم به أن يقبل العبد على شأنه وعمله ومزرعته ومواشيه ويدَع الناس يخوضون في الفتن وينجو بنفسه.

فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، أَلَا فَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ فِيهَا، أَلَا وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، أَلَا إِذَا نَزَلَتْ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ غَنَمٌ، وَلَا أَرْضٌ، وَلَا إِبِلٌ، كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: « لِيَأْخُذْ سَيْفَهُ، ثُمَّ لِيَعْمِدْ بِهِ إِلَى صَخْرَةٍ، ثُمَّ لِيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ »، إِذْ قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُخِذَ بِيَدِي مُكْرَهًا حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ ، فَيَحْذِفُنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ فَيَقْتُلَنِي، مَاذَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِي؟ قَالَ: « يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .

وهذا إذا كانت الفتنة قتال بين طائفتين من المسلمين فيجب الابتعاد عن ذلك وعدم المشاركة فيها ولا الخوض فيها، وأشار النبي ﷺ إلى ذلك بكسر السلاح لئلا يقتل مسلماً.

وروى مسلم عن عَامِرُ بْنُ سَعْد، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص رَضيَ الله عَنْهُ فِي إِبله، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بالله منْ شَرِّ هَذَا الرَّاكب، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبلكَ وَغَنَمكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْره، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ » .

ومعنى الغني: أي عن هذا الذي يتقاتل عليه الناس، والخفي الذي أخفى نفسه عن الفتن وأهلها وانقطع عنها باشتغاله بالعبادة وأمور نفسه ومعيشته.

و إذا كثرت الفتن حتى اختلط الحابل بالنابل، فعلى العبد أن يأخذ ما يعرف أنه حق ، ويترك ما يعرف أنه باطل ، ويبتعد عن الشبهات ويترك الناس، ويقبل على شؤون نفسه.

فقد روى أبو داود وابن ماجه عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قَالَ: « كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشكُ أَنْ يَأْتِيَ، يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاس، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا؟ » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه- قَالُوا: كَيْفَ بنَا يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ ذَلكَ؟ قَالَ: « تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ» .

وقوله: « خَاصَّتِكُمْ» أي: شأنكم.

قال أبو الطيب آبادي رَحِمَهُ اللهُ في معنى قوله:(يُغَرْبل النَّاس) : أَيْ يذْهب خِيَارهمْ وَيُبْقِي أَرَاذِلهمْ كَأَنَّهُ نَقَّى بِالْغِرْبَالِ ..اهـ

وقال الشيخ العباد: والغربلة: أنهم يفتنون فيتميز الصالحون من غيرهم وتبقى حثالة كالنخالة التي تكون في المنخل عندما يغربل فيه الحب أو الدقيق، فإنه يسقط الشيء الخالص، ويبقى الحثالة التي لا تدخل من ثقوب المنخل، فهؤلاء الذين يبقون هم مثل الحثالة التي تبقى في المنخل، والذين فيهم الخير يخرجون كما يتساقط الدقيق أو الحب من فتحات أو من خروق المنخل.اهـ

فهذا شأن الفتن أنه يتميز فيها الصادق من الكاذب وتغربل الناس فلا يصفو إلا من ثبته الله وعصمه بتمسكه بكتاب ربه وسنة نبيه ، كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ،ما ظهر منها وما بطن، اللهم جنبنا وبلادنا وبلاد المسلمين الفتن، ومن أراد بنا فتنة فاشغله في نفسه ،ورد كيده في نحره، اللهم إن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

٢٣

لزوم الثبات عند المحن والبلاء (١)

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

نعوذ بالله من البدع ومن الضلالات ومن النار.

أيها الناس ... عباد الله..

إن من سُنن الله في أرضه أن يبتلي عباده بأنواعٍ من البلايا والفتن والمصائب

---

(١) تلقى هذه الخطبة عند المحن والابتلاء ، وتصلح في أي زمن.

والمحن، ليتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، فيثبت الثابت، ويتذبذب المذبذب، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة ، ويمحص الله المؤمنين ويمحق الكافرين .

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال : «إنه مؤمن» ، وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سُنَّته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. فمن أثرت في قلبه الشبهات شكًا وريبًا، وصرفته الشهوات إلى المعاصي وترك الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها. اهـ بتصرف في آخره.

فقد يبتلى العبد بالخير وقد يبتلى بالشر وقد يبتلى بالصحة وقد يبتلى بالمرض وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

وقد يبتلى بالأموال والبنين وزهرة الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن:١٥] .

وقد يبتلى المؤمنون بتسلط الأعداء عليهم من أهل الكفر والضلال ليتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق لأنه لو كان النصر والغلبة للمؤمنين بصورة مستمرة لدخل في الإسلام من ليس منه خوفًا من القتل كحال المنافقين.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

فالمؤمن يتقلب بين أمرين : إما خير فيشكر ، وإما ضر فيصبر ، وهو مأجور في كلا الحالين.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ صُهَيْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **عَجبًا لأَمْر الْمُؤْمن، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَد إلَّا للْمُؤْمن، إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » .

فمن كان كذلك فقد فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب ولا يمكن لمؤمن أن يدخل الجنة إلا بعد أن يلاقي أنواعًا من البلايا والامتحانات كما أخبر ربنا

في كتابه الكريم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[البقرة:٢١٤].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سُنَّته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد ابتلى الله الأقدمين بالفقر والأمراض ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار ...فلشدة الأمر وضيقه قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾. فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فكل من قام بالحق فإنه يمتحن. فمن صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء. اهـ ملخصًا .

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أن أشد الابتلاءات وأعظمها البلاء في الدين أما الابتلاء في أمور الدنيا فإنه يسير، فالابتلاء في الدين يتميز فيه الصادق من الكاذب، فمن ثبت نبت ، ومن انحرف فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين، فيتوجب على العبد أن يثبت على الحق وأن يصبر على البلاء ليفوز بسعادة الدارين، وليحتسب الأجر والثواب عند الله، فلقد صبر قوم ممن

كان قبلنا فنصرهم الله في الدنيا وأثابهم في الآخرة كما أخبر ربنا في كتابه ونبينا ﷺ في سُنَّته ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ خَبَّاب بْن الأَرَتِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « **شَكَوْنَا إِلَى رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَة، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بِالْمنْشَار فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه فَيُشَقُّ باثْنَتَيْن، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاط الحَديد مَا دُونَ لَحْمه منْ عَظْم أَوْ عَصَب، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ منْ صَنْعَاءَ إلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إلَّا اللهَ، أَو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمه، وَلَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلُونَ** » .

ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع القصص من الثبات عند البلاء ممن كان قبلنا.

من ذلك ما روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة الثلاثة النفر والغلام والراهب وجليس الملك الذين ابتلاهم الله بذلك الملك الطاغية. قال صلى الله عليه وسلم: « كَانَ مَلكٌ فيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحرٌ، فَلَمَّا كَبرَ، قَالَ للملك: إنِّي قَدْ كَبرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إلَيْه غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ، فكَانَ في طَريقه، إذَا سَلَكَ رَاهبٌ فقَعَدَ إلَيْه وَسَمعَ كَلامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فكَانَ إذَا أَتَى السَّاحرَ مَرَّ بالرَّاهب وَقعَدَ إلَيْه، فإذَا أَتَى السَّاحرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلكَ إلَى الرَّاهب، فَقَالَ: إذَا خَشيتَ السَّاحرَ، فَقُلْ: حَبَسَني أَهْلي، وَإذَا خَشيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَني السَّاحرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظيمَة قَدْ حَبَسَت النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحرُ أَفْضَلُ أَم الرَّاهبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهب أَحَبَّ إلَيْكَ منْ أَمْر السَّاحر فَاقْتُلْ هَذه الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ منِّي، قَدْ بَلَغَ

مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلملك كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الملكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الملكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الملكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الملكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الملكِ، فَقَالَ لَهُ الملكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الملكِ، فَقَالَ لَهُ الملكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلملكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي

كَبد الْقَوْس، ثُمَّ قُلْ: باسْم الله رَبِّ الْغُلَام، ثُمَّ ارْمِني، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلكَ قَتَلْتَني، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعيد وَاحد، وَصَلَبَهُ عَلَى جذْع، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا منْ كنَانَته، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبْد الْقَوْس، ثُمَّ قَالَ: باسْم الله، رَبِّ الْغُلَام، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغه، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغه في مَوْضع السَّهْم فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا برَبِّ الْغُلَام، آمَنَّا برَبِّ الْغُلَام، آمَنَّا برَبِّ الْغُلَام، فَأُتيَ الملكُ فَقيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تحْذَرُ؟ قَدْ وَالله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بالْأُخْدُود في أَفْوَاه السِّكَك، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجعْ عَنْ دينه فَأَحْمُوهُ فيهَا، أَوْ قيلَ لَهُ: اقْتَحمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّك عَلَى الْحَقِّ » .

الشاهد أن هؤلاء الثلاثة والمرأة رابعهم، ثبتوا عند المحنة وباعوا أنفسهم لله بمقابل جنة عرضها السماوات والأرض، ولم يتزعزعوا أمام التهديدات والعذاب والقتل في سبيل الله.

بخلاف بعض الناس ربما لو جاءه وعيد من وراء وراء لرأيته يتنازل عن دينه أو عن شيء من دينه أو تراه يترك سُنَّة خوفًا من الناس وترى بعضهم يحلق لحيته لئلا يقول الناس هذا متشدد أو إرهابي، فأين هذا من هؤلاء وما ذا حصل لهذا بمقابل ما حصل لأولئك .

فانظر إلى الغلام وثباته وتوحيده وثقته بربه ودعوته إلى دين الله حيًّا وميتًا وانظر إلى همته العالية كيف جعل الناس يؤمنون بالله على حساب نفسه وإزهاق روحه الطيبة ، فبعض الناس مستعد أن يتنازل عن شيء من دينه ، خوفًا من الفقر أو بمقابل حطام من الدنيا زائل.

وانظر كيف ثبت الله تلك المرأة وأنطق صبيها ليثبتها ويصبرها لما علم الله من صدقها وإخلاصها:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

ﭐلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه القصة هي التي ذكرها الله في سورة البروج في قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[البروج:٤] .

فيا عبد الله : إن علم الله صدقك وإخلاصك ثبتك ووفقك وعصمك، وهانت عليك المصائب في سبيل دينك، فكن مثل هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاحُ

فبعض الناس من ضعفاء النفوس يتأرجح عند حصول الفتن والابتلاءات و يتذبذب ،وما وصل إليه أذى، لا بالقول ولا بالفعل ، وإنما مجرد توقعات أو تهويلات فقط، والله المستعان.

فالصبرَ الصبرَ، والثباتَ الثباتَ، فمن ثبت نبت ،ومن صبر أُجر، والأمور كلها بيد الله ، ونواصي العباد كلها بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فيا عبد الله : لا تترك الحق خوفًا من الناس، فإن عذاب الله أشد من فتنة الناس، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[العنكبوت:١٠] .

أي: أنه يوافق الناس ويطاوعهم خوفًا من أذاهم ، فجعل فتنتهم كعذاب الله ، فقدم عذاب الله وآثره على فتنة الناس وأذاهم ، ليسلم منهم .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَيْ جَعَلَ أَذَى النَّاس وَعَذَابَهُمْ كَعَذَاب الله في الْآخِرَةِ، أَيْ جَزِعَ من أذى النَّاس وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَأَطَاعَ النَّاسَ كَمَا يُطِيعُ الله مَنْ خاف من عَذَابَهُ، هَذَا قَوْلُ السُّدِّيِّ وَابْنِ زَيْدٍ. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي جعلها صادة له عن الإيمان والثبات عليه ، كما أن العذاب صاد عما هو سببه. اهـ

وإليكم نماذج من ثبات النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمام كفار قريش ، وأمام العرب والعجم ، وأمام الفرس والروم ، وأمام المغريات وأمام المحن والتعذيب ، ولكنهم ثبتوا بإيمانهم وبتوفيق الله لهم. فلقد ضربوا أروع الأمثلة من الثبات عند البلاء.

فأما النبي ﷺ فقد عرضوا عليه الملك والرياسة وعرضوا عليه المال والنساء، فلم يكن همه إلا تبليغ دين الله والفوز برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فصبر في سبيل ذلك على كل أذى صدر منهم ولاقى منهم ألوانًا من الشتم والسب بل قد ضربوه وأدموه وخنقوه ووضعوا السلا على ظهره الشريف ، فإنه لما لم يطاوعهم لِما أرادوا تعرضوا له بالأذى بالقول والفعل وأرادوا قتله فأخرجه الله من بين أظهرهم سالمًا وأذن له بالهجرة.

فقد روى ابن عساكر عن عقيل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب ، فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ، فانهُهُ عن أذانا ، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد فذهبت فأتيته به ، فقال يا ابن أخي: إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم ، فانتهِ عن ذلك ، قال : فحلق رسول الله (ﷺ) بصره إلى السماء فقال : «أترون هذه الشمس؟» ، قالوا نعم قال: « ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تستشعلوا لي منها شعلة » ، قال: فقال أبو طالب ما كذب ابن أخي فارجعوا.

وروى أبو يعلى وغيره عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قريشا بعثوا أبا الوليد عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال: فقال له رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال: يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الأطباء ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: « أفرغت يا أبا الوليد؟»، قال: نعم، قال: « فاستمع مني»، قال: أفعل، فقرأ ﷺ صدر سورة فصلت ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾[فصلت : ١ - ٤] .

وفي رواية حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فقال أبو الوليد :حسبك، أنشدك الله والرحم إلا سكت، وأمسك عتبة على فيه.

ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » . فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد، بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس فيهم قالوا ما وراءك، يا أبا الوليد، فقال

ورائي إني سمعت قولاً، والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.

وفي رواية: قال: وقرأ السورة إلى قوله:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت : ١٣] ، فأمسكت بكفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فقال أبو جهل لعنه الله:نحن نجمع لك أموالا يا أبا الوليد تغنيك عما في يد محمد.

الشاهد أن النبي ﷺ ثبت أمام المغريات وفي المقابل فإنه ثبت أمام الأذى بالقول والفعل ومفارقة الأحباب والأصحاب والأوطان في سبيل تبليغ الرسالة.

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ–، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ–: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُد، قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ

يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

فالنبي ﷺ لايبالي بما حصل له ولم يكن همه الانتقام لنفسه مع قدرته عليهم بعدما سمع من جبريل وملك الجبال عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، لكن هناك أمر أعظم من هذا ينظر إليه بعين الاعتبار، وهو إقامة دين الله والصبر على الأذى في سبيل تبليغه، فنظر إلى العواقب فكانت حميدة، فقال عليه الصلاة والسلام : « **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »** .

وقد حقق الله أمنيته وأخرج منهم ومن أصلابهم سادةً وقادةً ومجاهدين في سبيله فتحوا الأمصار وأهانوا الكفار وقاموا الليل وصاموا النهار أمثال عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وخالد بن الوليد وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين .

فالشاهد أن نبينا ﷺ أوذي وعودي وأخرج من بلده وحصل له الأذى من أقرب الناس إليه كعمه أبي لهب لعنه الله فقد كان يرجمه بالحجارة ويقول: لا تصدقوه أنا عمه وأنا أعلم به.

وفي غزوة أحد جُرح عليه الصلاة والسلام في وجهه وكسرت رباعيته وكاد أن يقتل فسلمه الله وقُتل عمه حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو من أحب الناس إليه (أسد الله وأسد رسوله)، وقُتل سبعون من خيار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهو ﷺ صابر ومحتسب ، وثابت على دين الله وعلى تبليغه إلى الناس ، حتى وصل إلينا غضًّا طريًّا ، ولم يحصل لنا من الأذى عشر معشار ما حصل للنبي ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، وسيأتي قريبا ذكر بعض الأمثلة ، لما حصل لهم من الأذى والتعذيب في سبيل هذا الدين.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أنعم علينا بهذا الدين الحنيف وأكرمنا به، لكن جعله محفوفًا بالمكاره ، وتحمل المشاق والأعباء في سبيل حمله وتبليغه للناس ، ورتب على ذلك جنة عرضها السماوات والأرض ، فمن حمل هذا الدين وصبر على الأذى في سبيله ، كان العوض هو الجنة ، ومن انتكس على عقبيه وانقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة.

والأجر يكون على قدرالصبرعلى البلاء، فمن عظم صبره واشتد بلاؤه زاد أجره، والصبر يكون على حسب الإيمان وقوته، ولهذا لما كان إيمان الصحابة كالجبال ، بذلوا في سبيله كل غالٍ ونفيس ، وتركوا الأهل والأوطان وهاجروا إلى الله ورسوله ، وتحملوا في سبيله جميع أنواع الأذى والتعذيب ، فمنهم من قُتل في سبيل هذا الدين ، ومنهم من سلب ماله ، ومنهم من عذب في حر الرمضاء وقت الظهيرة ، ومنهم من ضرب حتى كاد أن يموت ، ومنهم من سجن حتى كاد أن يموت جوعًا وعطشًا ، وغير ذلك من ألوان الأذى والتعذيب.

فقد روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَنَعَهُ الله بعَمِّه أَبِي طَالِب، وَأَمَّا أَبُو بَكْر فَمَنَعَهُ الله بقَوْمه، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا

وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ.

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ» رواه البهيقي

فما كان منه ﷺ إلا أن ثبتهم وصبرهم ووعدهم بالجنة فهان عليهم العذاب فأما سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فرموها بسهم في فرجها فماتت وكانت أول شهيدة في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهؤلاء ثبتوا أمام التعذيب.

وبالمقابل فإن منهم من ثبت أمام الدنيا وأما المغريات فعرضت عليه فأباها.

منهم كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان من شأنه أن تخلف عن غزوة تبوك هو وصاحباه فهجره النبي ﷺ وأصحابه خمسين ليلة فلم يكلمهم ولم يرد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حتى أنزل الله توبته عليهم بقرآن يتلى إلى قيام الساعة فلما سمع ملك غسان وكان نصرانيا بقصة كعب بن مالك وهجره، أراد أن ينتهز الفرصة فيغريه بشيء من المال ولعاعة الدنيا فكتب إليه كتابا هذا نصه: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ: فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا. أي: قصد بها التنور فأحرقها.

والقصة في الصحيحين عن عبد الله بن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فتصور يا عبد الله : لو أن أحدا من ملوك النصارى اليوم كتب مثل هذه

الرسالة إلى أحد أبناء المسلمين ماذا سيكون الرد؟

فإن بعض المسلمين اليوم من يتمنى الدولارات ولوعلى حساب دينه فهو مستعد أن يتنازل عن دينه أو عن شيء من دينه!أو يترك السُّنَّة من أجل لعاعة الدنيا! بل بعضهم مستعد أن يبيع دينه ويتنصر بمقابل ألف دولار من النصارى ولكن لم يتسنَ له ذلك والعياذ بالله، والمنظمات التبشيرية والتنصيرية والماسونية أكبر دليل فقد خطفوا كثيرًا من أبناء المسلمين من ضعفاء النفوس وعباد الدنانير فلحقوا وراءهم، وظنوا أنهم قد فازوا، وهم في الحقيقة قد خسروا خسارة عظيمة، وأما الدنيا فإنها زئلة وفانية مهما تزخرفت لهم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ١٥] .

فالمال ياعباد الله فتنة عظيمة، ينهزم أمامه كثير من الناس -نسأل الله العافية- فقد روى الترمذي عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**» .

ومن الناس من يثبت على دينه وقت الرخاء ورغد العيش، فإذا جاءت المصائب والابتلاءات والفقر والمكدرات التي من شأنها تمحيص العبد وامتحان إيمانه إذا به ينحرف ويتذبذب ولا يثبت، وربما ارتد عن دينه والعياذ بالله.

وهذا الصنف يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:١١] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفًا، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ أي: إن استمر رزقه

رغدا، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، ﴿ **وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ** ﴾ من حصول مكروه، أو زوال محبوب ﴿ **ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ** ﴾ أي: ارتد عن دينه. اهـ

ونختم بهذه القصة من قصص الصحابة في الثبات على الحق والصدع به، وهي قصة أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما جاء من غفار إلى النبي ﷺ ليسلم قال فقلت له: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: « **يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ** » فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ.

فالثباتَ الثباتَ ياعباد الله، الثبات على دين الله والعمل به والصدع بالحق والصبر على البلاء من أجله.

اللهم إنا نسألك الثبات على دينك وعلى سُنَّة نبيك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، والحمد لله رب العالمين.

٢٤

الدفاع عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فإننا نسمع بين الحين والآخر بعض الطعونات والتنقص، ومحاولة التشويه

(١) تلقى هذه الخطبة حين يُطعن في نبينا ﷺ وتصلح في أي وقت .

ملاحظة : الخطبة طويلة شيئًا ما فعلى الخطيب أن يخطب منها بالقدر الذي يكتفي به ، فإذا جاء الوقت توقف وأنهى خطبته ، أو يختصرها ويحذف منها ما شاء .

بنبينا ﷺ من قِبَل أعداء الله وأعداء نبيه وأعداء الملة ، وهذا ليس وليد عصره وليس هذا حدثا جديدا ، فقد طعنوا فيه حال حياته فقالوا: شاعر وقالوا: كاهن وقالوا :مجنون وقالوا:مفترٍ إلى غير ذلك ، فلم يضروه شيئًا ومازاده الله إلا عزا ورفعة ، وما نقم منه الكفار إلا أن رفعه الله وأكرمه بالرسالة وجعل له المنزلة الرفيعة والمكانة العالية في الدنيا والآخرة وما ذاك إلا حسدا منهم لنبينا ﷺ وأمته قديما وحديثا فلجأوا إلى الطعن فيه.

وقد زكاه الله في كتابه، وأقسم على صدق رسالته، وشرح صدره، ورفع قدره ، فمهما نالوا منه أو تنقصوه فلن يضروه شيئًا ، وإنما ضروا أنفسهم، وكما قيل: «ما ضر السحاب نبح الكلاب».

قال الله تعالى في كتابه الكريم:﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ ﴾ [القلم:١-٧] .

أقسم الله في هذه السورة الكريمة بالقلم العظيم الذي كتب الله به الذكر أو كتب به مقادير كل شيء كما ذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأقسم بكل مكتوب: على تبرئة نبيه ﷺ مما نسبه إليه المبطلون أو طعن به المشركون أو تنقصه الملحدون، فبرأه مما نسبوه إليه من الكهانة والسحر والجنون وأكد سبحانه بأنه صاحب الخلق العظيم والقلب الرحيم وأن ما أوتيه نعمة من رب العالمين.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام،التي تكتب بها أنواع العلوم،ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة نبيه محمد ﷺ ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلقك الذي من الله عليك به. اهـ

و برأه الله من الشعر والكهانة، فأقسم على ذلك بكل مشاهد وغائب فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[الحاقة:٣٨-٤٢].

وقد شرح الله صدره ووسعه لحمل الرسالة وقبول الحق والإيمان، ومعرفة الهدى وسلوك سبيله.

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾[الشَّرح:١-٤] .

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: نشرح صدرك للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق فقلبنا قلبك وجعلناه وعاء للحكمة. اهـ .

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن جملة الشرح شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء والمعراج ، وما فعل بصدره وهو ابن عشرين سَنة من حادثة شق الصدر ، وأخرجوا من صدره كهيئة العلقة ، ووضعوا فيه الرأفة والرحمة ، ونزعوا منه الغل والحسد. اهـ ملخصًا.

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا لا يكاد ينقاد لخير﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾﴾ أي: ذنبك، ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ﴾ أي: أثقل﴿ظَهۡرَكَ﴾ كما قال تعالى:﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] . ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر

رسوله محمد ﷺ.وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته. اهـ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله :﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرتَ مَعِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ ذكره فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتشهد وَلَا صاحبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.اهـ

ولكمال رسول الله ﷺ وعلو منزلته ، صلى عليه الله وملائكته وأمر خلقه بالصلاة عليه ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

والصلاة عليه هي الدعاء والثناء ، فهي من الله الرحمة ومن الملائكة الثناء ومن الناس الدعاء.

قال أبو العالية كما في صحيح البخاري: صلاة الله ثناؤه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلوا عليه أي: ادعوا له.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. اهـ

فماذا ينقم الأعداء من نبينا محمد ﷺ فإنه خير من وطأ الحصى ، وهو سيد ولد آدم .

وهو صاحب الشفاعة العظمى في أرض المحشر التي يعتذر عنها أولو

العزم من الرسل.

وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يقرع باب الجنة لا يفتح خازن الجنة لأحد قبله .

وهو صاحب الوسيلة وهي أعلى مكان في الجنة.

وهو الذي بلغ سدرة المنتهى و لا يزال في الدنيا.

وهو صاحب الأخلاق العالية والخصال الحميدة والصفات السامية.

فلم يكن فاحشا ولا متفحشًا ولا سبابًا ولا لعانًا ولا صخابًا بالأسواق .

ولم يكن جبانًا ولا كذابًا ولا بخيلًا .

فماذا ينقم منه عبَّاد الأوثان والأصنام وعباد الأبقار والأقمار وعباد الفئران والفروج أهانهم الله فصاروا عبيدًا لأراذل الأمور ، وأخس الأشياء وأحقرها. غرتهم دنياهم فأعجبوا بها ، فعسى الله أن يعذبهم بها ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة : ٥٥] .

فمهلاً أيها الأعداء ، وصبرًا أيها المسلمون فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٧٦ - ١٧٨] .

فلقد كان نبينا ﷺ ذا خُلق حسن مع الصغار والكبار،ومع الأغنياء والفقراء، ومع الأقوياء والضعفاء، يمشي مع الفقير ويداعب الصغير، ويعطف على الكبير، كان خُلقه القرآن الكريم .

سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَتْ:

أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: « **فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ الْقُرْآنَ** » رواه الإمام أحمد .

وهو القائل ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخلَاقِ** ». رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو القائل ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أسوؤكم أَخْلَاقًا، والثَّرْثَارُونَ، والمُتَفَيْهِقُونَ والمُتَشَدِّقُونَ**». رواه أحمد والترمذي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فانظر إلى صاحب الخلق الكريم يحب أصحاب الأخلاق الكريمة وهم أقرب منه يوم القيامة ، ويكره أصحاب الأخلاق الذميمة وهم أبعد منه يوم القيامة ، فماذا ينقم منه الأعداء قبحهم الله؟!.

وروى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال: خَدَمْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ. وفي رواية عند البخاري : «عشر سنين».

ـ وأما كرمه ﷺ فلقد كان أكرم الخلق فكان يقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق ويعطي المحتاج ويغيث الملهوف.

ففي الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « **مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا** ».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ:

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ... لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ

وقد كان من جوده وسخائه أنه يعطي عطاءً لا يخشى الفقر ، وهو الذي كان لا يوقد في بيته النار الشهر والشهران لكنه كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وكان كالغيث للأرض المجدبة والمنعمة.

ففي صحيح مسلم عن أَنَسِ بن مالك، قَالَ: « مَا سُئِلَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً ما يَخْشَى الفقرَ ».

وهو القائل ﷺ: « **لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا**» رواه البخاري عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فماذا ينقم الكفار من نبينا ﷺ.

وأما شجاعته فلقد كان أشجع الناس ولقد كان قائدا مغوارا وكان خبيرا بالحروب وكان يكون في مقدمة الجيش وكان يثبت إذا فر الناس ويتقدم نحو العدو وإذا حمي الوطيس اتقى به أصحابه فيكونون دونه وفي غزوة حنين لما انكشف المسلمون ركض ببغلته نحو العدو وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**» .

روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهْوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهْوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا ، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ.

وفي الصحيحين أيضًا عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا جاء إليه فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ

الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ»، قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أقبلِ يمشي، حتى استلم الرُّكْن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلمّا أنْ مرَّ بهم، غمَزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانيةَ، غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثةَ، فغمزوه بمثلها، فقال: «تَسْمعون يا معشر قريش، أمّا والذي نفْس محمَّد بيده، لقد جئتُكم بالذبْح» .

فأخذَت القومَ كلمته، حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ انْصَرِفْ رَاشِداً فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولاً.

وأما خِلقته ﷺ فلقد كان أحسن الناس وجها كأنه مذهبة وكان أجمل الناس كأنه القمر ، ليس بالطويل ولا القصير ، شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلَيْسَ بِالآدَمِ وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلاَ بِالسَّبْطِ بَعَثَهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ.

وروى الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَإِلَى القَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ القَمَرِ.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» .

وروى الترمذي:عن أنس قال :»خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ قط وما قال لشيء صنعته لمَ صنعته ولا لشيء تركته لمَ تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ».

وأما رحمته ﷺ وشفقته فقد كان أرحم الناس وأرأفهم فلقد كان رحيمًا حتى بالحيوانات عليه الصلاة والسلام قال تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[آل عمران:١٥٩].

ومن رحمته أنه لما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق على كفار قريش جبلين عظيمين في مكة فأبى رحمةً بهم ولعل الله أن يهديهم أو يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله .

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ

مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

فيا أيها الناس: إن أعداء الدين قد نالوا من نبينا ﷺ أشد النيل قديمًا وحديثًا وآذوه أشد الأذى فقد وضعوا سلا الجزور على كتفه الشريف وهو ساجد وكادوا أن يقتلوه فسلمه الله.

ففي صحيح مسلم عَنِ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ

الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَام، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» - وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ - فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ - قَلِيبِ بَدْرٍ -».

« والسَلَا» هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوانات.

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال في حديث طويل: ... ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجاميع ردائه وقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي ويقول: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ** ﴾ [غافر: ٢٨] .

وروى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**».

قال المناوي في معنى الحديث :أي هُدِدت وتُوعِدت بالتعذيب والقتل بسبب إظهار الدعاء إلى الله تعالى وإظهار دين الإسلام «وما يخاف أحد» أي: خوفت في الله وحدي وكنت وحيدًا في ابتداء إظهاري للدين فأذاني الكفار بالتهديد والوعيد الشديد فكنت المخصوص بينهم بذلك في ذلك الزمان ولم يكن معي أحد يساعدني في تحمل أذيتهم.اهـ.

أوذي نبينا ﷺ حيًّا وميتًا ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كفاه ودافع عنه حيًّا وميتًا.

قال تعالى:﴿ ۞ **إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ** ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج:٣٨] ، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ** ﴿٩٥﴾ ﴾ [[الحِجر:٩٥].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : وهذا وعد من الله لرسوله ﷺ ، أن لا يضره

المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة. اهـ

وتوعد الله كل من آذى نبيه أو تنقصه أو استهزأ به باللعن والطرد من رحمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾[الأحزاب:٥٧] .

هذا هودفاع الله عن نبيه.

فيجب على المسلمين أن يدافعوا عنه ﷺ ، بالسيف والسنان وبالحجة والبرهان، فأما السيف والسنان فيكون بقتال أعداء الله وأعداء رسوله، وأعداء المسلمين ، وأما بالحجة والبرهان فيكون بنشر دعوته وسيرته وفضائله، والعمل بسُنَّته ﷺ ، والدفاع عنها ، والدعوة إليها ، ويكون ذلك بالقلم واللسان ، ولا عذر لأحد في هذا فإنه بمقدور كل مسلم أن يفعله والله المستعان.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الأولين والآخرين وسيد الأنبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، بعثه الله رحمة للعالمين ، وبشيرًا للمؤمنين ، ونذيرًا للكافرين ، وداعيًا إلى رضوان رب العالمين ، وإلى جنات النعيم ، ونذيرًا من نار الجحيم ، فتح الله به آذانًا صمًا ، وأعينًا عميًا، وقلوباً غلفًا ، وألسنةً بكمًا ، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الله في محكم التنزيل: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزُّمَر:٣٦] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾، يعني: محمدًا ﷺ. وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصًا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد ﷺ، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء. اهـ

فإن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد دافع عن نبيه ﷺ ولا زال يقيض رجالاً يدافعون

عنه وعن دعوته، ويحيون سُنَّته ويذودون عن حياضه ويدافعون عن عرضه الشريف بعد موته ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وسنذكر بعض النماذج والأمثلة في دفاع الله عن نبيه في حال حياته وكيف أهلك الله كل من استهزأ به بعد موته كما وعده ربنا في كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾[محمد:١٠] .

وقال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة : ٦١] .

وفي هذه الدقائق نذكر بعض الأمثلة في دفاع الله عن نبيه بإهلاك المستهزئين به :

* فهذا أبو جهل -لعنه الله- الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ،فقد قتله الله يوم بدر ، إذ سخر له غلامين صغيرين قتلاه ، وهما معاذ ومعوذ ابنا عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كما في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكان له موقف مخز ، وهو أنه أراد أن يطأ على رقبة النبي ﷺ وهو ساجد ، فلما تقدم نحوه رجع القهقراء خائفًا مذعورًا خائبًا ذليلاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[الحج:٣٨] .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ

الله عزَّ وجلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق: ٦-١٧].

وكذلك عمه أبو لهب -لعنه الله- كان يؤذيه ويصد عنه وعن دعوته، فأنزل الله فيه سورة، تتلى إلى يوم القيامة ذمه فيها، وأخبر بأنه هو وامرأته في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد: ١-٥].

وقد روى البيهقي وأحمد عن رَبِيعَة بْن عِبَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوق ذِي المجَاز، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا ». وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْه، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْه، أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالُوا لِي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

ولقد مات أبو لهب شر ميتة، إذ قتله الله بمرض العدسة، وهو مرض خبيث كانت قريش تتقيه كما يتقي الناس الطاعون، ولما مات تركه بنوه ليلتين أو ثلاث لم يدفنوه، حتى أنتن في بيته، حتى قيل لأبنائه: ألا تستحيان؟. ذكره البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات أبو لهب -لعنه الله- بالعدسة، بحيث لم يقربه

أحد من أقاربه ،وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد ورجموه حتى دفنوه. اهـ

* وأما كسرى الذي مزق كتاب رسول الله ﷺ فقد مزق الله ملكه بينما قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله فبقي له ملكه.

فقد روى ابن سعد عن جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أن النبي ﷺ بعث كتابًا إلى كسرى فأخذه فمزقه فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه». والقصة في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وأما قصة قيصر فهي في الصحيحين عن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ـ وهذا رجل من فراعنة العرب يستهزئ بالله ورسوله ﷺ فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته .

فقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرعد:١٣] ، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ بعث رجلا إلى رجل من فراعنة العرب فَقَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي». قَالَ: فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَدْعُوكَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقَالَ لِرَسُولِ رَسُولِ الله: وَمَا اللهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ». فَقَالَ لَهُ مِثْلَهَا، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ». فَرَجَعَ

إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ، قَالَ: فَأَعَادَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْكَلامَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ بَعَثَ الله سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ، فَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ، فَذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ، فَأَنْزَلَ الله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[الرعد: ١٣] الْآيَةُ وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ ؟ ، بلى إن الله قد كفى عبده ورسوله ﷺ ، وسيكفيه فيما بقي بعد موته.

ومن دفاع الله عن نبيه أن حفظه من كفار قريش عام الهجرة وقد جمعوا له الجموع وبذلوا في قتله المئات من الإبل ومروا عليه وهو في الغار هو وصاحبه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأعمى الله أبصارهم وردهم خائبين.

وكان من ضمن من طاردهما وأراد العثور عليهما سراقة بن مالك بن جعشم قبل إسلامه فقد تبعهما فأدركهما فغارت فرسه في الأرض فرجع سراقة وقد قذف الله في قلبه الهداية للإسلام لما رأى من دفاع الله عن نبيه ﷺ.

فقد روى البخاري عن سراقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي

أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. الحديث.

* وممن قتله الله ممن كان يؤذي النبي ﷺ الحارث بن قيس وكان يقول محمد غر أصحابه أنهم سيبعثون فأكل حوتا مملوحا فما يزال يشرب حتى مات وامتلأ رأسه قيحًا فمات شر ميتة ، ذكره بعض المفسرين.

* وكذلك العاص بن وائل السهمي كان يؤذي النبي ﷺ وكان يقول: إن محمدًا منبتر مقطوع الذرية، وسيموت وينتهي أمره فنستريح منه، فأنزل الله فيه :﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[الكوثر: ٣] .

فقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قوله تعالى:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ نزلت في العاص بن وائل -لعنه الله- » .

وذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها نزلت فيه وقد أصيب بشوكة في رجله، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات.

* وهذه قصة ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني وذكرها الذهبي في معجم الشيوخ بإسناد صحيح أن الله سلط كلبًا على صليبي كان يطعن في النبي ﷺ فوثب عليه الكلب فعظه في رقبته فاقتلع حلقه، فمات لعنه الله.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ذات مرة توجَّه جماعةٌ من كبار النصارى لحضور حفلٍ مغوليٍّ كبير عُقِد بسبب تنصُّر أحدِ أمراءِ المغول، فأخذ واحدٌ من دُعاة النصارىٰ في شتم النبي – ﷺ –، وكان هناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبيُّ الحاقد في سبِّ النبي – ﷺ – زمجر الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبي وخَمَشه بشدةٍ، فخلَّصوه منه بعد جَهْدٍ.

فقال بعض الحاضرين: « هذا بكلامك في حقِّ محمد – ﷺ –فقال الصليبيُّ: كلاَّ، بل هذا الكلبُ عزيزُ النفس رآني أُشير بيدي، فظنَّ أني أُريدُ ضربه، ثم عاد لسَبِّ النبيّ – ﷺ – وأقذع في السبِّ، عندها قطع الكلبُ رِباطَه ووثب على عُنق الصليبيِّ وقَلَع زَوره في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحوُ أربعين ألفًا من المغول» .

وقال الذهبي شاهد هذه القصة جمال الدين : وافترسه الكلب والله العظيم وأنا أنظر ثم عظ على الصليبي زردمته أي حلقه فاقتلعها فمات الملعون ثم اشتهرت الواقعة.اهـ

فهذا الكلب خير من هذا الحاقد ، بل صارالكلب خيرًا من جميع الحاضرين أو أكثرهم إذ لم يدافعوا عن المصطفى ﷺ ودافع عنه الكلب وصار سببًا في إسلام الكثير منهم.

فانظروا ياعباد الله :كيف عرفت الحيوانات فضل نبيكم وعظمته ، بل والجمادات عظمته وعرفت قدره ومنزلته ، فضلاً عن بني آدم!.

فكانت تسلم عليه الأحجار ، وتستجيب له الأشجار ، وتحبه الجبال ، فلا خير في رجل لا يعرف حقه ﷺ.

فهؤلاء الذين يقعون في نبينا ﷺ أضل من الأنعام وأحقر من الحميرو

الكلاب ، بل هي أفضل منهم تسبح لله وتعظم النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة : ٥].

وقال تعالى عن ذلك المنحرف عن دين الله : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٦].

ودفاع الله عن نبيه ﷺ كثير حيًّا وميتًا.

فما هو موقف المسلمين من نبيهم الكريم وكيف يدافعون عنه؟.

فإن أعظم ما يدافعون به عن نبيهم هو نشر سُنَّته والعمل بها ، فهذا أشد على الكفار من الضرب بالحديد والنار ، فإنهم لا يخافون من القتال ، ولكنهم يخافون أن يتمسك المسلمون بدينهم ، وأن يعملوا بسُنَّة نبيهم ، ولذلك فإنهم يسعون جاهدين في محاربة الدين وإزاح المسلمين عن سُنَّة نبيهم الكريم بإدخال الأفكار الغربية والانظمة الوضعية إلى بلاد المسلمين عبر القنوات والصحف والمجلات، وعبر المستشرقين والمغتربين من المسلمين في بلاد الكافرين، ويفرحون بالبدع والحزبيات في بلاد المسلمين ، ويشجعون أهلها ويبذلون الأموال الطائلة في سبيل نشرها ، لأنها حققت مآربهم ، ففرقت بين المسلمين ، وجعلتهم شَذَرَ مَذَرَ ، فصارت كل فرقة تكيد للأخرى ، فانشغلوا

بأنفسهم ونسوا عدوهم.

فليس من الدفاع عن رسول الله ﷺ إقامة المظاهرات ، وإحداث البدع والمحدثات ، ففي هذا تشبه بالكفار ، وفي هذا إظهار للضعف عند المسلمين، وهذا لا يزيد الطين إلا بلة ، ولا يمت إلى الإسلام بصلة، بل هذا يفرح الكفار، ويزداد عداؤهم على الإسلام والمسلمين ، لأن المظاهرات تعبر عن ضعفهم، وهي طريقة غربية يضحك بها الكفار على المسلمين وليست من ديننا.

فإن من المدافعة عن رسول الله ﷺ هي مقاطعة أفكار الكفار وأنظمتهم وقوانينهم ، وعدم الأخذ بعاداتهم وتقاليدهم ، وعدم التشبه بهم في جميع معاملاتهم الخاصة بهم ، والتي ليست من ديننا.

كيف سَننتصر لرسول الله ﷺ ؟ ، وكثير من أبناء المسلمين يقلدون الكفار في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وكلامهم وفي قصات شعورهم! وتجد بعضهم يعظم اللاعب الفلاني ـ الكافر بالله رب العالمين ـ ، ويشيد به أكثر مما يعظم بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، بل تجد بعضهم يحفظ أسماء كثير من الكافرين والممثلين والمغنيين ، وتجده لا يحفظ خمسة من أسماء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بل بعض شباب المسلمين لا يعرف من هم الخلفاء الأربعة ! ، وهذه مصيبة على المسلمين، فنحتاج أن نراجع ديننا ، وأن نتمسك به ، وأن نعلم أجيالنا العقيدة الصحيحة والمنهج السليم.

فيا عباد الله ، لا ينفع الصياح بالشوارع كالمجانين ولا ينفع مقاطعة منتجات الكافرين ، فلا دليل على ذلك ، ولا يجدي ذلك شيئًا ، ولا يحرم علينا شراء ما نحتاجه منهم مما أباح الله ، وإنما الذي ينفع بإذن الله هو التمسك بالكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأمة.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يردهم إلى دينهم ردًا جميلاً.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك بمن شتم نبينا ، أو تنقصه أو نال من عرضه، اللهم اجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة تدورعليه، وأرِنا فيه عجائب قدرتك ،اللهم سلط عليه من شئت من خلقك، وأرسل عليه صاعقة من سمائك، يا قوي يا متين.

٢٥

المـوت هـادم اللـذات (١)

الخُطبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد:

فيقول ربنا في محكم التنزيل:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [المُلك:١-٢].

(١) تلقى هذه الخطبة عند حصول موت،وتصلح في أي وقت لتذكير الناس بالموت إذا غفلوا عنه.

فالموت والحياة مخلوقان للابتلاء والاختبار ، فإن الإنسان يعيش في هذه الدنيا ما شاء الله أن يعيش ، ويعمل ما شاء الله أن يعمل ، ثم يكون عاقبة أمره إلى الفناء ، قال تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قَالَ قَتَادَةُ: أَرَادَ مَوْتَ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتَهُ فِي الدُّنْيَا، جَعَلَ الله الدُّنْيَا دَارَ حَيَاة وَفَنَاء، وَجَعْلَ الْآخِرَةَ دَارَ جَزَاء وَبَقَاء. قِيلَ: إِنَّمَا قَدَّمَ الْمَوْتَ لِأَنَّهُ إِلَى الْقَهْرِ أَقْرَبُ. وَقِيلَ قَدَّمَهُ لِأَنَّهُ أَقْدَمُ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ فِي الِابْتِدَاءِ كَانَتْ فِي حُكْمِ الْمَوْتِ كَالنُّطْفَةِ وَالتُّرَابِ ونحوهما، ثم طرأت عَلَيْهَا الْحَيَاةُ. اهـ

فالموت له بداية وله نهاية ، وهو مكتوب على الخلائق في الدنيا لا محالة، ولا موت في الآخرة ، إذ أنها دار نعيم أو جحيم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « يُؤْتَى بالمَوْت كَهَيْئَة كَبْش أَمْلَحَ، فَيُنَادي مُنَاد: يَا أَهْلَ الجَنَّة، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّار، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّار خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم: ٣٩] .

فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، لأن الموت انتهى وهم لا يبغون عن الجنة حولاً ،ويزداد أهل النار غيظًا إلى غيظهم، وحزنًا إلى حزنهم، لأنهم يريدون الموت للتخلص من النار والخروج منها ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٧٧].

أيها الناس..

إن الله كتب الموت على كل نفس منفوسة، فكتبه على الصغير والكبير ، وعلى العزيز والحقير ، وعلى الغني والفقير ، وعلى الجندي والوزير، على الذكر والأنثى ، وعلى المؤمن والكافر ، وعلى البر والفاجر : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٥٧] .

قال ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كُـتِـبَ المـوت عـلى الخلق فكم ... فـلَّ من جيش وأنفى من دول

أيـن نـمـرود وكـنـعـان ومَـن ... ملك الأرض وولَّى وعـزل

أيـن من سـادوا وشـادوا وبنوا ... هلـك الكـل ولم تغـن القـلل

أيـن أربـاب الحجى أهـل النهى ... أيـن أهـل العلم والـقـوم الأول

سيـعيد الله كـلاً منـهـم ... وسيـجزي فاعلاً ما قد فـعل

فلا مفر من الموت ولا مهرب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة:٨] .

فيا عبد الله، استعد لهذا اليوم الذي تنقل فيه من بين أهلك وأولادك جثة هامدة، وتصور هذا الموقف وأنت بين أهلك وأولادك تأكل وتشرب وتضحك وتمرح، وما هي إلا لحظات إلا والضحك يتحول إلى بكاء وصياح وفجعات، تصور وأنت في بيتك في غرفة واسعة نيرة مفروشة بأحسن الفرش مفتحة النوافذ مرفوعة السقف، وبين عشية و ضحاها تنتقل منها إلى حفرة ضيقة مظلمة ، لا أنيس ولا جليس، جسدك طعام للدود وسقفك الأحجار

واللبن، ليس لك إلا الله ثم عملك الصالح، و تصور هذه الليلة التي صبيحتها إلى المقبرة، لا تغفل عن هذا فإنه واقع لا محالة.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[القيامة:٢٦] .

أي :إذا بلغت روح الميت إلى ترقوته التي في رقبته فينادي أهله من يرقيه؟، من يداويه ؟، لكن لو اجتمع أطباء العالم ورقاتهم، فلن يؤخروا من أجله ساعة واحدة، ولن يزيدوا من عمره لحظة واحدة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[الأعراف:٣٤].

قل للذي صنع الدواء بكفهِ أترد مقدورا عليك قد جرى

مات المداوِي والمداوَى والذي صنع الدواء بكفه ومن اشترى

﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾: قيل من يرقَى بروحه ؟هل ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾: تيقن أنه مفارق للدنيا ومفارق للأهل والأصحاب ومفارق للأقارب والأحباب، وأنه من الطين إلى التراب، ثم العرض والحساب، والوقوف بين يدي رب الأرباب.

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ : ذكر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها أقوالاً لبعض السلف كلها متقاربة .

قال: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال قتادة: الشدة بالشدة. وقال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : تتابعت عليه الشدائد، وقال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: اجتمع فيه الحياة والموت.

وقال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه.

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: هما ساقاه إذا التفَّتا في الكفن.

وقال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هما ساقاه عند الموت .

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي مرجع العباد » .أ هـ

هذا ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾، فما أصعب هذا الموقف ، وما أغفل كثير من الناس عن هذا .

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي: إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ، وأنتم تنظرون يا أهل الميت إليه ، متى تخرج نفسه ولا تملكون له من الأمر شيئًا، ولا تدفعون عنه ضرًا ، ونحن أقرب إليه بقدرتنا ورؤيتنا وبملائكتنا الذين يقبضون روحه ، وأنتم لا تبصرون ، فهلا إن كنتم غير محاسبين وغير مجزيين تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم. اهـ.بمعناه.

فيا أيها الناس ، لقد مات خير الخلق ، وخير من وطأ الحصى ، وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو تخلد أحد أو كانت الدنيا منقبة لما فارقها، ولو كتب الله البقاء لأحد

لكان نبينا ﷺ أولى بذلك، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزُّمَر:٣٠-٣١] .

وروى الطبراني عَنْ سَهْل بْن سَعْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: « يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » .

وهذا الحكم عام له ولغيره من الخلق وهوأن من عاش في هذه الدنيا فإنه سيموت ومن أحب شيئًا فسيفارقه ومن عمل عملاً فسيجازى به.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

والعاقل اللبيب هو الذي ينظر إلى ما بعد الموت فيستعد له لأن هناك أحد أمرين بعد الموت إما سعادة وفوز وإما خسارة وشقاء والعياذ بالله.

أيها الناس..

إن للموت سكرة تغطي العقل وتغلقه وهي منازعة الموت وشدته ، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق:١٩] . أي: هذا الذي كنت تفر منه وتهرب .

وقد عانى من سكرات الموت نبينا ﷺ .

ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكرب، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: « لَيْسَ عَلَى أَبِيك كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْم»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا

دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التُّرَابَ.

الشاهد قول فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « وَا كَرْبَ أَبَتَاهُ » أي: ما يجد من شدة الموت فقال عليه الصلاة والسلام: « **لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ** »، وكأنه يخبرها أن هذا آخر كرب يعانيه وهو كربة الموت وليس بعده كرب على نبينا ﷺ.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في موته ﷺ أنه كان يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: « لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلموْتِ سَكَرَاتٍ » الحديث.

ولما حضرت أبا بكر الوفاة قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حضرتُ موت أبي فأخذته غشية فتمثلتُ بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا ... حشرجت يومًا وضاقت به الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ ﴾[ق:١٩] .

هكذا عانى من سكرة الموت وشدته خير الخليقة ﷺ وخليفته من بعده خير هذه الأمة من بعده فكيف بمن غيره.

فالموت شديد على النفوس يا عباد الله.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبُ» وَأَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَدِّثُ قَالَ: « خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَتَوْا مَقْبَرَةً مِنْ مَقَابِرِهِمْ فَقَالُوا: لَوْ صَلَّيْنَا وَدَعَوْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ لَنَا رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ مَاتَ، فَنُسَأَلَهُ عَنِ الموْتِ ففَعَلُوا، فَبَيْنَمَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَطْلَعَ رَجُلٌ رَأْسَهُ مِنْ قَبْرٍ مِنْ تِلْكَ المَقَابِرِ خُلَاسِيٌّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالَ: يَا

هَؤُلَاءِ مَا أَرَدْتُمْ إِلَيَّ لَقَدْ مُتُّ منذ مائَة عَام، فَمَا سَكَنت عَنِّي حَرارَةُ الموْتِ إِلَى الْآنَ ، فَادْعُوا الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّنِي لِمَا كُنْتُ » .

هذا وإن سكرة الموت وشدته تختلف من المؤمن إلى الكافر ، فأما المؤمن فإن روحه تخرج بسهولة ويسر بدون تعذيب ، كما تخرج القطرة من فم السقاء، بينما روح الكافر تخرج بصعوبة وشدة وعذاب ، وتتقطع مع خروجها العروق والعصب ، وتضربه الملائكة عند خروج روحه ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنفال:٥٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣] .

وذلك حين تستصعب أرواحهم من الخروج وتمتنع فتخرج قهرًا.

وإليكم حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهوحديث طويل يكشف لنا رحلة المؤمن والكافر ومعاناة الموت وسكرته ونزول الملائكة وتشييعهم لهما والأحوال التي يمران بهما وما يعتريهما بعد نزع الروح إلى أن يصلا القبور وهي الحياة البرزخية بما فيها من نعيم أو عذاب.

فقد روى الإمام أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهما، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَده عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ،فَقَالَ:«اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا،»،

ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ » .

قَالَ: « فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ » .

قَالَ: « فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

قَالَ: « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ » .

قَالَ: « فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ » . قَالَ: «

وَيَأْتِيه رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْه، حَسَنُ الثِّيَاب، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْر، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي » .

قَالَ: « وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَة، نَزَلَ إِلَيْه مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوه، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَر، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَب » .

قَالَ: « فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المبْلُول، -وفي رواية: « فتخرج معه العروق والعصب»- فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوح، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْض، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الملَائِكَة، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِه الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِه إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ » ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا » ، زاد في رواية: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١] ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَده، وَيَأْتِيه مَلَكَان، فَيُجْلِسَانه، فَيَقُولَان لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ

فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» .

وفي رواية: فيقول: «بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلًا كَانَ تُرَابًا ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا ، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» . أي: الجن والإنس نسأل الله العافية والسلامة. والمرزبة هي مِطرقة من حديد.

وقول المؤمن: «حتى أرجع إلى أهلي ومالي» ، أي : في الجنة يجتمع بهم، والمسوح: هي ثياب من الشعر، والسفود: هو قطعة من حديد لها كلاليب.

وأثناء حمل الميت على الجنازة إن كان مؤمنًا يقول : «قدموني قدموني»، لأنه يعلم أنه سيقدم على روح وريحان، ورب غير غضبان، وقد بشر بذلك عند موته، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٠] .

وإن كان كافرًا يقول: «يا ويلي إلى أين تذهبون بي» ، ولو سمعه حاملو الجنازة لسقطوا وأغشي عليهم من هول الموقف، ولذلك يشرع الإسراع بالجنازة ، فإن كانت صالحة فخيرما تقدم إليه، وإن كانت فاسدة ، فشر يوضع

من الأكتاف.

وهذا ثابت في صحيح البخاري عن أبي سعيدالخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا وُضِعَتِ الجنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَة، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ** » .

اللهم هون علينا سكرات الموت ، وثبتنا عند سؤال منكر ونكير، وارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض، إنك أنت الغفور الرحيم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ،وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

أيها المسلمون عباد الله..

بعد أن تيقنا من الموت نقلاً وعقلاً وحسًا فإنه ينبغي علينا أن نستعد لما بعده وأن نكثر من ذكره وأن نعدد أنفسنا من الموتى فكم من إنسان أمسى ولم يصبح أو أصبح فلم يمسي، فلا تغرنكم الآمال فإن الأمل يأتي طولاً والأجل يأتي عرضًا فيقطع الأمل قطعا .

فقد جاء في البخاري عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: « هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا » .

وفي رواية: « هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ» يعني الأجل وهوالخط المربع المحيط به، والأعراض هي الآفات التي تصيب الإنسان في حياته وإن سلم منها بغته الأجل وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك.

وفيه الحث على تقصير الأمل فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: « إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » .

وينبغي الإكثار من ذكر الموت ، فإن تذكره يحمل العبد على العمل والاستعداد لما بعده.

فقد روى الترمذي وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ » .

وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها وإياك وكل أمر يعتذر منه » .

فذكر الموت هو الحياء من الله حق الحياء.

كما ثبت عند الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قال: « اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ » . قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للهِ، قَالَ: « **لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ** » .

والحياء من الله هو أن تعبد الله كأنك تراه، وأن تعدد نفسك من الموتى.

فقد روى الطبراني عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:« **اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموت** » الحديث .

فتقصير الأمل من علامة الفوز والفلاح يجعل صاحبه يقظًا فطنًا مستعدًا للموت فما بعده، وطول الأمل يلهي صاحبه ويورثه الغفلة وينسيه الآخرة فما يدري إلا والموت يطلبه، والدنيا تودعه، والقبر يستقبله.

فكم من إنسان خطب امرأةً فلم يتزوجها ، أو بنى عمارة فلم يسكنها ، أو اشترى سيارة فلم يركبها، ما الذي حال بينه وبين شهواته؟! ، إنه الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات :﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[سبأ:٥٤] .

فحُق لنا أن نبكي على أنفسنا لنفيق من غفلتنا قبل أن يُبكى علينا.

لما حضرت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة وبكى في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي. اهـ.

فهذا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذروة الحفاظ فكيف بنا نحن؟ .

فإياكم والغفلة ياعباد الله،كم قدغرت الدنيا من أناس فالتهوا بها ، وغفلوا عن الآخرة ، فاسألوا الله حُسن الخاتمة.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ارتحلت الدنيا مدبرة ،وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل. اهـ

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، اللهم ارزقنا توبة قبل الممات، وثباتا عند الممات، ورحمة بعد الممات ، اللهم هوِّن علينا سكرات الموت ، وضمة القبر ، وثبتنا عند سؤال منكر ونكير ، وأجرنا من عذاب القبر والنار، وارحمنا واغفر لنا يا رحيم يا غفار.

٢٦
تذكير البشر بنعمة المطر (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الأخوة المسلمون..

نحب أن نذكر أنفسنا في يومنا هذا بنعمة عظيمة غفل عن شكرها كثير من الناس ألا وهي نعمة الأمطار.

(١) تلقى هذه الخطبة في أيام المطر .

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال تعالى:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

ومن هذه النعم نعمة المطر وما يترتب عليه من خيرات.

قال تعال: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس : ٢٤ - ٣٢] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة.

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ للنبات ﴿ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية ﴿ حَبًّا ﴾ وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ ﴾ وهو القت، ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك.

والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.اهـ

فالمطر يا عباد الله جعله الله سببًا للحياة، فبه حياة الإنسان والجان، والطير والحيوان، والحشرات والحيتان، والأرض والنبات ، وجعله الله مصدرًا للأرزاق .

قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ هو المطر ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ هي الجنة قاله ابن عباس ومجاهد وغيره. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ أي مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجزاء في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار.اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي :أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء. اهـ.

والمطر عباد الله ينقسم إلى قسمين:

مطر عذاب والعياذ بالله، ومطر غيث.

فأما مطر العذاب كالذي حصل لقوم لوط وهو مطر من حجارة دمرتهم فجعلتهم كأعجاز نخل خاوية وكالذي حصل لعاد وهوعذاب فيها ريح أليم تدمر كل شيء بإذن ربها.

قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الشعراء:١٧٣] ، وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحجر:٧٣-٧٤] .

وقال عن عاد: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٥].

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا رأى سحابة يخيل فيها المطر يخاف ويتغير وجهه

ويرغب إلى ربه خوفًا أن يكون فيها عذاب، فإذا أمطرت سري عنه وذهب خوفه.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم رحمة الله عليهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ ذَلِكَ فِي وجهه، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] الآيَةَ » .

ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون عند نزول المطر راجيا طمعا فيما عند الله من الرزق والغيث، وخائفا من عذاب الله وغضبه لا يكون فيه عذاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم:٢٤].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه. اهـ

واعلموا عباد الله أن وقت نزول المطر مما استأثر الله به من علم الغيب، فلا يعلمه أحد ولم يخبرنا الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بعلامات لمعرفة نزوله، إلا إذا كانت ظاهرة ، مثل هبوب الرياح وتراكم السحب .

فمن ادعى أنه يعلم وقت نزول المطر فهو مشرك شركًا أكبر، لأنه زعم أنه مشارك لله في صفة من صفاته ، وهي علم الغيب، ومن ادعى أنه يعلم وقت نزول المطر بعلامات لم يجعلها الله علامات لنزوله، فهو مشرك شركًا أصغر ، لأنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام:٥٩]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ [لقمان:٣٤] .

وروى البخاري ومسلم عَن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « مفْتَاحُ الغَيْب خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا الله لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ في غَد، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ في الأَرْحَام، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ » .

وأما ما يسمى بأحوال الطقس والإرصاد فهذا ليس من علم الغيب وإنما هو مجرد توقعات ونظر في الغيوم وحركات الرياح وتوجهها، فإذا ما رأوا سُحبًا وتلبدت السماء بالغيوم فمن ثَمَّ يتوقعون نزول أمطار في منطقة كذا أو هبوب رياح ونحو ذلك، وقد يحصل ما يتوقعونه وقد لا يحصل، أما الأيام المقبلة البعيدة فإنهم لا يستطيعون توقع ذلك لأنه لا يعلم ما في المستقبل إلا الله.

فيا عباد الله: المطر نعمة من الله على عباده، وسخر الرياح تسوقه إلى حيث شاء من الأرض، ممن أراد الله سقياهم ولهذا جعل الله الرياح من المبشرات.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:٥٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم: ٤٦] .

فإذا نزل المطر اخضرت الأرض واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم، فبه تحيا الأرض ومن ثَمَّ حياة الإنسان والحيوان ، فإن حياة الإنسان منوطة بحياة الأرض لأن أصله من الأرض ومن الطين، فيأكل من ثمارها وينظر إلى بهجتها، فيطمئن فؤاده وتسكن نفسه، ويهدأ باله ويرتاح عقله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج:٦٣] .

ومن نعمة الله علينا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُسكن ما زاد من الأمطار في خزانات أرضية في جوف الأرض لينتفع بها العباد في سائر الأيام وخصوصًا في الأوقات التي لم تنزل فيها الأمطار، وذلك عن طريق سيول الأنهار وحفر الآبار فلله الحمد والمنة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الزُّمر:٢١] .

ومن رحمته أنه ينزل المطر بقدر ما ينتفع به العباد بلا ضرر.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون:١٨].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يَذْكُرُ تَعَالَى نِعَمَهُ عَلَى عَبِيدِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فِي إِنْزَالِهِ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ﴿بِقَدَرٍ﴾ أَيْ: بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، لَا كَثِيرًا فَيُفْسِدُ الْأَرْضَ وَالْعُمْرَانَ، وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ، حَتَّى إِنَّ الْأَرَاضِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ مَاءً كَثِيرًا لِزَرْعِهَا وَلَا تَحْتَمِلُ دِمْنَتُهَا إِنْزَالَ الْمَطَرِ عَلَيْهَا، يَسُوقُ إِلَيْهَا الْمَاءَ مِنْ بِلَادٍ أُخْرَى، كَمَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، يَسُوقُ اللهُ إِلَيْهَا مَاءَ النِّيلِ مَعَهُ طِينٌ أَحْمَرُ يَجْتَرِفُهُ مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ فِي زَمَانِ أَمْطَارِهَا، فَيَقَرُّ الطِّينُ عَلَى أَرْضِهِم لِيَزْرَعُوا فِيهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: جَعَلْنَا الْمَاءَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّحَابِ يَخْلُدُ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ قَابِلِيَّةً لَهُ، تَشْرَبُهُ وَيَتَغَذَّى بِهِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ

وَالنَّوَى. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ أَيْ: لَوْ شِئْنَا أَلَّا تُمْطِرَ لَفَعَلْنَا، وَلَوْ شِئْنَا لَصَرَفْنَاهُ عَنْكُمْ أو نجعله أُجَاجًا لَا تنتفعون به أو يَغُورُ إِلَى مَدَى لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ وَلَا تَنْتَفِعُونَ به لَفَعَلْنَا. وَلَكِنْ بِلُطْفِه وَرَحْمَته يُنَزِّلُ عَلَيْكُمُ المَاءَ مِنَ السَّحَابِ عَذْبًا فُرَاتًا زُلَالًا فَيُسْكِنُهُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْلُكُه يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، فَيَفْتَحُ الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ، فَيَسْقِي بِهِ الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ، وَتَشْرَبُونَ منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وَتَتَنَظَّفُونَ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. اهـ بتصرف في بعضه.

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضًا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره » .اهـ

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

يذكِّر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة ويسر. اهـ .

فلا تغفل يا عبد الله عن هذه النعمة ، ولا تنسبها إلى غير معطيها فإن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يذكرنا بها في سورة الواقعة بقوله: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الواقعة:٦٨-٧٠].

ومعنى ﴿ ٱلۡمُزۡنِ ﴾ : أي السحب. ﴿ أُجَاجًا ﴾ : أي مالحا.

وهو الذي ينزل الغيث حال قنوط الناس وبأسهم وظنهم أنه لا يأتيهم ويأخذون الاحتياطات من الأقوات والأعلاف فينزل المطر فيفرحون ويستبشرون به.

قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى:٢٨] .

وربما نزل المطر عقب قنوط الناس وقحطهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشَّرح:٦] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُحِطَ المطَرُ وَقَنَطَ النَّاسُ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مُطِرْتُمْ. ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ . اهـ

فالذي يجب على العباد أن يشكروه على نعمه عمومًا، وعلى نعمة المطر خصوصًا، وشكر الله يكون بطاعته واجتناب معاصيه ،وصرف هذه النعم التي تنتج عن الأمطار من سائر الأرزاق فيما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن شكر الله دليل الزيادة، وكفر النعمة مظنة الزوال، ألا ترى إلى قول القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

فقد كان من دعاء النبي ﷺ : (اللهُمَّ إني أَعوذُ بك مِن زَوالِ نِعمتِك وتَحوِلِ عَافيتِك وفُجأَةِ نِقمَتِك وجَميعِ سَخطِك) رواه مسلم عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا .

ألا وإن من أعظم كفر نعمة المطر، لهو نسبتها إلى النجوم والأنواء، والفصول والأوقات، كقول بعضهم: مُطرنا بنوء كذا، وبنجم كذا.

قال تعالى:﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الواقعة:٨١-٨٢].

قال ابن ابن كثيروغيره من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ :قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قولهم في الأنواء: مُطِرنا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا: هو من عند الله، وهو رزقه. وهكذا قال الضحاك

وغير واحد.اهـ

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ .

قال عكرمة: يعني: الذين يقولون: مطرنا بنَوء كذا وكذا.اهـ

وفي الصحيحين عَنْ زَيْد بْن خَالد الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَة، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، فَقَالَ: « **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَته، فَذَلكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مطرنابِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ** ».

ففي هذا الحديث بيان تحريم نسبة المطر إلى النجوم والأنواء والكواكب وأن ذلك من الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ ومن كفر النعمة وأن حقيقة الإيمان هو نسبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقسام الشرك في الاستسقاء بالأنواء فقال: من سأل النجم أو الكوكب ودعاه أن ينزل المطر فهذا هو الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر.

ومن نسب المطر إلى النجم أو الكوكب نسبة إيجاد بأنه هو الذي أنزل المطر وهذا أيضًا كفر أكبر.

ومن جعل النجم أو الكوكب هو السبب في نزول المطر ، وأن منزله هو الله فجعل النجم أو الكوكب سببًا في نزوله فهذا كفر ، أو شرك أصغر ، لأنه اتخذ ما ليس سبب سببًا .

أما من جعل هذا النجم أو هذا الوقت ظرفًا لنزول المطر ، كأن يقول: سقانا الله في نجم كذا وكذا ، فهذا جائز. اهـ بمعناه.

والأفضل أن يقول العبد مطرنا بفضل الله ورحمته ، هذا هو الكمال في شكر هذه النعمة .

وأما ما يعتقده بعض العامة في بعض الفصول أو النجوم أنها سبب لنزول الأمطار كفصل الخريف مثلا، فيقسمونه إلى نجوم ، فإذا خرجت هذه النجوم ولم ينزل المطر فيها يئسوا ، فهذا من الشرك الأصغر ، الذي أشار إليه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

والحاصل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسقي عباده حسب ما تقتضيه حكمته وحسب علمه بمصالح عباده وزراعاتهم، فربما جرت العادة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسقيهم في هذه النجوم وفي هذه الأوقات لمصالحهم، فيعتقد البعض أن هذه النجوم هي السبب لنزول المطر، لكن عند التأمل فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يسقيهم وقت زراعاتهم لمصالحهم .

ومن الملاحظ أن المطر قد ينزله الله في غيرهذه الفصول أو النجوم، أوفي أوقات لم تجرِ العادة أن ينزل فيها، أوينزل في أوقات قد يئس بعضهم من نزول المطر فيها، ومن الملاحظ أحيانًا عدم نزول المطر في الأوقات التي جرت العادة أن تنزل الأمطار فيها وهكذا .

فالأمور بيد الله، والواجب الاعتقاد أن المتصرف في نزول الأمطار وتدبيرها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ،في أي وقت شاء، ويمنعها متى شاء، لا معقب لحكمه ،ولا راد لقضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

أحكام ومسائل تتعلق بالمطر

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه ،وأشهد أن محمد عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه، وإخوانه.

أما بعد:

فقد ذكرنا لكم نعمة المطر وأهميته وكيف يكون شكر هذه النعمة، ونذكر الآن بعض الأدعية والأذكار المشروعة عند نزول المطر. وبعض الأحكام المتعلقة بالمطر.

ونذكر بعض أسباب نزول الغيث وموانعه.

فقد رو ى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: « **اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**» .

أي: اللهم أصبه مطرًا لا ضرر فيه، من سيل أو هدم أو عذاب.

ويشرع الدعاء عند نزول المطر، فإنه قد ثبت أن هذا الوقت من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، لأنه وقت الرحمة .

فقد روى الحاكم عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن سول الله ﷺ قال: « ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وتحت المطر » .

قوله : «عند النداء»: أي الأذان.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث: « ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء» يعني الأذان للصلاة وتحت المطر أي دعاء من هو تحت المطر لا يرد أو قلما يرد فإنه وقت نزول الرحمة لا سيما أول قطر السَنة. اهـ .

ويشرع التسبيح عند سماع صوت الرعد ، فقد جاء عن بعض السلف التسبيح عند سماعه، قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرعد:١٣] .والرعد اسم ملك كما سيأتي .

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

وذهب أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : من سمع صوت الرعد فقال : « سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، وهو على كل شيء قدير ، فإن أصابته صاعقة فعليَّ ديته » . اهـ.

وروى الترمذي عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قال النَّبي –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ–: « **الرَّعْد مَلَكٌ مِنَ الملائكة مُوَكَّلٌ بالسَّحَاب مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَار يَسُوقُ بهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ الله والصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ منه زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أمره** » .

والمطر ينزل برحمة الله ثم بأسباب مشروعة يحدثها العباد وهي التقوى والطاعات والدعاء والاستسقاء والتضرع بين يدي الله بينما المعاصي والفتن

وقطع الزكوات من موانع نزول الغيث.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

والبركات التي تنزل من السماء هي المطر كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره .

وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن:١٦].

وقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح:١٠-١١] أي غيثًا غزيرًا متتابعًا.

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ » .

فانظر يا عبد الله كيف اختص الله صاحب هذه الحديقة بالسقيا دون غيره، بسبب ما كان ينفق منها ، وبالمقابل فإن الذين يبخلون عن النفقة والزكاة ، يتسببون في انقطاع الغيث من السماء.

فقد روى ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا

فَشَا فيهمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا » الحديث.

ومهما كان فإنه إذا حصل القحط وجفاف الأمطار فلا يجوز اليأس والقنوط من رحمة الله فيشرع للناس أن يتضرعوا إلى الله ويخرجوا إلى المصلى متبذلين متخشعين فيخطب بهم أحدهم ويدعو الله ويصلي بهم ركعتين ثم ينصرفون .

ويشرع لخطيب الجمعة أن يستسقي في خطبته فيرفع يديه ويدعو الله أن يغيثهم كما فعل النبي ﷺ، أما ما يفعله بعض الأئمة من أنه يصلي بهم ركعتين صلاة الاستسقاء بعد صلاة الجمعة فهذا محدث ليس من السُّنَّة ، فإن السُّنَّة هو الخروج إلى المصلى كما تقدم.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَت الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَت السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدَيْهِ، فَقَالَ: « اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَالله مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَت السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلَكَت الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- يَدَيْه، ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَام وَالجبَالِ وَالآجَام وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشي فِي الشَّمْسِ.

ومعنى قوله «هَلَكَتِ الأَمْوَالُ» : هي المواشي من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات. وقوله: « وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ» : أي الطرق فلم تسلكها الإبل بسبب عدم ا لكلأ.

وقوله: « قَزَعَةً » أي قطعة سحاب. وقوله: «سَلْع »:هو جبل أي يرونه بوضوح. وقوله:«التُّرْسِ»:هو ما يتقى به من ضربات السيوف. وقوله: «سَبْتًا»: أي أسبوعًا. (١)

فليس في الحديث أن النبي ﷺ صلى بهم صلاة الاستسقاء بعد صلاة الجمعة وإنما رفع يديه ودعا، وذات يوم خرج بهم إلى المصلى فخطب بهم ودعا وصلى بهم ركعتين وانصرف، فخير الهدي هديه ﷺ .

ويستفاد من هذا الحديث أنه لا ينبغي لعبد أن يدعو الله برفع نعمة من النعم، يؤخذ هذا من قول الرسول ﷺ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا » . ولم يقل اللهم ارفعه عنا، وإنما دعا أن يصرفه الله إلى الأماكن التي لا يتضررون منها عند نزول المطر بل ربما استفادوا من المطر عليها مستقبلاً.

ويستفاد من الحديث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينشئ السحاب من العدم وليس كما يقول بعض الفلكيين وأتباعهم أن السحاب تتكون من بخار البحار والأنهار ونحوها فإن هذا قول لا دليل عليه فينبغي التوقف فيه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[الإسراء:٣٦] .

فإن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخبر بأن السماء كانت صافية ليس فيها سحاب

(١) يفضل أن يبين الخطيب هذه المعاني أثناء قراءته للحديث

ثم كوَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سحابة صغيرة مثل الترس ثم انتشرت فأمطرت والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الرعد:١٢] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي يخلقها منشأة جديدة. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وينشئ السحاب الثقال بالمطر يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي: أبداها فبدأت. اهـ

وفي الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ : « إن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك » . رواه أحمد وغيره .

فلا ينبغي الالتفات إلى أقوال الفلكيين فعندهم نظريات تصادم النصوص، منها :قولهم :إن الشمس ثابتة والأرض تدور.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد بين أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور.

قال تعالى:﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس : ٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [غافر : ٦٤]

وثبتها بالجبال لئلا تميد أو تهتز وتضطرب فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [النبأ : ٦ – ٧] .

وعندهم نظريات خاطئة كثيرة لا يجوز الأخذ بها ولسنا في صدد الرد عليها.

فعندنا كتاب ربنا وسُنَّة نبينا ﷺ ، وأقوال السلف الصالح ، يكفينا ويغنينا، عما يقوله الكفار وغيرهم من أصحاب الأهواء .

فمن أخذ دينه من أهل الأهواء ضل وغوى، ومن أخذ دينه من الكتاب

والسُّنَّة، فلا يضل ولا يشقى.

اللهم بصرنا في ديننا وثبتنا عليه، اللهم وفقنا لطاعتك ،وأعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك ،واعصمنا من الزلل والقول بغير علم، اللهم أدم علينا نعمك، ووفقنا لشكرها، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، اللهم اسقنا سقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعقوبتك وأليم عذابك ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٢٧
أحكام ومسائل تتعلق بالبرد (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله...

إن من سُنَّة الله في هذه الدنيا أن جعلها دار ابتلاء وامتحان ، ودار أكدار ومنغصات ، فقدر فيها الخير والشر ، والفقر والغنى ، والصحة والمرض ،

(١) تخطب في الشتاء حين يشتد البرد.

ومن ضمن ما يقدره الله في هذه الدنيا الحر والبرد.

وحديثنا في هذا اليوم حول البرد ، وبعض المسائل التي تتعلق به لنكون على بصيرة من أمرنا ، ولنعرف كيف نعبد ربنا في هذه الأيام ، فإن بعض الناس يقعون في أخطاء أيام البرد ، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يترك شيئًا مما يحتاجه العباد إلا بيَّنه.

قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام:٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩] .

وإن البرد من ضمن الابتلاءات التي قدرها الله على عباده في عباداتهم ، وهو من ضمن المكاره التي يكرهها ابن آدم ، فمن جاهد نفسه واقتحم هذه المكاره دخل الجنة.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ» وفي رواية: « حُفَّت » .

ومعنى « حُجِبَتِ » أي: غطيت أو أحيطت بها فكانت سببًا في دخولها. والمكاره:هي المشاق المستلزمة من فعل الطاعات وترك المحرمات.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها.اهـ

ومن كمال نعيم الجنة أنها منزهة عن الحر والبرد لأنهما مؤذيان وليس في الجنة أذى ، قال تعالى عن الجنة: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾[الإنسان:١٣]. والزمهرير هو البرد الشديد.

وقبل أن نتحدث عن بعض المسائل والأحكام المترتبة على البرد نريد أن نعرف ما هو سبب شدة البرد في الشتاء لنزداد إيمانًا ويكون ذلك لنا عظة وعبرة.

فقد أخبرنا النبي ﷺ عن سبب واحد من أسباب حصول الحر والبرد وهو أن لجهنم نفسين في الصيف والشتاء، نفس في الصيف فينتج عنه حر الصيف ونفس في الشتاء فينتج عنه برد الشتاء، ولا مانع من اجتماع أكثر من سبب في الشيء.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ** » والزمهرير: هو شدة البرد كما تقدم .

فإذا كان شدة البرد الذي يأتي إلى الدنيا في الشتاء من نفس جهنم، فكيف ببرد جهنم والعياذ بالله؟ وإذا كان الحر الذي يأتي في الصيف من نفس جهنم، فكيف بحر جهنم؟ وكيف بجهنم نفسها؟.

فعلينا أن نتعظ ونعتبر ياعباد الله، فإذا كنا لا نطيق برد الدنيا وحرها، فكيف نطيق جهنم؟،ومن ذا الذي يطيق حرها أوبردها؟، أعاذنا الله وإياكم منها.

فيجب الفرار من جهنم، وذلك بالبعد عن أسبابها وموجباتها من الشبهات والشهوات، والفرار إلى الجنة بفعل أسبابها، وذلك باقتحام المكاره والمشاق التي تكون في بعض العبادات والطاعات ، كما قال تعالى:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات:٥٠] .

ونقول للذين يخافون من برد الليل فينامون عن صلاة الفجرحتى يخرج وقتها، أو يتركون صلاة الجماعة: إن جهنم أشد برداً لوكانوا يفقهون، فلا تطمئنوا إلى لذة النوم ونعومة الفُرش ودفء البيوت وتغفلوا عن مهاد جنهم

وعذابها والعياذ بالله.

ونقول للذين يفطرون رمضان بحجة الحر والعطش: إن حر جهنم أشد، وحميمها يصهر ما في البطون قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[التوبة:٨١-٨٢] .

ونقول للذين يستثقلون الصلاة ويستطيلونها: تذكروا وقوفكم بين يدي الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقد بين الله أن الصلاة عون للعبد، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البقرة: ٤٥] أي: ثقيلة وشاقة إلا على الخاشعين فإنها خفيفة عندهم ومريحة.

ونقول للذين يبخلون بالمال عن الصدقات والنفقات، تذكروا وقوفكم في أرض المحشر حفاة عراة غرلا بهما :أي :ليس معكم شيء، بينما يأتي المتصدق في ظل صدقته وفي ظل عرش الرحمن.فالواجب أخذ العظة والعبرة من هذه الأحاديث النبوية الشريفة.

الشاهد من هذا أن برد جهنم أشد من برد الدنيا وهو نوع من عذاب الله على أهل النار.

ذكر أبو نعيم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن كعبًا قال: (إن في جهنم بردًا هو الزمهرير يسقط اللحم عن العظم،حتى يستغيثوا بحر جهنم).نسأل الله العافية.

فلا تعجز عن العبادات بحجة البرد فإن الأجر يكون مضاعفًا وعلى قدر المشقة والجهد يكون الأجر والثواب قال النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « أجرك على قدر نصبك ونفقتك » . رواه الحاكم وأصله في مسلم.

فإن الوضوء للصلاة في شدة البرد من أسباب رفع الدرجات وتكفير السيئات، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟** » ، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « **إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ** » .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إسباغ الوضوء أي: تمامه. والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم.اهـ

وروى الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،(وفي رواية) رأيت ربي في أحسن صورة فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لاَ أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ المشْرِقِ وَالمَغْرِب، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغِ الوُضُوءِ فِي المكْرُوهَاتِ،(وفي رواية) « وَإِسْبَاغَ الوُضُوءَ في السَبرات» وَانْتِظَارَ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

ومعنى اختصام الملأ الأعلى: أي في الكتابة، يختصمون أيهم يكتب الدرجات والكفارات و الحسنات .

فانظروا ياعباد الله إلى الفرق بين اختصام الملائكة واختصام الناس: فالناس يختصمون في الدنيا على الدراهم والدنانير وربما قتل بعضهم بعضًا من أجل ذلك إلا من رحم الله، والملائكة يختصمون في الدرجات والكفارات والحسنات.

ومعنى إسباغ الوضوء في السبرات: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي شدة البرد. اهـ

وروى البزار والبيهقي عَن أَنَس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، عَن النَّبيّ -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: « **ثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ فَأَمَّا**

الْكَفَّارَاتُ: فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبرَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ» الحديث .

وقد كان السلف الصالح يغتنمون أيام البرد بالصيام ، ولياليه بالقيام ويعتبرون ذلك غنيمة، بل ويسمون تلك الأيام بالغنيمة الباردة ، لأن العبادة تحصل فيها بدون تعب ولا مشقة.

وقد روى الترمذي عَنْ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي الغنيمة التي تحصل بغير مشقة والعرب تستعمل البارد في شئ ذي راحة وشبهها بجامع أن كلاً منهما حصول نفع بلا جهد ومشقة والغنيمة الباردة ما حصل بلا حرب ولا مشقة. اهـ .

فأيام البرد قصيرة لا يجوع فيها الصائم، وباردة فلا يعطش الصائم، والليالي في أيام البرد طويلة مما يساعد العبد على قيام الليل، فيأخذ قسطه من النوم ثم يقوم يتبتل إلى الله بالصلاة والاستغفارونحو ذلك، ثم يقوم إلى صلاة الفجر وهو نشيط طيب النفس.

وبإمكان العبد أن يقي نفسه من البرد بالملابس الغليظة المناسبة لأيام البرد المدفئة للجسم فقد أنعم الله على عباده بأصواف وأشعار المواشي وعلمهم كيف يصنعونها لينتفعوا بها وتقيهم من البرد ونحوذلك.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ

لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النحل: ٨٠: ٨١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ وهي الثياب من القطن والكتان والصوف. ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ﴾ : أي الغنم. ﴿ وَأَوْبَارِهَا ﴾ : أي الإبل. ﴿ وَأَشْعَارِهَآ ﴾ : أي المعز. والأثاث يتخذ منه البسط والثياب وغير ذلك. اهـ

فلله الحمد والمنة على نعمائه وآلائه ، فما عليك أيها المسلم إلا أن تشكر الله على هذه النعم ، وذلك بعبادته وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه على أي حالة كنت .

وما جعل الله علينا في الدين من حرج ، فقد جعله في غاية اليسر والسهولة، وأمرنا أن نؤدي العبادات على النحو الذي نطيقه.

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

فمن ذلك التيسير أن خفف بعض العبادات عند حصول المشقة كأيام البرد، فشرع التيمم لمن عجز عن استخدام الماء البارد أو تضرر منه ليقوم التيمم مقام الوضوء والغُسل مؤقتًا حتى يرتفع الحرج أو الضرر.

وسيأتي بيان ذلك في الخُطْبَةُ الثَّانِيَة إن شاء الله تعالى.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام الأولين والآخرين، وسيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، وخليل رب العالمين ، اصطفاه على العالمين ، وبلغه أعلى منازل المتقين في جنات النعيم ، فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين..

أما بعد:

فمن تيسير الله لهذه الأمة أن شرع لها التيمم عند تعذر استخدام الماء إما عند عدمه أو عند حصول مرض أو ضرر في استخدامه، فمن شق عليه استخدام الماء البارد للوضوء أو للغسل من الجنابة وتعذر عليه تدفئة الماء أو كان مريضا يشق عليه استخدام الماء أو تضرر من الماء فله أن يتيمم .

وكذلك كل من لحقه الضرر من استخدام الماء البارد فله أن يتيمم ولو لم يكن مريضًا، أو سبب له المرض أو زاد في المرض فيشرع له أن يتيمم، بشرط أن يكون في مكان لا يستطيع تدفئة الماء، أما إذا كان بإمكانه أن يسخن الماء فيجب عليه الوضوء بالماء ولا يجزئه التيمم، إلا إذا كان يتضرر من الماء مطلقًا الدافئ وغيره كحال أصحاب الجروح وغيرهم فله أن يتيمم ولو وجد الماءالدافئ، كما سيأتي ذكر الأدلة في مشروعية التيمم وجوازه للمتضرر.

وكون الماء يكون باردًا في أيام الشتاء فليس هذا مبررًا في ترك الصلاة أو ترك الجماعة، فالصلاة لا تسقط بحال من الأحوال إلا على الحائض والنفساء، وهي واجبة مع جماعة المسلمين في بيوت الله لمن قدر على ذلك ولم يلحقه ضرر ولا

مشقة شديدة، خصوصًا في صلاة الفجر، وإن كان البرد فيها شديدًا والمشقة حاصلة نوعًا ما، لكن الأجور فيها مضاعفة وهي من أسباب دخول الجنة وقد سماها النبي ﷺ صلاة البرد.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

أي: صلاة الفجر وصلاة العصر، وسميتا بالبردين لاجتماع برد الليل وبرد النهار فيهما، فبرد الليل في صلاة الفجر وبرد النهار في صلاة العصر.

لكن بإمكان المصلي أن يدفئ الماء ويتوضأ بدون مشقة ثم يلبس الثياب الغليظة والواقية من البرد ثم يذهب يصلي ويحمد الله عَزَّ وَجَلَّ على نعمه.

فإن كان مريضًا أو حصلت المشقة في استخدام الماء، ولا حيلة في استخدامه فهناك يشرع له أن يتيمم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[المائدة: ٦].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللهُ في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ﴾ .

فأباح التيمم للمريض مطلقًا مع وجود الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه، جاز له التيمم.

وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرًا وسفرًا كما يدل على ذلك عموم الآية. والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين:

حال عدم الماء، وهذا مطلقًا في الحضر والسفر، وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه.اهـ

وقوله تعالى: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ هو التراب الطاهر.

وقوله: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾.

فيه بيان كيفية التيمم، وهوأنه يضرب بكفيه الأرض أي على التراب ثم يمسح وجهه وظاهر كفيه، لما روى البخاري عن عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصب الْمَاءَ فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسر لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ ».

ومعنى: «تَمَعَّكْتُ» أي تمرغت وتقلبت في الصعيد، فأرشده النبي ﷺ إلى كيفية التيمم.

ومن أدلة جواز التيمم للمتضرر من الماء:

ما روى ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» وهذا الحديث عام في العبادات والمعاملات وغيرها.

وما روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: قال رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**» الحديث.

ومها: ما روى أبو داود عن عبدَ الله بنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أصابَ رجلاً جُرحٌ في عَهدِ رسولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثمَّ احتَلَمَ، فأُمرَ بالاغتسال، فاغتَسلَ، فماتَ، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: « قَتلُوه قَتَلَهُمُ اللهُ، ألَم يكن شِفاءُ العِيِّ السُّؤالَ » .

الشاهد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم ودعا عليهم إذ شددوا عليه بالأمر بالاغتسال وكان الأولى أن يسألوا فإن شفاء العي السؤال.

فيستفاد من هذا الحديث أنه كان يكفيه التيمم.

ومها: القاعدة الشرعية وهي: «المشقة تجلب التيسير» ، وهي قاعدة معمول بها وعليها أدلة قد ذكرنا بعضها آنفًا.

وإذا حضر الماء أو قدر المريض على استخدامه بطل التيمم ولايجزئ مع وجود الماء، ويجب في هذه الحالة استعمال الماء وضوءً أو اغتسالاً.

وإن كانت المشقة حاصلة لكنها خفيفة فيجب استخدام الماء أيضًا.

ومن التيسير في هذا الدين أنه يشرع للعبد أن يصلي في بيته عند المطر أو في الليلة الباردة إذا لحقه الضرر .

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ نَادَى بِالصَّلاَةِ فِى لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ وَمَطَرٍ فَقَالَ فِى آخِرِ نِدَائِهِ أَلاَ صَلُّوا فِى رِحَالِكُمْ أَلاَ صَلُّوا فِى الرِّحَالِ.

ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ أَوْ ذَاتُ مَطَرٍ فِى السَّفَرِ أَنْ يَقُولَ أَلاَ صَلُّوا فِى رِحَالِكُمْ..» .

لكن في هذه الأيام قد أنعم الله على الناس نعمًا كثيرة من الوسائل والمدفئات والفرش والثياب الغليظة والبيوت المحكمة والمساجد التي لا يدخلها البرد

وغيرذلك، فبإمكان الناس جميعا أن يصلوا جماعة في المساجد أيام البرد، لكن إذا تعذرت هذه الأشياء أو بعضها وحصلت المشقة فللعبد أن يأخذ برخص الشرع لوجود الأعذارلاسيما وقت نزول المطر.

ومن يسر هذا الدين أن رخص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المسح على العصائب والعمائم والتساخين، وهي التي تغطي الأقدام من جوارب وشراب وخفاف ونحوها، إذا لبسهما العبد على وضوء، فإنه يشرع للمقيم المسح عليها يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وهذا من تيسير الله وتخفيفه على عباده، فله الحمد والمنة.

فقد روى أبود اود عن ثَوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: بعثَ رسولُ الله - ﷺ - سَرِيَّة فأصابَهُم البَرْدُ، فلمّا قَدِمُوا على رسولِ الله - ﷺ - أمَرَهُم أن يَمسَحوا على العَصَائِبِ والتَّساخِين». والعصائب هي العمائم.

وروى الترمذي عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ - «**يَأْمُرنا إذا كنا في سفر أو مسافرين أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْم**».

بمعنى أنهم إن أرادوا الوضوء مسحوا عليها ثلاثة أيام ولاينزعونها، وإن أجنب أحدهم لزمه نزعها من أجل الغسل.

عباد الله:

فماعلى المسلم بعد هذا التيسير إلا أن يشكر الله وأن يلازم تقواه وأن يكون عبدًا لله في كل زمان ومكان في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء وفي حال الأمن والخوف وفي الغنى والفقر وفي السفر والحضر وفي الخلوة والجلوة وفي البرد والحر.

قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

فلا تبد أن تكون حياته وحركاته وسكناته وأنفاسه كلها لله، ولا يكون حاله كحال الذين لا يعرفون الله تعالى إلا في وقت الرخاء واليسر، فلايعبد الله إلا على حسب هواه، فهذا خاسر والعياذ بالله.

وقد قال الله عن هذا الصنف: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

وهناك أخطاء تصدر من بعض الناس في مثل هذه الأيام نذكر بعضها:

منها: أن بعض الناس في أيام البرد يسبون البرد أو الريح و يتسخطون على أقدار الله، وهذا لايجوز، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد نهى عن سب الدهر وعن سب الريح لأن الله هو الذي يسير الدهر ويقلبه ويقدر مايجري فيه ويدخل في ذلك البرد.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ».

وروى مسلم عنه أيضًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا** ».

وروى الترمذي عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ** ».

ومن الأخطاء عند بعض الناس نسبة البرد إلى النجوم ، وهذا من التنجيم المذموم ؛ فإنه ليس للنجوم علاقة في البرد والمطر والرياح .

والتنجيم : هو الاستدلال بحركات النجوم على حوادث الأرض وهذا من الشرك، وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ التنجيم بأنه : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وقد روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله–صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:«**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**» .

فيدخل في التنجيم نسبة المطر والبرد والرياح إلى النجوم، فمن اعتقد أن النجوم هي التي توجد البرد أو المطر ونحوذلك فهذا شرك أكبر والعياذ بالله ومن اعتقد أن هذه النجوم سبب لوجود البرد أو نزول المطر فهو شر ك أصغر، لأنه اتخذ سببًا لم يجعله الله سببًا، أمامن جعل هذه النجوم والأوقات ظرفاً لوجود البرد والمطر ، كقول القائل جاء المطر في نجم كذا أو وجد البرد في نجم كذا ، أو وقت كذا فهذا لابأس به.

فاحذر أيها المؤمن من هذه الاعتقادات الباطلة ، وحافظ على عقيدتك مما يخدشها أو يخل بها أو يفسدها ، وفوض الأمور كلها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، وانسبها إليه عدمًا وإيجادًا ، تكن من الموحدين.

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يفقهنا في ديننا ، وأن يعيننا على طاعته في كل زمان ومكان ، وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين ، وأن يحشرنا في زمرة الموحدين ، والحمد لله رب العالمين.

٢٨
منكرات الأعراس (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون..

إن من نعم الله تعالى العظيمة وآياته الباهرة وحكمته البالغة أن سخر

(١) **ملاحظة** : الخطبة طويلة نوعًا ما ، فعلى الخطيب أن يخطب منها القدر الذي يناسب الوقت، فإذا جاء الوقت توقف وأنهى خطبته ، أو يختصرها ويحذف منها ما شاء .

للإنسان زوجا من نفسه يسكن إليها وتسكن إليه ويأنسها وتأنسه وجعل النساء شقائق الرجال.

قال تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾[البقرة:١٨٧].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ :أي سكن لكم **وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ أي سكن لهن دليله. قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[الأعراف: ١٨٩].

وأحل لهم فروجهن بكلمته، وجعل بينهما مودة ورحمة قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾** ﴾ [الروم:٢١] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ **أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا** ﴾ تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن ﴿ **لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة. اهـ

فينبغي للناس أن يستشعروا هذه النعمة، وينبغي للمسلم أن يختار المرأة الصالحة وينبغي للمسلمة ألا ترضى إلا بالرجل الصالح لتكون الحياة أكمل والسعادة أشمل والفرحة أجمل.

فقد روى الطبراني عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ رَزَقَهُ الله امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ الله عَلَى شَطْرِ دِينِه، فَلْيَتَّقِ الله فِي الشَّطْرِ الثَّانِي** » .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وذلك لأن أعظم البلاء الفادح في الدين شهوة البطن وشهوة الفرج وبالمرأة الصالحة تحصل العفة عن الزنا وهو الشطر الأول فيبقى الشطر الثاني وهو شهوة البطن فأوصاه بالتقوى فيه لتكمل ديانته. اهـ

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ**

بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ » .

بيَّن النبي ﷺ أن غالب إقدام الناس على هذه الأربع الصفات في المرأة، وهي المال أو الحسب أو الجمال أو الدين، لكن الغالب على الناس اختيار ذات المال والحسب والجمال إلا من رحم الله وقليل من يقدم على ذات الدين.

فالنبي ﷺ أرشد أمته إلى اختيار ذات الدين ، وهي المرأة الديِّنة الصالحة التي تتقي ربها ، وتطيع زوجها ، وتخاف الله في حقوق زوجها، فبالدين يحصل خيرُ الدنيا والآخرة.

وإذا اجتمعت بقية الخصال مع الدين من ومال وحسب وجمال فهو نور على نور، وقد اجتمع فيها خيرُ الدنيا والدين.

وإذا جاء الرجل الصالح الكفؤ لخطبة البنت فلا يجوز رده ولوكان فقيرًا.

* فإن من الأخطاء عند كثير من الناس ؛ أنهم إذا جاءهم الغني الوجيه زوجوه ، وإذا جاءهم الرجل الفقير ردوه ؛ ولو كان صالحًا.

وقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ– : « **إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ** » أي: إلا تفعلوا يكثر الرجال والنساء بلا زواج فيفشو الزنا عياذاً بالله.

ومن الأخطاءعند بعض الآباء هداهم الله من يجبر ابنته على الزواج من رجل وهي كارهة ولاتريده، وذلك من أجل الجاه أو المال وهذا حرام، فلا يجوز تزويج البنت إلا برضاها، بل ولا يصح العقد إلاإذا أجازته.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَالَ: « **لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: « أَنْ تَسْكُتَ» ..

ومعنى تستأمر: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي طلب الأمر فالمعنى: لا يعقد عليها حتى يطلب الأمر منها أي تأمر بذلك. والأيم هي الثيب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق اهـ

فزواج المرأة بغير رضاها غير صحيح حتى ترضى أو تجيزه بعد العقد وإلا فلها الخيار أن تفسخ العقد.

فقد روى البخاري عن خنساء بنت خذام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا « أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها » . أي: فسخه وفرق بينهما .

وذكر ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه لا يحل نكاح المرأة المكرهة ولا يجوز الإقامة عليها لأنه لا ينعقد إلا إذا كانت أجازت أباها بعد العقد أو الزواج فرضيت فيصح. اهـ .

* ومن الأخطاء عند بعض الأولياء أنهم يمنعون الخاطب من رؤية المخطوبة، فإن من السُّنَّة ياعباد الله أن ينظر إليها، وإلى مايدعوه إلى نكاحها، وسواء أعجبته بعد ذلك فخطبها، أم لم تعجبه فتركها، فإن النظر إلى المخطوبة مشروع، وهو من أسباب الألفة والمحبة بين الزوجين، وإن لم يخطبها بعد النظر فلا يلزمه شيء مادام أنها لم تعجبه، فإنه لم يرتكب محذورًا شرعيًا، إلا إذا كان متلاعبًا وعرف من حاله أنه ليس حول الخطبة، فيرفع أمره إلى الحاكم ويعزر ويؤدب.

فقد روى النسائي عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: « فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا» قال ابن بطال: معناه يجمع بينهما.

*ومن الأخطاء في الخطوبة: أن بعض الخطَّاب يتجاوز في ذلك، فيذهب وينظر إلى مخطوبته، ويجلس معها ويختلي بها ويصافحها، ويكثر الاتصال بها

والمحادثات معها، ويراسلها ويحصل هذا كله قبل العقد، وهذا لا يجوز، فإنه لا يحل له قبل العقد إلا النظر، فالناس في هذا بين إفراط وتفريط إلا من رحم الله.

فإن الشرع أباح للخاطب النظر فقط لأنها لا زالت أجنبية منه حتى يعقد عليها فإذا عقد عليها جاز له كل شيء لأنها صارت زوجته بمجرد العقد.

* وبعض الخطَّاب يرتكب خطأ أكبر من هذا: وهو أنه يأخذ الدبلة أو الخاتم فيخلعه من إصبعه، ويدخلها في إصبعها، وهذه العادة لا تجوز لأن فيها مخالفة للسُّنَّة، وتشبه بالكفار وذريعة إلى الشرك، وذلك أن بعض الناس يعتقد أن هذا الفعل يكون سببًا للمحبة بين الزوجين، بمجرد تحويل الدبلة من إصبعه إلى إصبعها، وهذا من التولة الشركية وهي عقيدة نصرانية استوردها بعض الناس من بلاد الكفار.

فلا يجوز هذا الفعل سواء اعتقد ذلك أم لم يعتقد ويجب التحذير من هذه العادات ومحاربة الشرك ووسائلة والذرائع المفضية إليه حفاظا لجناب التوحيد والعقيدة .

فقد روى ابن حبان عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: « **إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** » ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: «**شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ** » .

* ومن أخطاء الأعراس: التثقيل على الزوج في المهر ومتطلبات الزواج ، واشتراط شروطٍ مخالفة للكتاب والسُّنَّة.

فقد جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ : «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، من اشترط شرطا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فليس له وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق**» وفي رواية: «**كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ** » .

والبركة تكون في التيسير على الزوج في مؤن الزواج والخطوبة، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا ، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا ، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا**» ومعنى: « **يُمْنِ الْمَرْأَةِ** » أي بركتها.

وروى أبو داود عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ** » . وفي رواية: « **إن أعظمَ النكاحِ بركةً : أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً** » .

قال شمس الدين آبادي: أي أسهله على الرجل بتخفيف المهر وغيره. اهـ

وقال الشيخ العباد: ما كان بيسر وسهولة وبدون مغالاة وبدون حصول أمور تترتب على الزواج فيها مشقة وتحميل الزوج ما لا يطيق. اهـ

* ومن منكرات الأعراس: تشغيل الأغاني والمجاهرة بهذه المعصية ، وأذية الناس وأذية المرضى والنائمين ، وأذية الصالحين الذين يكرهون سماع الأغاني، بل ربما أذية المصلين لأن بعض الأعراس تكون قريبة من المساجد ، وربما اتخذوا مكبرات الصوت .

ومن المؤسف أن بعض المسلمين صار يعتقد أن الأغاني أيام الأعراس من المباحات ، وأن العرس لا يصلح إلا بالأغاني، لاسيما وقد سمع بعضهم فتاوى بجوازها لبعض الزائغين والمفتونين من بعض أهل البدع والمتحزبين ، فإلى الله المشتكى.

وهذا منكر عظيم وكبيرة من كبائر الذنوب، لأن الله توعد على هذه المعصية بالعذاب المهين.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ [لقمان:٦-٧] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره في معنى لهو الحديث: سئل ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن لهو الحديث فقال: الغناء. والله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات. اهـ

وفسرها ابن عباس وجابر وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأنها الأغاني.

وأما الذين استحلوا الأغاني وأفتوا بجوازها ، فقد أخبر عنهم النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا ، أنه سيأتي زمان يستحلونها وهي مُحرمة.

فقد روى البخاري عن أبي مَالك الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ » .

ومعنى : « إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ» أي جبل.ومعنى: « سارحتهم» أي: الغنم. ومعنى: «آت لحَاجته» أَي: فقِير. « والحِرَ» :هو الزنا.

فانظر يا رعاك الله في هذا الحديث وتمعن فيه جيدا وانظر إلى الإنذار بالعقوبة المترتبة على هذه المعصية والوعيد الشديد لمن ارتكب هذه المعصية.

فقوله ﷺ : « يَسْتَحِلُّونَ» : بيان أنها محرمة فاستحلوها وأيضًا عطفها على ثلاث كبائر من المحرمات وجمع بينهن وهي الحرير والخمرو الزنا.

وفي الحديث تهديد أكيد ووعيد شديد ، وتحذير من سوء عاقبة الأغاني، وهو الخسف والمسخ والقذف.

وقد روى الترمذي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: « **إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ**

وَشُرِبَتِ الخُمُورُ » . والقينات هي المغنيات.

والخسف :هو الغور إلى باطن الأرض بأن تبتلع الأرض من بظاهرها.

والمسخ هو التحويل من إنسان إلى حيوان كما مسخ الله بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، عندما تحايلوا على شرع الله ، إذ حرم الله عليهم الصيد يوم السبت ، فنصبوا الشباك يوم الجمعة ، فجاءت الأسماك يوم السبت فوقعت في الشباك فأخذوها يوم الأحد، فعاقبهم الله ولم تنفعهم هذه الحيل، ومن الناس من يتحايل على الأغاني فيستحلونها بتغيير اسمها .

ومن معاني المسخ: أن تمسخ قلوبهم فلا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا إلا ما وافق أهواءهم. والقذف هي حجارة أو نحوها تنزل عليهم من السماء.

فهذه ثلاث عقوبات متوعدة ومترتبة على هذه المعاصي وهي: شرب الخمور وسماع الأغاني ووجود المغنيات وهي القينات وانتشار أدوات المعازف.

وكل كلام أو قصائد أو زوامل يكون مصحوبا بأدوات المعازف فهو من الأغاني المحرمة ، وبعض الناس يتحيلون على هذه المعصية كما سمعتم فيستحلونها بتغيير اسمها وهذه حيل شيطانية لا تنفع أصحابها عند ربهم.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه سيوجد أناس من أمته يشربون الخمر ويستحلونه بتغيير اسمه، كما قد حصل أن بعضهم يسميه الشراب الروحي وغيرذلك، ومثل ذلك تسمية الأغاني بالزوامل الشعبية أو القصائد الترفيهية أو الأناشيد الإسلامية والإسلام برئ منها والله المستعان.

فقد روى ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير» .

فنخشى على الذين يتحايلون على شرع الله من عقوبة الله العاجلة لهم، فإن

تغيير الأسماء لا يعني تغيير المسميات ولا يغير الحكم المترب عليه، فالخمر هو الخمر وإن سموه شرابا روحيا والأغاني هي الأغاني وإن سموها قصائد أو زوامل أو أناشيد إسلامية فإن الإسلام يحرم الأغاني ما وجدت فيها صفة الأغاني المذمومة من اللهو والطرب والمعازف والصد عن ذكر الله.

ولا بأس بالزوامل الترحيبية، والأهازيج التنشيطية الخالية من المحاذير الشرعية ،وأدوات المعازف، من أمثال أهازيج الصحابة رضوان الله عليهم ، عند خفر الخندق:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لا قينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

والنبي ﷺ يردد معهم ويقول: « أبينا أبينا» ويرفع صوته ويمده. والحديث في صحيح البخاري.

ولا مانع من استخدام الدف للنساء دون الرجال ، وتغني لهن امرأة، ويحرم عليهن سائر الأغاني سواء كان المغنون رجالاً أو نساءً أو أولادًا أو بنات لعموم الأدلة.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّام مِنَى تُغنيان، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُسجى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، وفي رواية أنه قال: مزمارالشيطان في بيت رسول الله. وفي رواية: تضربان بالدف. فَكَشَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: « **دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ** » .

فيؤخذ من هذا الحديث جواز ضرب الدف للنساء خصوصًا أيام الأعراس والأعياد، ويحرم على الرجال لإنكار أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإقرار رسول الله ﷺ

لقوله، وإنما استثنى النبي ﷺ جوازه للنساء.

فالأغاني ياعباد الله :هي أصوات الشياطين كما بين ذلك ربنا في كتابه الكريم بقوله :﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾[الإسراء:٦٤] فصوت الشيطان هو الأغاني.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال مجاهد: أي استخفهم بالغناء والمزامير وادعهم إليها. اهـ.

فإذا وجدت مثل هذه المنكرات في العرس، فلا يجب إجابة الدعوة في حق من دعي إليها، بل قد لا يجوز الحضور في هذا العرس المشتمل على المنكرات من أغاني وغيرها.

* ومن المنكرات في الأعراس تصوير ذوات الأرواح لا سيما العروسين، فلربما صوروا العروسة وهي بكامل زينتها وربما تسربت الصورة إلى أيادي الرجال الأجانب فتحصل أمور لا تحمد عقباها.

ومن المعلوم في الشرع أن تصوير ذوات الأرواح محرم قطعاً لأنه مضاهاة لخلق الله وذريعة إلى الشرك فإن سبب الشرك في قوم نوح هو تصوير الصالحين للذكرى ثم عبدوهم من دون الله.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت قال النبي ﷺ : « أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» .

وفي رواية: « **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ** » .

ومعنى: « **يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ** » قال المناوي :أي يشبهون عملهم التصوير بخلق الله من ذوات الأرواح. اهـ

وقد كثرت الأدلة في تحريم التصوير لذوات الأرواح في أكثر من عشرين

حديثا ولكن يا فصيح لمن تصيح؟! .

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارًا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رمادي

فقد صارت الأغاني عند بعض الناس من المهمات ومن الضروريات لا سيما وقد وجد من أهل البدع من يفتي بجوازها بل ويروج لها ويجعلها من الدين ومن الدعوة إلى الله والله المستعان.

* ومن الأخطاء والمخالفات أيام الأفراح والأعراس التبذير والإسراف.

فمن ذلك إطلاق النيران إلى السماء وربما رجعت بعض العيارات النارية على بعض الناس فأزهقت أرواحهم، أو سفكت دماءهم.

ومن التبذير: شراء شجرة القات والسجائر في بعض البلدان كالبلاد اليمنية، وهاتان الولعتان محرمتان باتفاق أهل العلم المعتد بهم، لأنهما خبيثتان وقد حرم الله الخبائث وأحل الطيبات، وفيهما ضرر على الإنسان في دينه وأخلاقه وماله وأسرته وزراعته وغير ذلك، وكلما ثبت فيه الضرر فهو حرام.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ومن الإسراف في الأعراس :التكلف في تجهيز العروسة بمبالغ كبيرة.

وقد روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ نُهِينَا ، عَنِ التَّكَلُّفِ » .

فيجب الحفاظ على المال، ووضعه في وجهه الشرعي، بلا إسراف ولا تبذير ولا بخل ولا تقتير، ولا يجوز التصرف فيه بغير حق.

فقد روى البخاري عنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ

ﷺ يَقُولُ:« إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومن الإسراف في الأعراس الإكثار من المأكولات ورميها في المزابل ، وحرمان الفقراء والمساكين منها:

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف:٣١]

وقال تعالى:﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الإسراف هو الزيادة على القدر الكافي.اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : التبذير هو نفقة المال في المعصية. وسئل ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن التبذير فقال: هو انفاق المال في غير حقه. اهـ

وقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: « **شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

وفي رواية عند مسلم عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبىَّ - ﷺ - قَالَ « **شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ؛ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ** » .

قال بعض أهل العلم: كانت الوليمة شر الطعام لأنه يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء فإذا دعي الفقراء خرجت من هذه الصفة بمعنى أنها لا تكون شر الطعام إذا دعي إليها الفقراء.

وذكرها على الأغلب أي أن غالب طعام الوليمة يمنع منها الفقراء.

ومن منكرات الأعراس:

خروج النساء متطيبات ويتبرجن في صالات الأفراح.

وقد ذكر أهل العلم ضوابط في كشف المرأة لبدنها أمام النساء ، فلا يجوز للمرأة أن تكشف شيئًا من بدنها أو مفاتنها أمام النساء ، إلا المواضع التي تُبديها أمام محارمها .

لكنك تسمع من المنكرات التي تحدث عند النساء في أماكن الأعراس ما يندى له الجبين من التكشف والتبرج ، وربما حصلت عواقب سيئة ، وقد جاء الوعيد الشديد لمن خالفت وعصت أمر ربها.

فقد روى النسائي عَنْ أَبِي موسى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**» .

وعند أبي داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ : « **لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ** » . أي تزيل أثر ذلك الطيب حتى لا يبقى منه أثر.

ومعنى قوله: « فهي زانية » : أي بمنزلة الزانية بالإثم.

وأما الوعيد على التبرج فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا، فِي غَيْرِ بَيْتِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا، وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » .

والمقصود من قوله : « وَضَعَتْ ثِيَابَهَا» أي :الثياب الساترة لبدنها ويهتك الله سترها لأنها خانت زوجها بكشف ثيابها لغير حاجة.

فيجب على النساء أن يبقين محتشمات متخمرات متسترات ، في أماكن الأفراح وفي غيرها ، فلا تكشف المرأة من بدنها أمام النساء ، إلا ما دعت إليه الحاجة ، كالوجه واليدين ، ولتحذر من التبرج والتكشف ، فربما حصل

بسبب ذلك التساهل أمور لا تحمد عقباها.

من ذلك أنه حصل في أحد الأعراس حريق في بعض الخيم أو القاعات، بسبب ماس كهربائي ، فخرجت النساء هاربات إلى خارج القاعة وهن متبرجات كاشفات عن شعورهن وبعض مفاتنهن ، فرآهن الرجال وهن في حالة يرثى لها.

ولتكن المرأة على حذر فهناك نساء لا يتقين الله، فقد وجد من النساء الفاسقات من تصور بجوالها في مجالس النساء خفية، فحصل أن امرأة صورت امرأة أخرى في قاعة الأفراح وهي غافلة وهي بكامل زينتها فصورتها وهي تلعب، فأعطت زوجها تلك الصورة فنشرها ذلك الفويسق بين الرجال وعبر الشبكات فحصلت نكبات على تلك المرأة وبعض أقاربها ، فما إن علمت تلك المرأة إلا وأخذت سماً فتحسته فماتت ، وأصيب زوجها بجلطة أو سكتة قلبية فمات ، وحمل أبوها إلى المستشفى غيرةً على العرض، وكل هذا بسبب تساهل كثير من النساء في التستر ، وبسبب مخالفة السُّنَّة في اللباس وعدم المحافظة على اللباس الشرعي.

فالأعراض غالية ياأيها الناس علموا نساءكم الحشمة ، واللباس المشروع ، قبل أن يقع الفأس على الرأس وقبل الحسرة والندم.

وما أحسن قول القائل:

أصـــون عــرضي بــمالي لا أدنسه ... لا بــارك الله بعد العرض بالمالِ

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فهناك منكرات كثيرة تحصل في الأعراس منها في الآداب ومنها في المعاملات ومنها في المعتقدات ونحو ذلك فيجب الابتعاد عن المنكرات جميعها ويجب إنكارها لئلا تنزل العقوبة على المجتمع كله، فإذا نزلت العقوبات فإنها تأخذ الصالح والطالح؛ إلا الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر فإنهم ينجون.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف : ١٦٤ – ١٦٥] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم وكل إنسان ، بحسبه ومقدوره.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُول : « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** » .

فإذا سكتوا عن المنكر جميعًا أخذتهم العقوبة جميعًا.

فقد روى الترمذي عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم

عذابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

فمن هذا الباب نحذر المسلمين من هذه المنكرات لتبرأ الذمة وتقام الحجة ، ونسأل الله الإخلاص والحكمة والسداد والقبول، وأن يعيننا على طاعته واجتناب معصيته.

* فمن منكرات الأعراس التي تخل بالعقيدة التولة ،وهي اعتقاد بعض الناس أن المحبة تحل بين الزوجين، بإلباس الخاطب الدبلة لمخطوبته، وذلك أن يخلع الدبلة أو الخاتم من إصبعه ويدخلها في إصبعها، وقد تقدم الكلام على هذا في أول الخطبة بأنه لا يجوز .

ومن هذه المنكرات: التشاؤم ببعض الأوقات وتصديق المنجمين بالحساب.

وذلك أنهم يعتقدون أن هناك أوقاتا مشؤومة لا تصلح للزواج وساعات مشؤومة لا تصلح للعقد فيها وساعات مشؤومة لا تصلح لخروج العروسة من بيت أبيها أو دخولها بيت زوجها، و يعتقدون أن هناك ساعات طيبة وأياما سعيدة وشهورا طيبة للزواج وهذا كله من الشرك بالله وعدم التوكل على الله .

فيجب على المؤمن أن يتوكل على الله وأن يقدم على الزواج في أي وقت تيسر له، إذ أن الأوقات لا علاقة لها بالمقادير وأن الله هو الذي يقدر الخير والشر.

فقد روى أبو داود عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-: « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطيرة شرك الطيرة شرك » . والطيرة هي التشاؤم بالأوقات أو بالمسموعات أو المرئيات .

وروى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-:« **مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمَاً مِنْ النُّجُوم، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ** » .

وروى ابن حبان عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ** » .

ومعنى «**مُصَدِّقٌ بِالسِّحْر**» : أي :الذي يصدق السحرة والمنجمين بما يخبرون به من أمور الغيب، وذلك أنهم يدَّعون انهم يعلمون الغيب ويزعمون أن هناك أوقات سعود وأوقات نحوس، فمن ذهب إليهم فسألهم فلن تقبل له صلاة أربعين يومًا فإن صدقهم فقد كفربما أنزل على محمد.

ومن ذلك الذهاب إليهم أو سؤالهم لفك الربط عن العروسين فإنه لا يجوز.

فقد روى الإمام مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوماً** » .

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ».

والعرَّاف هو الذي يدعي معرفة علم الغيب، وما في الضمير، وما في المستقبل ونحو ذلك من الشركيات.

قال النووي والعراف: مِنْ جُمْلَة أَنْوَاع الْكُهَّان . قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْره : الْعَرَّاف هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى مَعْرِفَة مَكَان الْمَسْرُوق ، وَمَكَان الضَّالَّة ..اهـ

فالذي ينبغي على العروسين إن أصيبوا بسحر أو ربط أن يستعينوا بالله ثم بالرقية الشرعية من الكتاب والسُّنَّة وذلك بقراءة القرآن والأدعية النبوية على المسحورفبه ينحل السحر أو الربط عنهما بإذن الله.

* ومن الأخطاء في الأعراس ما يتخذه العروسان من حمل الحديدأو السيف للعريس أو الجنبية للعروسة حرزا من العين أو الجن، فهذه الأمور من التمائم وهي شرك.

فأما إن حمل العريس السيف أو السلاح للزينة، فلا بأس بذلك والأولى تركه سدًا للذريعة، وأما حمل العروسة للجنبية ونحوها، فإنهم يقصدون بها في الغالب لدفع الجن أو العين وهذا لايجوز كما تقدم.

فقد روى ابن حبان عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: « **إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** » .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قال: « **مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** » .

والتميمة هي كل ماعلق على الإنسان أو الحيوان أو النبات والجماد، بقصد دفع الجن أوالعين ،وقد علمتم أنه لا يدفع الجن والعين إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأسباب الشرعية ،من الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ، وقراءة القرآن الكريم.

* ومن الأخطاء والخرافات تلطيخ الجدران أو الأبواب بدم الذبيحة، أو مرور العروسين على دم الذبيحة ،كل هذه الاعتقادات باطلة، ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن المنكرات في الأعراس قطع الصلاة بحجة العرس، أو الجلوس مع الضيوف والمجابرة معهم أو نحو ذلك، فهذا لا يجوزلأن فيه ضياعًا لحق من حقوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سواء كان ذلك من قبل العروسين أو أقاربهما أو المهنئين.

فإن الصلاة واجبة على العريس والعروسة والأقارب، وعلى الضيف والمضيف، ولا تنفع تلكم المجابرة بين يدي الله وتلكم التهنئة، وذلكم العرس والجلوس مع الضيوف إذا ضيعت حقوق الله وتركت الصلاة .

قال تعالى:﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الزُّخرُف:٣٩].

فكم من عرائس ماتوا أثناء زفافهم وقبل اللقاء بأحبتهم، جاءهم الموت فكدر عليهم عرسهم، وهدم لذاتهم، وحال بينهم وبين شهواتهم، ولم يبقى إلا ما قدموا لآخرتهم .

فكن أيها المسلم يقظا فطنًا واتق الله حيثما كنت، واعدد نفسك من الموتى ، ولا تأمن مكر الله ،ولا تغتر بهذه الدنيا، وكن على استعداد للقاء ربك ولو في أيام عرسك، فبماذا ستلاقيه، ولا تأمن أن يأتيك الموت وأنت مقيم على معصية، الله نسأل الله حسن الخاتمة.

٢٩

خطبة أو موعظة [(١)] عن الخسوف والكسوف

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ : [(٢)]

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتعينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

(١) هذه الخطبة أو الموعظة تصلح أن تكون خطبة جمعة أو موعظة في أي وقت حصل الكسوف أو الخسوف من ليل أو نهار.

(٢) قسمتها خطبتين لمن أراد أن يجعلها خطبة جمعة، ومن جعلها موعظة في غير الجمعة فله أن يلقي الخطبتين معًا بدون فاصل فيدمجهما مع بعض فيجعلها موعظة واحدة أو يكتفي بالخطبة الأولى موعظة.

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله:

إن الناظر إلى أحوال الناس في هذه الأيام يرى العجب العجاب، من كثرة الفتن والبلايا، وكثرة القتل والقتال، والبعد عن دين الله، ومخالفة سُنَّة رسول الله ﷺ -إلا من رحم الله- ولذلك كثرت الخسوفات والكسوفات، والزلازل والفيضانات، في هذه الأيام وما ذاك إلا إشارة لكثرة الذنوب والمعاصي، والبغي والظلم، وإنذار من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للناس من بطشه وعقوبته، ليرجعوا إلى ربهم.

قال تعالى:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الإسراء:٥٩].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الله يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ وَيَذَّكَّرُونَ وَيَرْجِعُونَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْكُوفَةَ رُجِفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ. وَهَكَذَا رُوِيَ أَنَّ الْمَدِينَةَ زُلْزِلَتْ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ: أَحْدَثْتُمْ، وَالله لَئِنْ عَادَتْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ. اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ : أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه. اهـ

ألا وإن من أهم الآيات التي يخوف الله بهما عباده وينذرهم بها من معاودة

عصيانه، لهي خسوف الشمس والقمر فهما آيتان عظيمتان ولكن قَلَّ من يعتبر، وغفل كثير من الناس عن هاتين الآيتين وجعلوهما حوادث طبيعية عياذا بالله وأخذوا ذلك عن الكفار وبعض أذنابهم من المسلمين المنحرفين وهوقولهم: «إنها حوادث طبيعية» ، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ ينكسفان لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِه ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يرسلهما يخوف بهما عباده، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» ثُمَّ قَالَ: « يَا أُمَّةَ مُحَمَّد وَالله مَا مِنْ أَحَد أَغْيَرُ مِنَ الله أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » .

وفي رواية لمسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « خَسَفَت الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فَقَامَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يُصَلِّي، فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَام الأَوَّل، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّل، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَام الأَوَّل، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّل، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَام الأَوَّل، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّل، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا » الحديث.

وفي رواية لمسلم :قَالَ عليه الصلاة والسلام : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِي مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ، لَقَدْ جِىءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِى مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي . وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِى رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِىءَ بِالْجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِى مَقَامِى وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِى وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِى أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ » .

وفي رواية في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : «قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِى مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَفَفْتَ. فَقَالَ « إِنِّى رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » . قَالُوا : بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : «بِكُفْرِهِنَّ » . قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ قَالَ: « بِكُفْرِ الْعَشِيرِ وَبِكُفْرِ الإِحْسَانِ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » .

أيها الناس :

إن في هذه الأحاديث وفي أيات الخسوف والكسوف فوائد، وحكم ومواعظ، نذكر بعضها لعل ذلك يكون لناعظة وعبرة

ففيها: بيان أن الحكمة من الخسوف والكسوف هي التخويف والإنذار.

وفيها الرجوع إلى الله بالدعاء والتضرع والصلاة والصدقة وسائر العبادات حال نزول الآيات والمصائب، فعلى العباد أن يرغبوا إلى الله بالعبادات وقت الشدائد والملمات إذ لا ملجأ من الله إلا إليه.

وفيها من المواعظ والزواجر:التهديد لأصحاب المعاصي والتذكير لهم لينتهوا عما هم عليه وليتوبوا إلى ربهم ويقلعوا عن المعاصي وذلك برؤية النبي ﷺ للنار وهو في صلاة الخسوف وإخباره ببعض العصاة الذين يعذبون ببعض المعاصي التي كانوا يقترفونها لتكون عظة وعبرة لغيرهم.

وفيها الترغيب للمؤمنين بالطاعات والإقبال عليها والتشويق لهم بما أعد الله لهم في دار كرامته، وذلك برؤية النبي ﷺ للجنة وهو في صلاة الخسوف ورؤيته لبعض نعيمها وأخبر أنه تناول عنقودا منها لو أخذه لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، ليبين لهم أن نعيم الجنة باقٍ لن يفنى وأن نعيم الدنيا فاني لا محالة.

وأما ما يعتقده بعض الناس أن الشمس أو القمر ينخسفان لموت رجل عظيم ، فهذا غير صحيح فقد أبطله النبي ﷺ بقوله: « لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يخوف بهما عباده » .

وذلك أن بعض الناس كان يعتقد أن سبب خسوف الشمس في عهد النبي ﷺ هو موت إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابن نبينا ﷺ فأبطل النبي ﷺ ذلك.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال المهلب: مصداق هذا الحديث في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ يدل ذلك أن الآيات تحذير للعباد، فينبغي عند نزولها مبادرة الصلاة والخشوع والإخلاص له، واستشعار التوبة والإقلاع عن المعاصي، ألا ترى أنه – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – عرض في مقامه الجنة والنار؛ ليشوق بالجنة أهل الطاعة، وليتوعد بالنار أهل المعاصي، وأخبرهم الشارع أن الكسوف ليس كما زعم بعض الناس أنه من أجل موت ابنه إبراهيم ، وأنماهو تخويف وتحذير. اهـ

وفيها: إشارة إلى الانتقام من الظالمين والمجرمين لقوله ﷺ : « **والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا** » .

وفيها: أن الله يغار إذا أتى عبده أو أمته الفاحشة، ولذلك ينذرهم بالآيات قبل العقوبات.

وفيها: أنه يشرع للإمام إطالة الصلاة بالقراءة، وإطالة الركوع والسجود حتى تنجلي الشمس أو القمر، ويشرع له أن يعظ الحاضرين كما فعل النبي ﷺ.

وفيها: فضل زمن النبي ﷺ والصحابة وقلة المخالفات فيه، لأن الشمس لم تخسف إلا مرة واحدة في عهدهم، وأما في هذه الأزمان فقد كثرت الكسوفات، وهذا يوحي بكثرة الذنوب في هذه الأزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفيها: معرفة كيفية صلاة الكسوف والخسوف ، وهي : ركعتان، في كل ركعة ركوعان ، وتكون الصلاة طويلة كما تقدم .

وغير ذلك من الحكم البليغة، والمواعظ الجليلة، والفوائد العظيمة، التي اشتملت عليها هذه الأحاديث الشريفة، والتي تؤخذ من هذه الآيات الكونية.

وبالجملة فإن الخسوف والكسوف من آيات الله الكونية التي يخوف بهما عباده.

وفيها: لطف الله بعباده إذ لم يعاجلهم بالعقوبة وإنما ينذرهم بالآيات ليرجعوا، ولكن كثيرًا من الناس لا يتعظون بالآيات والنذارات حتى تنزل عليهم العقوبات قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧ ﴾ [يونس:٩٦-٩٧] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١ ﴾ [الأنعام:١١١] .

فهذا حال كثير من الناس أنهم لا يؤمنون ولا يتعظون حتى يروا العذاب الأليم.

فلا يأمن العباد إذا أمدهم الله بالنعم وهم مقيمون على معصيته أن يكون ذلك استدرجا منه لهم.

قال تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[القلم:٤٤-٤٥] ، وقال تعالى مخبرا عن الأمم السابقة أنه ابتلاهم بالخير والشر والسراء والضراء لعلهم يرجعون فلم ينفع معهم ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأعراف:٩٤-٩٩] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : ابْتَلَاهُمْ بِهَذَا وَهَذَا لِيَتَضَرَّعُوا وَيُنِيبوا إِلَى الله، فَمَا نَجع فِيهِمْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، وَلَا انْتَهَوْا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا بَلْ قَالُوا: قَدْ مَسَّنَا آباءنا مِنَ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء، ثُمَّ بَعْدَهُ مِنَ الرَّخَاء مِثْلُ مَا أَصَابَ آبَاءَنَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ تَارَاتٌ وَتَارَاتٌ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِأَمْرِ الله فِيهِم. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : «ابتلاهم الله بالمرض والأسقام والشدة، لعلهم يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله، فما فعلوا شيئًا فقلب الله الحال إلى رخاء ليبتليهم ويختبرهم فيه، ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ أي كثرت أموالهم وأولادهم، فقالوا :قد حصل لآبائنا من السراء والضراء، كما حصل لنا وإنما هو الدهر تارات وتارات ..» اهـ بتصرف.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٥-٧٦].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ أَيِ: ابْتَلَيْنَاهُمْ بِالمَصَائِبِ وَالشَّدَائِد، ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أَيْ: فَمَا رَدَّهُمْ ذَلِكَ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُخَالَفَةِ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلالِهِمْ وَغَيِّهِمْ. اهـ

وقد ابتلى الله فرعون وقومه بالقحط والجوع ، ونقص في الزروع والثمار ، لعلهم يرجعون فلم يتذكروا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٠] ، ثم أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم وقع عليهم الرجز ، فطلبوا من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يدعوا الله لئن كشفه عنهم ليؤمننَّ ، فلما رفعه الله عنهم تمادوا في كفرهم واستمروا في بغيهم ، فأغرقهم الله في البحر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ أَيْ: فَهَلَّا إِذ ابْتَلَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ تَضَرَّعُوا إِلَيْنَا وَتَمَسْكَنُوا إِلَيْنَا ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أَيْ: مَا رَقَّتْ وَلَا خَشَعَتْ ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أَيْ: مِنَ الشِّرْكِ وَالمعَاصِي. ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ أَيْ: أَعْرَضُوا عَنْهُ وَتَنَاسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ أَيْ: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَارُونَ، وَهَذَا اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ تَعَالَى وَإِمْلَاءٌ لَهُمْ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ مَكْرِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ أَيْ: مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَرْزَاقِ ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ أَيْ: عَلَى غَفْلَةٍ ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ أَيْ: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. اهـ.

هذا بعض ماحصل للأمم السابقة من قبلنا لنأخذ العظة والعبرة، ولا يظن أحد أن هذا الوعيد والإنذار خاص بهم فإنه عام حتى لهذه الأمة.

فقد قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام:٦٥]

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب منهم، بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾ أي يجعلكم فرقا مختلفة ويبث فيكم الأهواء ويذيق بعضكم بأس بعض ويقتل

بعضكم بعضًا. اهـ

وروى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَابِر رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾، قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -**».

ومن رحمته تعالى أنه لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلكهم ولكنه رحيم بهم قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ۝٤٥ ﴾[فاطر:٤٥].

فما أصاب الناس من خير فهو من الله، وما أصابهم من شر فهو بسبب ذنوبهم. قال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[الشورى:٣٠].

وهنا تنبيه:

لا ينبغي لأصحاب الحساب الفلكي أن يعلنوا للناس متى سيكون الخسوف والكسوف، فإن الأفضل أن يكون ذلك مفاجأة للناس ليرجعوا إلى الله ويأووا إلى بيوت الله، فإنهم إن علموا بالخسوف قبل وقته يصير عندهم الأمر عاديًا، ليس له وقع في قلوبهم من الخوف، فإن الملاحظ غالبا أنه إذا كان الكسوف مفاجأة، فإنهم يخافون ويقبلون على الصلاة ويجتمعون في المساجد ويذكرون الله، كما كان يحصل سابقًا قبل مجيء هذه الإعلانات والقنوات، لكن لما صارت القنوات تعلن عن الخسوف والكسوف قبل مجيئة صار الأمر

عادياً عندهم، بل صاروا لايبالون بما سيحصل، فيحصل الأمن من مكر الله.

وقد بلغ الأمر ببعض من لا يخاف الله ، إلى أنهم صاروا يطمئنون الناس أن مسألة الخسوف والكسوف حوادث طبيعة ، لئلا يخاف الناس، فنعوذ بالله من هذا الضلال، فلا يجوزهذا، ولا يجوز تصديقه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعلها تخويفًا للناس، وهؤلاء يحادون الله ويخالفون أمره فيطمئنون الناس .

فمن نسب الخسوف والكسوف إلى الطبيعة على أنها هي الفاعلة لهذا الخسوف فقد كفر الكفر الأكبر والعياذ بالله.

فليست حوادث طبيعية كما يزعمون، فإنما هي آيات كونية وإنذارات ربانية للعباد، كما تقدم وكما سمعتم من كلام الله وكلام رسوله ﷺ .

فنعوذ بالله من سخطه ونستجير به من عقابه، ونسأله أن يوفقنا لطاعته ، اللهم اكشف عنا ما نحن فيه، اللهم إن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم توفنا مسلمين ،وألحقنا بالصالحين ، والحمد لله رب العالمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع البلاد لا تتوهمه القلوب بالتصوير ولا تدركه العقول بالتفكير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

أما بعد:

فإن الشمس والقمر من ضمن الآيات الكونية التي حثنا الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على التفكر فيهما كما قال عز من قائل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فُصِّلت:٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وهما من جنود الله المسخرة لخدمة بني آدم، وهما يسبحان الله ويسجدان له كل يوم.

وهناك بعض المفاهيم الخاطئة عند بعض العامة حول الشمس والقمر:

منها: أنهم يعتقدون أن الشمس والقمر إذا خسفت أن الله غضب عليهما فعذبهما !.

والصواب: أن هذا إنذار للعباد وآيات يخوف الله بهما عباده كما تقدم، بل قد يكون هذا علامة على غضب الله على كثير من عباده بسبب كثرة الذنوب والقتل والفتن.

ومن المفاهيم الخاطئة أنهم يعتقدون أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكور الشمس والقمر يوم القيامة ويرمي بهما في جهنم تعذيبا لهما! .

والصواب: أنها من ضمن الأهوال والأحوال التي تحصل يوم القيامة من تشقق السماوات وتحطم الجبال وتزلزل الأرض وتساقط النجوم وغير ذلك وأما رميهما في جهنم فإنه يكون ذلك تبكيتا لعابديها في الدنيا لا تعذيبا لهما كما يظن البعض وغير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله.

فالحاصل أن الخسوف والكسوف آية من آيات الله يخوف بهما عباده وإنذار لهم ليكفوا عما هم عليه من الفتن والذنوب والمعاصي، ويرجعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وفيها إشارة إلى أن المصيبة أو العقوبة قد تعم الصالح والطالح إذا كثرت الذنوب والمعاصي ولا نكير.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: « لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: « **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ** » .

«وَالخَبَثُ» هو كما ذكر النووي قال: فسره الجمهور بالفسوق والفجور وقيل المراد الزنى خاصة وقيل أولاد الزنى والظاهر أنه المعاصي مطلقًا. اهـ

وخص العرب دون غيرهم، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما خص

العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم. اهـ

فيجب على المؤمن أن يبتعد عن أماكن العصيان وأن لا يخالط أصحاب المعاصي لئلا يصيبه ما أصابهم .

فقد روى البخاري ومسلم ، عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِذَا أَنْزَلَ الله بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ** » .

وفي الصحيحين أيضًا عن عَائِشَة رَضِيَ الله عَنْهُا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخرِهِمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: « **يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** » .

فوجه استغراب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن في الجيش من جاء للتجارة ومنهم من ليس قصده غزو البيت فبين لها النبي ﷺ أن العقوبة تنزل للجميع بسب مخالطتهم لأصحاب المعاصي وتكثير سوادهم وعدم الإنكار عليهم، ثم يوم القيامة يحاسبون على نياتهم وعلى قصد كل واحد منهم.

فيؤخذ من هذا الحديث أنه لا يجوز مخالطة أهل المعاصي وتكثير سوادهم ولا حضور أماكنهم قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان:٧٢] ، أي: لا يحضرون أماكن الزور والمعاصي.

اللهم جنبنا الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، اللهم ثبتنا على دينك ، واعنا على طاعتك ، وجنبنا الكفر والفسوق والعصيان ، والحمد لله رب العالمين.

٣٠
خطبة الاستسقاء

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله...

يقول ربنا في كتابه الكريم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ وانقطع عنهم مدة

ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالا فينزل الله الغيث ﴿ وَيَنشُرُ ﴾ به ﴿ رَحْمَتَهُۥ ﴾ من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون. ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال» اهـ.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرحم بعباده من أنفسهم ولكنه يبتليهم بالشدة والقحط ليرجعوا إليه، ويستغفروه ويتضرعوا بين يديه ، وذلك بسبب ما يحصل منهم من الذنوب والمعاصي، ثم يغيثهم وينزل عليهم الأمطار فيخرج لهم به البركات من الثمار وسائر الأرزاق .

فلا تيأسوا ياعباد الله من نزول الأمطار، فإن الله قد تكفل بأرزاق الخليقة، وجعل الأمطار مصدر أرزاقهم .

لكن ينبغي علينا فعل الأسباب الشرعية التي أمرنا الله بها والتي هي سبب لنزول الأمطار ونهانا عن الأسباب التي تنقطع بسببها الأمطار من الذنوب والمعاصي ومنها منع الزكاة.

فمن الأسباب التي أمرنا الله بفعلها والتي تكون سببًا لنزول الغيث، التوبة والاستغفار:

يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح:١٠-١٢].

ففي هذه الآيات أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه حث قومه على الاستغفار ليغفر الله لهم ذنوبهم، ويكثّر أرزاقهم ،ويدر عليهم الأمطار، ويبارك لهم في الزروع والثمار.

فيستفاد من هذه الآية الكريمة أن من أسباب نزول الغيث كثرة الاستغفار وأن سبب القحط وعدم نزول المطر هي الذنوب والمعاصي فذهاب الذنوب بالتوبة والاستغفار ومن ثَمَّ تنزل الأمطار بإذن الله الرحيم الغفار .

قال تعالى عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود:٥٢] ، ومعنى ﴿ مِّدْرَارًا ﴾ أي: كثيرًا متتابعًا.

فذنوبنا يا عباد الله كفيلة بمنع القطر عنا من السماء ولو استقمنا على دين الله وأدينا حق الله وحق الفقراء والمساكين، لأغدق الله علينا الأمطار.

قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن:١٦-١٧] .

ومعنى لنفتنهم فيه: قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب. اهـ.

فلو أن الناس اتقوا ربهم فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه لنزلت عليهم الأمطار وحلت البركات وصلحت الزروع والثمار.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: قطر السماء، وبركات من الأرض ، أي: نبات الأرض. اهـ

ومن أسباب نزول الغيث ياعباد الله: إخراج حقوق الفقراء والمساكين ومن أسباب انقطاع الغيث منع الفقراء والمساكين حقهم الذي كتبه الله لهم.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ -لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ » .

فيستفاد من الحديث أن البلدان التي تخرج فيها الزكاة ويتصدق فيها على الفقراء والمساكين تنزل عليهم الأمطار كصاحب هذه الحديقة وأن البلدان التي يمنعون حق الفقراء والمساكين يمنعهم الله القطر من السماء كما منعوا الذين كانوا بجوار صاحب الحديقة.

فقد روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ.

الشاهد من الحديث قوله : « وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا » .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي لم ينزل إليهم المطر عقوبة بشؤم منعهم للزكاة عن مستحقيها فانتفاعهم بالمطر إنما هو واقع تبعا للبهائم فالبهائم حينئذ خير منهم وهذا وعيد شديد على ترك إخراج الزكاة أعظم به من وعيد. اهـ

ومعنى قوله : «إِلَّا ابْتَلُوا بِالسِّنِينَ» :أي بالقحط والمجاعة.

فالمعاصي هي سبب انقطاع البركات من السماء، وترك الواجبات كذلك تمنع القطر من السماء كما تقدم من شأن منع الزكاة.

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

لكن مهما كان ذلك فإن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لطيف بعباده رحيم حليم، فإذا حصلت شدة على الناس وقحط، فإنه يشرع لهم أن يخرجوا إلى المصلى متخشعين متبذلين، يتضرعون إلى الله بالصلاة والدعاء،ويرفعون أيديهم فيدعو الإمام ويؤمِّن الذين معه ويستمعون الخطبة، ثم يصلون ركعتين وينصرفون.

ويشرع للإمام أن يرفع يديه في خطبة الجمعة ويدعو الله أن يغيثهم ويقول: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا – ثلاثا– .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجدَ يَوْمَ جُمُعَة، منْ بَاب كَانَ نَحْوَ دَارَ الْقَضَاء، وَرَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَائمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَائمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَت الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَت السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغثْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– يَدَيْه، ثُمَّ قَالَ: « اللهُمَّ أَغثْنَا، اللهُمَّ أَغثْنَا، اللهُمَّ أَغثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَالله مَا نَرَى في السَّمَاء منْ سَحَاب وَلَا قَزَعَة، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْع منْ بَيْت وَلَا دَار، قَالَ: فَطَلَعَتْ منْ وَرَائه سَحَابَةٌ مثْلُ التُّرْس، فَلَمَّا تَوَسَّطَت السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَالله مَا رَأَيْنَا

الشَّمْسَ سَبْتًا » .

أي: أسبوعًا فأمطروا سبعة أيام.

فهذه طريقة من طرق الاستسقاء وهو الدعاء في خطبة الجمعة إذ دعا النبي ﷺ فسقاهم الله وقد كادت أن تهلك المواشي من قلة الأقوات والنبات بسبب عدم المطر وكادت تنقطع السبل بسبب ضعف الإبل من قلة الكلأ أو خوف الهلاك في الطرق لقلة الأمطار فسقاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فهذه الكيفية الأولى في الاستسقاء.

وأما الكيفية الثانية لطلب السقيا هو خروج الناس إلى المصلى فيصلون ويدعون الله عَزَّوَجَلَّ أن يغيثهم.

فقد روى الترمذي عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « **إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -خَرَجَ مُتَبَذِّلاً مُتَوَاضِعًا مُتَضَرِّعًا** » . أي إلى المصلى.

وعن عباد بن تميم عن عمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أن رسولَ الله - ﷺ - خَرَجَ بالناس يَستَسْقي، فصلَّى بهم رَكعتَين جَهَرَ بالقراءَةِ فيهما، وحَوَّل رداءَه، ورَفَعَ يديه فدعا واستسقى، واستقبلَ القِبلة » . رواه أبو داود وأصله في الصحيحين.

ويشرع للإمام أن يخطب بهم خطبة واحدة ثم يدعو ثم يصلي بهم ركعتين بعد الخطبة .

لما روى أبو داود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « شَكَا الناسُ إلى رسولِ الله -ﷺ- قُحُوطَ المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المُصلى، وَوَعَدَ الناسَ يوماً يخرجونَ فيه، قالت عائشةُ: فخرجَ رسولُ الله -ﷺ-حين بدا حَاجِبُ الشمس، فَقَعَدَ على المنبر فكبر -ﷺ- وحَمِدَ الله عزَ وجل وأثنى عليه،...ثم خطب بهم، ثم رَفَعَ يديه، فلم يزل في الرفعِ حتى بدا بياضُ إبطيه، ثم حوّل إلى الناسِ ظَهره،وقَلَبَ

-أو حَوَّلَ- رداءَه وهو رافعٌ يديه، ثم أقبل على الناس، ونزلَ فَصَلَّى ركعتين » .

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « كَانَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الِاسْتِسْقَاءِ، وَإِنَّهُ يَرْفَعُ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ» .

وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر ورحمتك واحي بلدك الميت » . رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

ولا بأس أن يدعوا بما تيسر من الدعاء مما يحفظه.

ـ ومن المخالفات التي تحصل من بعض الناس عند الدعاء أنهم يرفعون أصواتهم بأصوات جماعية وهذا خلاف السُّنَّة ، فإن السُّنَّة أن يدعو الإمام وهم يؤمِّنون ، أو يدعو كل واحد منهم ولا يرفع صوته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَاد، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ» .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعْنَاهُ :ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَاخْفِضُوا أَصْوَاتكُمْ، فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ لِبُعْد مَنْ يُخَاطِبُهُ لِيُسْمِعَهُ، وَأَنْتُمْ تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولاغَائب، بَلْ هُوَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ وَهُوَ مَعَكُمْ بِالْعِلْم وَالْإِحَاطَة، فَفِيه النَّدْبُ إِلَى خَفْض الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِه فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِه وَتَعْظِيمه. اهـ

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف:٥٥] .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: تذللا واستكانة ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: سرا قال الحسن: بين دعوة السر والعلن سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت وإن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم.اهـ

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف:٢٠٥].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَي: اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ رهبة ورغبة، وبالقول لا جهرًا؛ ولهذا قَالَ: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وَهَكَذَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ لَا يَكُونُ نداءً وَ لَا جَهْرًا بَلِيغًا؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلُوا رَسُولَ الله-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالُوا: أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيه أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيه؟ فَأَنْزَلَ الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [الْبَقَرَة:١٨٦] اهـ.

وهذا الحديث فيه ضعف لكن تكفي الآية وحديث أبي موسى المتقدم وهو في الصحيحين وفيهما بيان قربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع علوه.

ومن المخالفات في الاستسقاء أن بعض الناس يذبحون ذبيحة في المصلى وهذا الفعل بدعة لأن النبي ﷺ لم يفعله.

وقد جاء في الصحيحين أَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ** ».

وفي رواية لمسلم: « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** ».

ويكون هذا الفعل بدعة إذا كانت الذبيحة لله، أما إذا كانت الذبيحة لغير الله من الجن أو غيرهم كما يفعله بعض الناس فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

فقد ثبت في صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ».

واللعن هو الطرد من رحمة الله.

والمشروع في الاستسقاء هو الدعاء والذكر والصلاة والاستغفار.

ـ ومن أسباب انقطاع الغيث نسبة المطر إلى غير الله كالنجوم والأنواء وهذا من الشرك وهو من كفران النعم وكفر النعمة مؤذن بزوالها بينما شكر النعمة من أسباب بقائها وزيادتها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

والمطر من أعظم النعم التي يجب شكرها فمن شكر هذه النعمة نسبتها إلى الله ومن كفرها نسبتها إلى النجوم والأنواء.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَماءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَما انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَته، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مطرنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ » .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة:٨١-٨٢] .

ذهب بعض المفسرين في تفسير هذه الآية أن من معانيها نسبة المطر إلى النجوم، وهو قول بعض الناس: مطرنا بنجم كذا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يقول قائل: مطرنا بنجم كذا ...، وقال مجاهد: قولهم في الأنواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا ، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه. اهـ .

فيا عباد الله :

إن هذه النجوم والفصول والكواكب ليس لها علاقة بالمطر وليست سببًا في نزوله، إنما المطر من عند الله ينزله متى شاء وفي أي زمن شاء، وعلى من شاء من خلقه، على حسب حكمته وعلمه بمصالح عباده .

فلا تجوز هذه الاعتقادات الباطلة التي قد يعاقب الله العباد بسببها بالقحط وربما يعاقبهم بما هو أعظم من هذا، فمن كان يعتقد هذه الاعتقادات فليستغفر الله وليتب إليه، فهذه الأنواء والنجوم ليست هي المؤثرة في نزول المطر وليست سببًا في نزوله بل هي ظرف ينزل الله المطر فيها فقد ينزل الله المطر في هذا النجم الذي يعتقد الناس فيه وقد لا ينزل وقد ينزل الله المطر في الوقت الذي يئس الناس من نزول المطر فيه، فلله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، فالأموركلها بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو الذي يعطي وهوالذي يمنع وهوالذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويفعل ما يشاء لحكمة، لا يُسأل عما يفعل ولا اعتراض على حكمه ، ولا تسخط على قدره ، ولا راد لقضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

ولا يجوز اليأس من رحمته والقنوط من فضله قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[يوسف:٨٧].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر:٥٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى:٢٨].

يداه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي: المطر. اهـ .

اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا الغيث ولا تهلكنا بالقحط والسنين ، اللهم ارحم الأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والشيوخ الركع ،اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعله السفهاء منا، اللهم اسقنا غيث الرحمة إلى أوطاننا وغيث الإيمان إلى قلوبنا، اللهم اجعله سقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللهم لا تمطرنا مطر عاد ، اللهم ارحم البلاد والعباد اللهم لا تردنا خائبين، ولا من رحمتك محرومين، ولا من جنتك مطرودين، اللهم اسق عبادك وبهائمك ،وانشر رحمتك، واحي بلدك الميت، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٣١

اغتنام الإجازة الصيفية بتعليم الأولاد العلم الشرعي

الخُطبَةُ الأُولَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون عباد الله...

لقد كان الناس بخير حينما كان التعليم في المساجد، وكان محصورًا على تلقين الآية والحديث، فكان الخير حاصلا والنفع أكثر من الوقت الذي فتحت فيه المدارس الحكومية النظامية ، فصار العلم الشرعي فيها قليلاً، بل ومحاربًا ولا

يخرج الطالب منها بكبير فائدة ولا يهتمون فيها بالأحكام الشرعية والعبادات التي من أجلها خلقنا إلا الشيء اليسير، فصار أغلب طلاب المدارس لا يصلون ولا يعرفون أحكام الصلاة ولا يعرفون العقيدة الصحيحة لعدم اهتمام المدارس بها، بالإضافة إلى أنها قُررت فيها مناهج دراسية قليلة الفائدة مع عدم السلامة من الأضرار التي فيها والمخالفات.

وعلى هذا فإننا نحث الآباء والأولياء إلى توجيه أبنائهم وبناتهم ومن يتولونهم إلى بيوت الله وإلى المراكز العلمية مراكز أهل السُّنَّة والجماعة التي يدرس فيها العلوم الشرعية والعقيدة الصحيحة والمنهج السليم، وخاصة في أيام الإجازة التي يتفرغون فيها من المدارس التي ضيعتهم عن دينهم، وليعلم ولي الأمر أن أهداف المدارس أهداف دنيوية لا غير، فإنها إنما أسست من أجل الشهادات والوظائف.

فقل لي بربك : إذا كان كثير من المدرسين لا يصلون ولا يهتمون بالصلاة، فماذا يرجى منه ؟،وكيف سيصير طلابه؟، فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فأكثر طلاب المدارس، بل والجامعات يتخرجون منها فقراء من العلم الشرعي، فبعضهم يتخرج منها تاركًا للصلاة، ومن كان يصلي منهم لايستطيع أن يصلي صلاة رسول الله ﷺ ،ولا يستطيع أن يؤم الناس ليصلي بهم صلاة واحدة، وقد أحسن من قال:

يا خيرة الأقوال وضعوك في الأغلالِ

ليس المدرس مخلصا والطفل غير مبالي

هذا لنيل شهادة وذا لنيل المالِ

فتعليم الأبناء والبنات والزوجات مسؤولية كل مسلم فإنه لا يُركن إلى المدارس النظامية أن تعلمهم دين الله فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[التحريم:٦] .

ويدخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾: الأولاد بدليل قول الله عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾[هود:٤٥].

فأمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نقي أنفسنا وأهلينا من النار بتعلم دين الله والعمل به.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم. اهـ

فإن الإنسان معرض للسؤال يوم القيامة عما استرعاه الله، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» وزاد البخاري قَالَ: « فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» .

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من قصر في رعيته ولم ينصح لهم ويدخل في ذلك من لم يعلمهم دينهم.

فقد روى البخاري ومسلم عن مَعْقِل بْن يَسَار -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ الله رَعِيَّةً،**

فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَة، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة» ، وفي رواية لمسلم: « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ** » .

وهكذا يجب على الدعاة ومعلمي الناس الخير أن يبدأوا بأنفسهم وأهليهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤] .

فإنه لما نزلت هذه الآية جمع النبي ﷺ أقاربه من أولاد عمه وأعمامه فعم وخص ونصح ونذر والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وروى البخاري ومسلم عَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: « ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ » .

الشاهد من الحديث أنهم رحلوا إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا العلم الشرعي ورجعوا يعلمون أهليهم من أبناء وبنات وزوجات وغير ذلك.

وكان من حكمة لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه بتلك الوصايا النافعة التي يحتاجها كل مسلم صغيرًا كان أو كبيرًا فأوصاه بالتوحيد وحذره من الشرك بالله وأوصاه بمراقبة الله وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك وأوصاه بالتواضع وحذره من الكبر وأوصاه بالتوسط بالمشي والكلام وغير ذلك مما أخبر الله عنه في سورة لقمان.

فليكن الأب كذلك نحو أولاده، فإذا كان كذلك فهو ناصح وإذا لم يعلمهم دين الله عَزَّوَجَلَّ فهو غاش لرعيته .

واعلموا عباد الله أن تعليم الأب لأولاده دين الله سبب لصلاحهم وسبب لطاعتهم لوالديهم وصلة أرحامهم والإحسان إلى جيرانهم وحسن معاملتهم مع غيرهم، فإن أهملهم فإنهم سيضيعون ويتمردون على القريب والبعيد وسيجالسون الأشرار، ويبتعدون عن الأخيار ويجلبون على والديهم الفتن والأضرار، ويرهقونهم بالخصومات مع غيرهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[التغابن:١٥] .

والغالب أن الأولاد يصلحون بصلاح والديهم، ويفسدون بفسادهم، فإن الولد يشب ويترعرع على ما صار عليه في صغره مع أبويه، ومصداق ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ** » .

بمعنى أن الولد يولد على فطرة الإسلام ثم يصير على طريقة أبويه وتربيتهما فإن كان الأبوان مسلمين وربيا ولدهما على الإسلام صار مسلما وإن كان الأبوان يهوديين وربيا ولدهما على اليهودية صار يهوديا وهكذا.

ففي الحديث بيان أن صلاح الأبوين سبب لصلاح الأولاد لأن الولد يحاول أن يقلد أبويه في كل شيء غالبا لا سيما الأب، فأصلح نفسك أيها الأب إذا أردت أن يصلح الله أولادك.

ومن أسباب صلاح الأولاد الدعاء لهم بالهداية والصلاح، فإن دعوة الوالدين مستجابة، وأن يدعو الوالدان ربهما أن يرزقهما الذرية الصالحة، فإن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، يهدي من يشاء لحكمة ، ويضل من يشاء بعدله.

فقد روى البيهقي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ** » .

وقد كان من دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[آل عمران:٣٨] .أي ذرية صالحة.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ :أي ولدا مباركًا تقيًّا صالحًا رضيًا.اهـ

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:أي دعا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه أن يرزقه ذرية طيبة، أي: طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية والدنيوية بهم. فاستجاب له دعاءه.

وكان من صفات عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم أن يهب لهم الذرية الصالحة كما أخبر الله تعالى عنهم:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤] .

فلا بد من بذل الأسباب لصلاح الأولاد والأخذ بأيديهم إلى الخير فإن الولد إذا صلح عاد نفعه على نفسه وعلى والديه في الدنيا والآخرة.

ومن الأسباب في صلاح الأولاد اختيار الزوجة الصالحة فإنها مدرسة الأولاد وهي تعد الأجيال فإن كانت صالحة صاروا صالحين وإن كانت فاسدة نشأوا فاسدين كما تقدم في حديث «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِه**» ، ويدخل هذا تحت حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الطبراني أن النبي ﷺ قال: « **مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ البَاقِي** » .

وصدق الشاعرإذ يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ومما يجب الاهتمام به في تعليم الأولاد تعليمهم العقيدة الصحيحة، في أسماء الله وصفاته ،وفي القبر ونعيمه وعذابه، وفي الإيمان بالقدر وغير ذلك.

وتعليمهم السُّنَّة والمنهج السليم وتقرير التوحيد في نفوسهم وتحذيرهم من الشرك فقدت كانت أول وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣] .

فبين له أن أعظم الظلم هو الشرك بالله وأوصاه بمراقبة الله فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ [لقمان:١٦] .

وكان النبي ﷺ يهتم بتعليم الأولاد الصغار العقيدة الصحيحة ويغرسها في نفوسهم.

فقد روى الترمذي عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -يَوْمًا، فَقَالَ: « يا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمات، احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ » .

فعلمَّه أن حفظ الله للعبد منوط بحفظ العبد لدين الله، وعلمه العفة وعدم التسول والاعتماد على الله والإيمان بالقدر وعلقه بالله وقطعه عن الناس .

وأقر النبي ﷺ الجارية بعلو الله وهذا نوع من التعليم حيث سألها: « أين الله» ، فقالت: في السماء فقال : «من أنا » ، قالت : رسول الله فقال : «أعتقها فإنها مؤمنة » .

فأقرها النبي ﷺ وأمر بعتقها لأنها تنزه الله وتعظمه لحيث وأنها تعتقد أن الله مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه وتؤمن برسالة محمد ﷺ .

فقد روى مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُد وَالْجَوَّانِيَّة، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْم فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاة مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: « ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: « أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: « مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: « أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » .

وكان أبناء الصحابة رضوان الله عليهم يتعلمون الإيمان ويتعلمون القرآن فيتعلمون منه العقيدة والإيمان بخلاف بعض شباب اليوم يحفظون القرآن ولا يتعلمون العقيدة الصحيحة فربما انحرفوا بسبب تقصيرهم في تعلم العقيدة الصحيحة والمنهج السليم فيقعون في البدع والمحدثات والعقائد الباطلة.

فقد روى ابن ماجه عَنْ جُنْدُب بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: « **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا** » . ومعنى حزاورة: هو ما يقرب من البلوغ .

وفي الحديث الحث على تعلم الإيمان والعقيدة الصحيحة قبل حفظ القرآن الكريم لأن من الناس من يحفظ القرآن ولا يتعلم العقيدة الصحيحة وربما صار صاحب بدعة فيصير غالٍ في القرآن كالخوارج وغيرهم.

فقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخوارج يحفظون القرآن لا يجاوز حناجرهم وأخبر أنهم شر قتلى تحت أديم السماء وأنهم كلاب أهل النار، وقد كانوا كثيري العبادة من صلاة وصيام وقراءة للقرآن.

فقد روى البخاري عن سَهْل بْن حُنَيْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ الْعِرَاقِ - : «**يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ**

لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ » .

وينبغي الاهتمام بتعليم الأولاد المَنهج السليم والسُّنَّة الصحيحة وتحذيرهم من البدع وأهلها حتى لا يتخطفهم أهل البدع بشبهاتهم وضلالاتهم، فوجب تعليمهم الكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأمة .

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي مالك الأشجعي سَعْد بْن طَارِق، قَالَ: « قُلْتُ لأَبِي: يَا أَبَت، إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُول اللَّه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ هَاهُنَا بِالْكُوفَةِ، نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، فَكَانُوا يَقْنُتُونَ فِي الْفَجْرِ؟ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، مُحْدَثٌ » .

الشاهد أنه حذر ابنه من بدعة القنوت في صلاة الفجر لأن النبي ﷺ لم يفعله.

فيلزم الأب تحذير الأولاد من جميع البدع والمحدثات لأن النبي ﷺ يقول: « وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . رواه الترمذي عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومما ينبغي تعليم الأولاد الحلال من الحرام والعفة وزجرهم عن الحرام والتطفل والسؤال وغير ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « كِخْ كِخْ » لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: « أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » .

ومعنى: « كِخْ كِخْ » ، كلمة زجر تقال للصبي لزجره عما يريد فعله، فالنبي ﷺ زجر الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكل التمرة، لأن الصدقة محرمة على آل البيت لفضلهم على غيرهم ، لأن الصدقة أوساخ الناس فيتنزه آل البيت عنها.

ومما ينبغي تحذير الأولاد من مجالسة السيئين ومجالسة أهل البدع وحضور حلقهم والاستماع لهم فقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن طاووس قال

لابن له في رجل من أهل البدع كان يكلمه: يا بني أدخل إصبعيك في أذنيك حتىً لا تسمع ما يقول.اهـ

وينبغي تعويد الصغار على العبادات من الصغر فقد كانت وصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبنائه عند موته بذلك كما أخبر الله تعالى عنه:﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾** ﴾ [البقرة:١٣٣] .

وقَلَّ من يوجه أبناءه عند موته ويوصيهم بدين الله!، بل صار عامة الناس يوصون أولادهم عند الموت بأمور حول الدنيا ،إلا من رحم الله.

ويجب تعليمهم الصلاة فيؤمرون بها وهم أبناء سبع سنين، ويضربون عليها وهم أبناء عشر ، لما روى أبو داود عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « **مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** » وذلكَ خوفًا عليهم من الفساد عند تقارب بعضهم من بعض عند النوم.

ويستحب تعويدهم على الصيام فقد روى البخاري ومسلم عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ، الَّتِي حَوْلَ المدِينَةِ: « **مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه**» فَكُنَّا، بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى المسْجِدِ، فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ » .

ومما ينبغي تعليمه للصغار الصدق والامانة وحسن الحديث والبعد عن سيء الكلام وحفظ العهود.

قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كانوا يضربوننا على العهد ونحن صغار.

وينبغي تعويد الأولاد على حضور حلق الذكر وحفظ الأحاديث، فقد كان صغار الصحابة يحفظون أحاديث رسول الله ﷺ، ثم يروونها عنه إلى غيرهم حينما يكبرون.

من ذلك ما روى الترمذي والنسائي عن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: حَفظْتُ مِنْ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ** » . أي: اترك الذي تشك فيه وافعل الذي لا تشك فيه.

وروى الترمذي وابن ماجه وأبو داود عَنْ الْحَسَن بْن عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: عَلَّمَنِي جَدِّي رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: « **اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت، وعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ** » .

فهكذا كان تعليم النبي ﷺ وأصحابه لأولادهم وحرصهم عليهم، فينبغي الاقتداء بهم في تربية أولادنا.

نسأل الله أن يصلح أولادنا وأولاد المسلمين، وشبابنا وشباب المسلمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن الاهتمام بالأولاد والاعتناء بهم أمر مهم يا عباد الله وهو مسؤولية كل مسلم فإن الأولاد إذا أصلحهم الله سيعود نفعهم على أنفسهم وعلى أبويهم وعلى المجتمع أجمع، وإذا فسدوا فسيعود ضررهم على أنفسهم وعلى أبويهم وعلى المجتمع أجمع، وأول من يجني الويلات بسببهم هما الأبوان، فإنهما لا يسلمان من شرهم وربما صاروا أعداءً لهم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: يقول تعالى مخبرًا عن الأزواج والأولاد: إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى: أنه يلتهي به عن العمل الصالح، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون : ٩]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال ابن زيد: يعني على دينكم.

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ قال: يحملُ الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه.. أ هـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو

هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه. اهـ

ومن هذه العداوة أنه إذا التهى الوالد بأولاده عما أوجب الله فإنه سيبوء بالخسارة كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩].

وإن صلح الأولاد انتفع الوالدان بهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فبطاعتهم لهما واداء حقوقهما وأما في الآخرة فبالدعاء والاستغفار لهما.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ** » .

فالولد الصالح من كسب الوالد ودعاؤه واستغفاره يصل إلى والديه فإذا دعا الولد لأبويه واستغفر لهما رفعه الله في الجنة درجات.

فقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ** » .

وإذا كان الولد حافظًا للقرآن، فإن والديه يكسيان حله يوم القيامة ،أغلى من الدنيا وما فيها ، وتاجًا من نور كضوء الشمس.

فقد روى الحاكم عَنْ عَبْد اللَّه بْن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمل به أُلْبسَ يَوْمَ الْقيَامَة تَاجًا منْ نُور ، ضَوْءُهُ مثْلُ ضَوْء الشَّمْس ، وَيُكْسَى وَالدَيْه حُلَّتَان لا يَقُومُ بهمَا الدُّنْيَا فَيَقُولانِ : بمَا كُسينَا ؟ فَيُقَالُ : بأَخْذ وَلَدكُمَا الْقُرْآنَ** » .

فانظر يا من تصرف أولادك عن هذا الخير وعن مراكز تحفيظ القرآن وتعلم السُّنَّة وتحثهم على تعلم أمور الدنيا وتزهد عن هذا الفضل وهذا الخير.بل

صار كثير من الآباء يرسلون أبناءهم إلى بلاد الكفار ليتعلموا علوم الدنيا وربما طغت عليهم الشهوات والشبهات فينسلخون من الدين فيرجعون يحاربون الدين والعياذ بالله وينشرون عادات وتقاليد الكفار ويتشبهون بهم ويقلدونهم في معاملاتهم وملابسهم ويفتخرون بذلك ويعدون ذلك تطورا والسبب في ذلك هم الآباء حيث ضيعوهم في تلك البلدان وسيحملون أوزارهم وأوزار من تبعهم والله المستعان .

فلا بارك الله في هذا التطور، إذا كان يحارب الدين، ولا بارك الله بهذه الدنيا إذا كانت على حساب الدين، وربما بعضهم لا يحصل على دنيا ولا يسلم له دينه.

وما أحسن قول القائل:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا — فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فالعاقل هو الذي لا يؤثر الفاني على الباقي، ولا يقدم الدنيا على الدين، ولا يفرط بجنة عرضها السماوات والأرض، بمقابل لعاعة الدنيا، فإن الدنيا حقيرة ، ومتاعها قليل، ومع حقارتها فإنها زائلة، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فكيف يجعلها المسلم نصب عينيه ويعلق أولاده بها ، ولا يبالي بدينهم تمسكوا به أم لا!، فهذا من الغش لهم.

فيا عباد الله:

لا تتساهلوا بتربية أولادكم فلذات أكبادكم ، خذوا بأيديهم إلى الخير، واحجزوهم عن الشر، وامنعوهم من جلساء السوء، وأماكن السوء والاختلاط، ومراكز الأفكار المنحرفة من أهل البدع والأهواء، وامنعوهم من الأغاني ومشاهدة التلفاز.

ولا تدخلوا جهاز التلفاز إلى بيوتكم فتصيروا غاشّين لرعيتكم، فإن جهاز

الدش والتلفاز مدمر للقيم والأخلاق، وينشر الرذائل وسيء الأخلاق ، ويعلم الأولاد الفسوق والاختلاط، والكذب والحيل، والمعاكسات والعلاقات المحرمة، وضياع الصلوات، وعقوق الوالدين، ويطرد الملائكة من البيت لأنه يشتمل على صور ذوات الأرواح، بل صور نساء كاسيات عاريات، وغير ذلك من المفاسد الكثيرة في هذه الأجهزة.

ذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا معناه :أن من اقتنى تلفازًا أو دشًا إلى بيته، فإنه غاش لرعيته، ويدخل تحت حديث: « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** » . رواه مسلم عن معقل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

فنسأل الله أن يصلحنا، وأن يصلح أولادنا وأولاد المسلمين، اللهم هب لنا من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسر الله إتمام الكتاب وإكماله بعد التحري والنقل والمراجعة، وتم عرضه على شيخنا المبارك أبي عبد الله الشيخ محمد العنسي -حفظه الله- وجزاه الله خيرًا ،على ما بذله من جهد في مراجعة هذا الكتاب، وجزى الله خيرًا من تعاون معنا في هذا الكتاب كتابةً ومراجعةً ومناقشةً وتنسيقًا ونشرًا وطباعة، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات الجميع، والفضل لله أولاً وأخيرًا إذ يسر وأعان ووفق في جمعه وتأليفه وتجهيزه للمسلمين، فألله أسأل أن كما يسر إتمامه وإخراجه، أن ينفع به الإسلام والمسمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم الانتهاء من هذا الكتاب مع المراجعة والتنقيح

في غرة جماد الثانية الموافق١٤٣٩هـ

تم بحمد الله

ملاحظة

لقد جعلت هذا الكتاب خاصًا بالمناسبات التي تحصل في السَنة ، حسب الأحداث والوقائع ، وأنبه أن بعض الخطب في هذا الكتاب صالحة لخطب المناسبات وغيرها ، بمعنى أن الخطيب له أن يخطب من بعضها في أي وقت شاء ، ولو في غير المناسبة التي وضعت الخطبة من أجلها ، وهي كالتالي:

١-الموت هادم اللذات.

٢-لزوم الثبات والصبر عند المحن والبلاء.

٣-إرشاد المسلمين إلى المخارج من الفتن.

٤-أحكام الزكاة.(إلا في أخر الخُطْبَةُ الثَّانِيَة فالكلام فيها خاص بزكاة الفطر)[١].

٥-التحذير من التشاؤم عموما وفي صفر خصوصًا.

٦-اغتنام الأوقات بالباقيات الصالحات.

٧-تعليم الأولاد(في الإجازة وفي غيرها).

٨-فضل تلاوة القرآن.

٩-حادثة هجرة المصطفى ﷺ .

١٠-الدفاع عن النبي ﷺ .

١١-فضل قيام الليل.

(١) إذا خطب الخطيب حول الزكاة في غير رمضان فله أن يلغي الكلام حول زكاة الفطروهو في آخر الخطبة، ولابأس من ذكرها في غير وقتها للتذكير

ويكون ذلك حسب حاجة الناس،ويرجع هذا إلى الخطيب نفسه حسب ما يراه.

وبقية الخطب تخطب في المناسبات المتعلقة ، بها والحمد لله.

ولنا كتاب آخر في الخطب العامة ، تخطب في سائر الأوقات حسب ما يختاره الخطيب ، أو يناسب المستمعين ، وسيخرج الكتاب مع هذا الكتاب ، بمشيئة الله رب العامين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عبد الرحمن

موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس

فهرس

من أحدث اصدارات دار الإيمان

آداب التعامل مع الفتن

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية